

قريـــــة محــي

دراسة سوسيو- انثروبولوجية

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ-١٩٩٧م

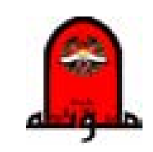
رقم التصنيف	:٥٤١,٩٥٦
المؤلف ومن هو في حكمه	: عبدالعزيز محمود (وآخرون)
عنوان المصنف	: قرية محي
الموضوع الرئيسي	: ١- التاريخ والجغرافيا
	٢- الأردن-تاريخ-القرى
رقم الإيداع	: (١٩٩٧/٥/٦٠٧)
بيانات النشر	: الكرك: جامعة مؤتة

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ١٩٩٧/٥/٤٩٤



عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

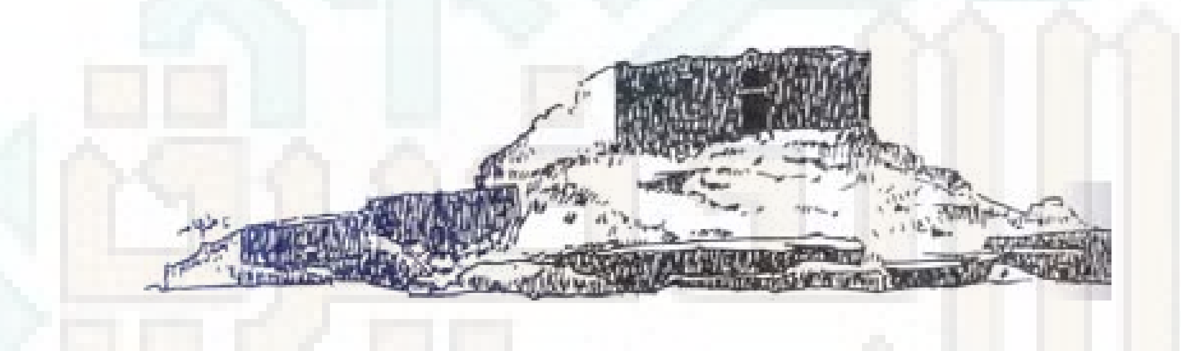


منشورات جامعة مؤتة

(٤٧)

قــرية مــحيّ

دراسة سوسيو–انثروبولوجية



تأليف

د. عبدالعزيز محمود　　　د.أحمـــد العموش

د. ميــشيل بيفــرس　　　فــرانسواز دبلير

لجنة احياء التراث

١٩٩٧

بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرَحِيم



تقديم

يهدف هذا البحث إلى دراسة الواقع الاجتماعي والانثروبولوجي في قرية محي وذلك من خلال تحليل موقعها الجغرافي وتاريخ إشغال الموقع ونمط الإنتاج الرعوي والنسق الثقافي والسياسي والحركات السكانية الكبرى والتركيبية الأسرية والتعليم في القرية.

إن دارسة القرية من منظور سيسو-انثروبولوجي يكشف عن طبيعة وظروف التحول الاجتماعي الذي عرفته القرية منذ نهاية القرن الماضي وحتى وقتنا المعاصر، ولقد أظهرت نتائج الدراسة أن القرية عاصرت فترات تطور تاريخي مختلفة دلت على حيوية نشوئها وتطورها وتفاعل عناصر الحداثة والتقليد في تشكيلتها الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية.

ولقد تم استخدام مناهج البحث السوسيو-انثربولوجي المختلفة ابتداء من المسح الأثري واستخدام وتحليل الوثائق والملاحظة المشاركة والمقابلة والسجلات الرسمية المتوفرة.

ولقد قسمت الدراسة إلى أجزاء عدة مختلفة وقام كل باحث بإجراء دراسة ميدانية مستقلة وباستخدام مناهج بحث ميدانية مختلفة تلائم موضوعه من اجل الوصول إلى تحليل متكامل لتطور القرية وانتقالها من المجتمع التقليدي والمتصف بالبدائية وقلة الإنتاج إلى مجتمع متنوع ومتكامل ومتصل بالعالم الخارجي، ورغم استقلالية الدراسات الميدانية والمناهج في هذه الدراسة إلا أنها في النهاية شكلت دراسة سوسيو-انثروبولوجية متكاملة من حيث الفرضيات والنتائج.

فالقسم الأول من الدراسة يبين الموقع الجغرافي للقرية وذلك من خلال تحديد الموقع والبيئة والخصائص المناخية ومصادر المياه والنبات الطبيعي والحيوان البري والوصف الطبوغرافي.

القسم الثاني من الدراسة يبين تاريخ إشغال موقع محي من خلال المصادر الأثرية والنصوص وذلك من خلال المعطيات التي سردها الرحالة الغربيون ووصف وتحليل المواقع الأثرية في القرية.

القسم الثالث من الدراسة يوضح تاريخ الاستيطان في القرية وذلك من خلال تحليل التاريخ الاجتماعي ودراسة البناء الاجتماعي وتحقيق شجرات الأنساب والتحدر القرابي لمجمل عشائر القرية من خلال معطيات الدراسات الميدانية.

القسم الرابع يحلل نمط الإنتاج الرعوي في القرية وذلك من خلال تحديد طبيعة هذا النمط الإنتاجي وعناصره المتمثلة في تقاليد تربية الماشية وحرفة الرعي، وكذلك التغير الذي طرأ على تقاليد تربية المواشي في فترة التطور والتغير.

القسم الخامس يبحث في النسق الثقافي وذلك من خلال تحليل الأسرة والقرابة ونظام الزواج والولادة والوفاة والزي والدين الشعبي ونعوت القرابة والضيافة وبيت الشعر والألعاب وقص الأثر والطب الشعبي ووجبات الطعام واللباس وأسماء الماشية والقهوة العربية والأمثال والتعابير الشعبية والشعر والقصائد.

القسم السادس يبحث في النسق السياسي والذي يتمحور حول دور الشيخ والمختار والمجلس القروي وإمام المسجد.

القسم السابع يحلل الحركات السكانية الكبرى في القرية وذلك من خلال تطور عدد السكان والتزايد الطبيعي والهجرات وحجم الأسرة.

القسم الثامن يبين التركيبة الأسرية في القرية وذلك من خلال وضعها ودورها في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية والتركيبة السلطوية.

القسم التاسع يوضح التعليم في القرية وذلك من خلال تطور النظام التعليمي في العهد العثماني وحتى وقتنا المعاصر والواقع التعليمي والتربوي في محيَّ.

وبعد إجراء الدراسات الميدانية المستقلة من قبل أعضاء الفريق تم إعداد

الفصول من قبل الباحثين حيث تولى:

د. عبدالعزيز محمود اعداد فصول الإطار الجغرافي وتاريخ الاستيطان ونمط الإنتاج الرعوي ود. احمد العموش إعداد فصل النسق الثقافي والسياسي ود. ميشيل بيفرس إعداد فصول تاريخ إشغال موقع محي من خلال المصادر الأثرية والنصوص والتعليم في محي والسيدة فرانسواز دبلير إعداد فصول الحركات السكانية والتركيبة الأسرية.

وهذا وقد قسمت الدراسة وفق اهتمام الباحث في الدراسة.

ويتقدم أعضاء الفريق بالشكر إلى أهالي قرية محي وأعضاء لجنة إحياء التراث في جامعة مؤتة، والأستاذ الدكتور عيد دحيات رئيس جامعة مؤتة والأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت رئيس جامعة آل البيت ورئيس جامعة مؤتة سابقاً والمؤسس للجنة إحياء التراث ومشروع القرية والمدينة في جنوب الأردن، والدكتور جان أنوايه مدير مركز الدراسات الفرنسي (السيرموك)، والدكتور يحيى عبابنه والدكتور علي محاسنة/ قسم اللغة العربية جامعة مؤتة على مراجعة النص.

المؤلفون



الفصل الأول

البيئة الطبيعية*

* أعد هذا الفصل د. عبدالعزيز محمود



البيئة الطبيعية

التسمية:

محي من الجذر (م ح و)، محا الشيء يمحوه ويمحاه ومحواً ومحياً أذهب أثره ومحي: الخرابة الدارسة أو المحية مصغرة على وزن فُعيل وفي العامية فُعيل من محا. وهذا الاسم وما سبقه يشير إلى واقع المنطقة الحالي التي كانت مسكونة في وقت ما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين[1].

الموقع:

تقع قرية محي على أطراف البادية الأردنية الجنوبية في الجهة الجنوبية الشرقية



من هضبة الكرك، وتبعد عن مدينة الكرك حوالي ٣٥كم وتقع على خط طــول ٣٥و ٥٢ دقيقة غرباً، وخط عرض ٣٠° و ٥٩°دقيقة شمالاً [٢].

البادية الشرقية تغطي معظم جنوب شرق الأردن، وتقسم إلى نظامين بيئيــين: الأول، النظام البيئي الانتقالي الذي يقع مباشرة في المنطقة شبه الجافة التي تسود فــي هــضبة الكرك المحصورة بين خانق وادي الحسا جنوباً وخانق وادي الموجــب شــمالاً، هــذا وينتشر النظام الانتقالي في المنطقة التي تقع على الحواف الشرقية لهضبة الكرك حيــث أراضي المراعي (ومروج الاستبس)، وتتراوح كميات الأمطار ما بين ١٥٠-٢٠٠ ملم. والثاني، النظام الصحراوي الجاف ينتشر كلما توغلنا وكمية الأمطار الهاطلة فيه لا تزيد عن ١٥٠ملم[٣].

قوية محي ومحيطها الفسيح يقع في المنطقة الانتقالية وهي بمثابة الحد الفاصل بــين البيئة شبه الجافة السائدة في هضبة الكرك والبيئة الصحراوية الشرقية، منطقة محي هي منطقة براري واسعة تتخللها مظاهر طبوغرافية على شكل نتوءات هــضبية، تتنــاوب خلالها السهول وبقايا التلال الناتجة عن عوامل الحت والتعرية. الامتداد الشرقي للقريــة أراض منبسطة تتضح صحراويتها كلما توغلنا شرقاً وتحتوي على مخلفات الأحــواض المائية من الزمن الجيولوجي الثالث التي تحتوي على مخلفات فوسفاتية، خاصــة فــي منطقة الحسا والأبيض.

وتتميز أراضي منطقة محي بنظام الأسطح الطيفة التحــدب وهــضاب ذات ســفوح منحنية قليلة الميل ومعظم المساحات مستوية تغطيها نثرات رملية حــصوية وتتخللهــا مجاري أودية وقيعان ذات سطوح طينية[٤].

وتنتشر في هذا النظام أصناف التربــة الريجوســول Yallow Soils Regosols الضاربة إلى اللون البني، ونظراً لندرة الأمطار فإن محتواها من كربونــات الكالــسيوم عالية، والغطاء النباتي مكون من شجيرات وعشيبات متناثرة، وضعف الغطاء النباتي لا يسمح بتراكم كميات كافية من المخلفات النباتية التي تكون مادة تحلل التربــة واغنائهــا بالمواد العضوية إذ سرعان ما تجفف الشمس المخلفات العشبية فلا تعطي فرصة لتحلل التربة[٥].

البيئة الجيولوجية:

من أهم من ما يميز التركيب البنيوي الجيولوجي لمنطقة جنوب الأردن مجموعة السطوح التي تعود تاريخها إلى آخر الحركات التكتونية الرئيسة في الزمن الجيولوجي الثالث والتي اتخذت اتجاهاً طولياً-شمال نتج عنه الانهدام الآسيوي ممثلة في غور وادي الأردن والبحر الميت ووادي عربة، بالإضافة إلى سلسلة الصدوع العرضية غرب-شرق والتي اصبحت بمثابة مسارات للأودية الجانبية التي تنتهي جميعاً في حفرة الانهدام كوادي الموجب إلى الشمال من هضبة الكرك، ووادي الحسا جنوباً، وتتخلل هذه الأودية الهضاب الشرقية والتي تحتوي ايضاً على سلسلة من الصدوع الصغيرة الحجم* كوادي الكرك ووادي بني حماد. وسفوح الهضبة تحتوي على طبقات بركانية. أما إلى الشرق وعبر براري البادية فيتسم سطح الأرض بميل تدريجي حيث يكون السطح أقرب إلى الاستواء ومعظم مناسيب ارتفاع أراضيها تبلغ حوالي ٦٠٠م فوق سطح البحر تتخللها بعض الانبثاقات البازلتية والتي يمكن مشاهدتها على جانبي الطريق المتجهة إلى محي وتحتوي المنطقة على مجموعة من الصخور الكلسية[٦]، كذلك تحتوي المنطقة على الصخور الجيرية والفوسفاتية والطباشيرية (Chalk-MarlUnit) حيث تتعاقب مع طبقات من الصلصال والطفل وورقات من الصوّان وهي جميعاً ترسبات بحرية تحتوي على متحجرات لكائنات عضوية gstoopods وأصداف oyster[٧] عاشت بمياه البحيرات إبان نوبات الطغيان والتكوينات الكلسية التي تنتمي إلى حقبة العصور الجيولوجية من الزمن الثالث[٨].

منطقة جنوب شرق محي وحتى نهايات صدع وادي الحسا تنبسط أرضها وتتضح صحراويتها وتتكون من عناصر فوسفوراتية phosphorit unit ويتميز هذا التكون بزيادة نسبة الفوسفات والحجر الجيري (الكوكينا) coquina.

---

* من هذه الأودية: وادي الذروة شرق المزار، ووادي الدبة شرق الكرك، ووادي رجل الفرس جنوب شرق المزار، ووادي رجل المهرة جنوب شرق المزار، ووادي السلطاني شرق المزار، ووادي المغار شرق المزار.

وإلى الشرق من محي توجد منطقة فوسفورايت السلطاني والأبيض بسمك ١٥-٢٠م وتتألف من طبقات متعاقبة من الصوان الفوسفاتي والحجر الجيري (الكوكينا) coquina والميكريتي micritic والمارل Marl، وإلى الشمال الشرقي توجد فئة فوسفورايت القطرانة وتتألف من صوّان فوسفاتي وحجر جيري ومارل marl[٩]. وتتميز السهول الشاسعة المحيطة بمحي بتجانس التكوين الجيولوجي.

الخصائص المناخية:

يقع الأردن في المنطقة الداخلية لشرق حوض البحر المتوسط، والمنطقة عموماً بمنأى عن الفعل المباشر للمؤثرات البحرية، وهضبة الكرك تقع ضمن اقليم يتميز بصيف جاف وحار وشتاء قصير يتخللها فترتين انتقاليتين قصيرتين موسم الربيع والخريف[١٠].

يقع محيط قرية محي على حافة البادية الشرقية لهضبة الكرك. والبادية الشرقية تشكل ثلاث أرباع السماحة الكلية للأردن، وأهم سماتها المناخية جفافها لبعدها عن مؤثرات البحر المتوسط وإفتقارها إلى المرتفعات المناسبة لذا فإن معدلات الأمطار تقل من الغرب إلى الشرق ومن الشمال على الجنوب، وتتصف امطار هذا الأقليم بمفارقاتها الشديدة*.

وتقع أراضي محي بين خطي مطر ١٥٠-٢٥٠ملم، وقد بلغ معدل سقوط الأمطار في المنطقة في الفترة ما بين ١٩٤١-١٩٦٥ (٢٠٠ ملم)[١١].

وتتميز أمطار المناطق الجافة بتقلباتها من سنة لأخرى فقد تسقط في احدى السنوات أمطار تزيد عن ضعف المعدل السنوي المعتاد ثم تعقبها سنوات أخرى لا تسقط فيها إلا كمية بسيطة من الأمطار المعتادة[١٢]. بالإضافة إلى تدني منسوب الأمطار وارتفاع درجات الحرارة التي تساعد على عمليات التبخر فيقل الأثر الفعلي للأمطار وتفاوت الكميات من موسم لآخر والذي يؤثر

---

* يقدر المعدل السنوي للأمطار في الاردن بـ ١١٣ملم، وهو معدل قليل وأن حوالي ٩٠% من مساحة البلاد يقل معدل أمطارها عن ٢٠٠ ملم، (نعمان شحادة، مناخ الأردن، ص١١٨).

جدول يبين معدل سقوط المطر في محي

١٩٩١-١٩٩٣

الشهر	السنة	كمية الأمطار (ملم)	المجموع في نهاية الموسم
تشرين أول	١٩٩١	لا شيء	
تشرين ثاني	١٩٩١	١٠,٣	
كانون أول	١٩٩١	٤٦,٠	١٤٣,٢
كانون ثاني	١٩٩٢	٦٧,١	
شباط	١٩٩٢	٨٠,٩	
آذار	١٩٩٢	١٤,٢	
تشرين ثاني	١٩٩٢	٢١,٤	٢١٨,٥
كانون أول	١٩٩٢	٧١,٣	
كانون ثاني	١٩٩٣	٨,٩	
شباط	١٩٩٣	٨,٤	
آذار	١٩٩٣	٧,٢	

على التربة والغطاء النباتي وجودة الموسم الزراعي[١٣].

وشدة سطوع الشمس في المنطقة يولّد طاقة تبخر عالية كفيلة بتبديد ما مقداره من ٢٥–٣٥% من كمية الأمطار الهاطلة بحيث يلتهم التبخر أي سطح مائي[١٤].

وقد ساعد صفاء السماء وقلة الغيوم وانخفاض الرطوبة النسبية في تلك المنطقة إلى شدة الإشعاع الشمسي وارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف حيث يصل إلى معدل لها في شهر آب ٢٨ درجة مئوية[١٥]، علماً بأن معدل درجة الحرارة السنوي في البادية تبلغ ١٧ درجة مئوية، ويقدّر المدى اليومي لدرجة الحرارة أي الفرق بين درجة الحرارة الصغرى والعظمى في البادية في فصل الشتاء ١١,٩ درجة مئوية، وفي فصل الصيف ١٦,٨ درجة مئوية.

والمعدل الفصلي لدرجات الحرارة في البوادي الشرقية في فصل الشتاء ٩ درجات مئوية، وفي الربيع ١٣ درجة مئوية، وفي الصيف ٢٥,٤ درجة مئوية، وفي الخريف ١٩,٥ درجة مئوية[١٦].

وتتعرض المنطقة خلال فصلي الربيع والصيف إلى رياح خماسينية جنوبية إلى جنوبية غربية جافة محملة بكميات من الغبار والأتربة وتسبب في حدوث عواصف ترابية في المناطق التي تقل فيها الأمطار مما يزيد جفاف التربة وتفككها ويجعلها عرضة للإنجراف بفعل عوامل الرياح[١٧].

أما الرياح السائدة في المنطقة فهي رياح غربية إلى شمالية غربية خلال فصل الشتاء وهي في الغالب رياح جنوبية غربية ذات سرعة تتراوح بين ١٠–١٥ عقدة وتهب في الصيف رياح شمالية إلى شمالية غربية تتراوح سرعتها بين ٨–١٥ عقدة[١٨].

مصادر المياه:

إن العامل الحاسم في الاستقرار البشري في أي مكان مرتبط بوجود المياه. وإنسان البادية وعلى مر العصور في حالة من العيش الدرامي في بيئة فقيرة الموارد وهو في سعي مستمر وراء الماء والكلأ، ومع ذلك شهدت مناطق البادية مراكز استيطان واستقرار بشري مبكر قرب مصادر المياه.

تعتبر المناطق الشرقية من البلاد فقيرة الموارد المائية نظراً لانعدام الانهار وشح الأمطار، علاوة على تذبذبها تبعاً لظروف التقلبات المناخية السنوية، هذا وتوجد المياه في المنطقة على شكلين؛ مياه سطحية كالأمطار والينابيع والجداول والوديان، ومياه جوفية أي المياه المخزونة في باطن الأرض وعلى أعماق مختلفة. وتتغذى الينابيع والآبار العميقة من مجاري المياه التي تسيل على السطح ثم تغور في باطن الأرض[١٩].

تُعَدُّ مياه الأمطار في البادية المصدر الوحيد تقريباً للمياه الجوفية والسطحية، وتقدر كمية الأمطار التي تهطل سنوياً على الأردن بـ ٦٨٩٥ مليون م٣ حصة المنطقة الهامشية منها حوالي ١٦٣٠ مليون م٣[٢٠].

وتتميز المياه السطحية في منطقة محي بندرتها وبمحدودية كمياتها وعدم انتظامها وبقلة المصادر المائية كالينابيع المتفجرة من باطن الأرض بعكس الهضبة الغربية التي تنتشر فيها الينابيع*، هذا الشيء فرض على سكان المنطقة استغلال جميع مصادر المياه من سيول وأودية وآبار.

يُعَدَّ نظام الاستفادة من مياه الأمطار مصدراً للتزود بالماء في فصل الشتاء حيث الغدران التي تتشكل من جراء تجمع الماء لفترات متباينة في قيعان الأودية

---

* نتيجة ظروف التشكل البنائي والمورفولوجي في البادية غار الخزان الجوفي بعيداً تحت الأرض وهذا ما يفسر ندرة الينابيع في البادية بعكس الهضبة الغربية التي تحتوي على الصدوع والانشاقات الأرضية التي تفجرت من باطنها الينابيع والعيون الجارية. (د. صلاح الدين البحيري، جغرافية الأردن، عمان، ص١١٨).

والمنخفضات تُعـدَّ مورداً مائياً مؤقت اطلق عليها سكان البادية (الخبارى)[٢١]، وتستخدم في الموسم للإنسان والحيوان. وكمية مياهها تتوقف على كمية الأمطار الهاطلة. والطبقة الطينية في قاع الغدير تساعد على عدم تسرب المياه لكن درجة حرارة الهواء والإشعاع الشمسي تزيد من عملية التبخر وتسرّع في نفاذ كمية المياه حيث تجف قبل انتهاء فصل الربيع.

لقد استوحى الإنسان الطبيعية حيث انتفع من مياه البرك الطبيعية في البادية وشرع في محاكاتها بأن وجه مياه السيول في قنوات حفرت خصيصاً سيقت إلى برك حفرت في الصخر. هذا التقليد اتبعه الأنباط في جنوب الأردن ومن بعدهم الرومان بتجهيز البرك واستخدامها كوسيلة لخزن الماء في موسم الوفرة إلى موسم الجفاف الطويل وما زالت بعض البرك الأثرية منتشرة على طول أطراف البادية مستخدمة حتى يومنا هذا[٢٢]. تتميز برك الصحراء بكبر حجمها لأنها تعتبر مورد ماء جماعي تستخدمها القبائل في الشرب وسقي الماشية والأعمال المنزلية، وللمحافظة على سعة جيدة للخزان وتخليصه من الرواسب استخدمت أحواض تحيط بالبركة تمر بها القنوات التي تجر الماء فتترسب الشوائب وتحول دون سقوطها إلى الخزان مما يسهل من عملية تنظيفها من وقت لآخر. والبرك عامل ساعد على توطين السكان واستقرارهم، وهي منتشرة على امتداد البادية الشرقية ولعبت دوراً في العهود المتأخرة بتزويد قافلة الحج الشامي بالماء ونشأت قربها محطات واستراحات تتوقف فيها القوافل والقبائل، تحولت إلى مراكز تجارية وأسواق موسمية عرف منها في منطقة الجنوب عي سبيل المثال بركة أم العمد وزيزياء والقطرانة ومحي، وأصبحت مواقع تتوقف عندها الجماعات الرعوية في رحلتها الموسمية (النجعة) لسقاية المواشي*. ويوجد في محي بركة ماء يشار بأنها رومانية وهي محفورة بالصخر وتبلغ مساحتها (١٦×٢٠م٢)، بعمق (٤م)، يوجد بها درج يقع في الزاوية الجنوبية الغربية وتقع البركة في الجهة الشمالية الغربية من الخربة القديمة في محي عند مدخل القرية على جانب الطريق العام، حيث رمّمت حوافها شركة أمريكية وآخر ترميم

---

* لقد وصف الرحالة الذين مروا بالمنطقة هذه البرك منهم بيركها ردت Burekhardt,1812 وشوماخر Schumacher, 1885

لها حدث في عام ١٩٩١ من قبل متصرفية لـواء المـزار، ومـا زال الـسكان يستخدمونها لسقاية المواشي على يومنا هذا*.

ومن المصادر الموسمية الأخرى، مسايل الماء (الجدوال الصغيرة) وتسمى محلياً (شعاب). وتتميز المنطقة بطبوغرافية الهضاب الهابطة المحدبة التي تتخللها مـسايل ماء صغيرة حيث تشكل أيضاً حدود طبيعية لقطع أراضي القرية، وتجري فيها المياه في فصل الشتاء فقط وعلى فترات متقطعة يرتبط جريانها بمقدار كمية سقوط الأمطار وتصب عادة بأودية أعمق والأودية تُعَدُّ في العرف المحلي حدوداً فاصـلة يتعـارف عليها سكان المنطقة في تحديد مواقع أراضيهم.

وفي سبيل الحصول على المياه كان يلجأ السكان إلى عمل سدود مـن الحجـارة والطين في منتصف المسيل لحبس كمية من المياه تجر عبر قنوات لري حقـل يقـع على طرفي المسيل**. وكل مسيل ينتهي بغدير يسمى بقيع. بالإضافة إلـى الـشعاب توجد الأودية مثل وادي الحنو الذي يقع إلى الغرب من القرية، ووادي صليلة وصلول جنوب غرب القرية، ووادي رجم المسمر شمالي القرية، وأودية السكوري والحمص الأبيض تقع شرق القرية. ومصادر المياه الهامة في المنطقة سيل الحسا الذي يتميـز بعمق مجراه ووفرة مياهه وانتشار الينابيع في حوضه***. ولقـد ذكـرت الروايـات الشفوية بأن نساء محي كن يردن سيل الحسا لإحضار الماء إلـى القريـة باسـتخدام الدواب.

---

* معطيات الدراسات الميدانية للقرية، محي، صيف ١٩٩٣م.

** ذكر أحد السكان بأنه كان يستغل المياه التي يحبسها بواسطة يد بدائي قام بانجازه لري بستان الزيتون الذي يقع على الحافة الجنوبية للقرية، محي، تشرين أول ١٩٩٣م.

***يبلغ مقدار انسياب وادي الحسا حوالي ١٦، ٣٤ مليون م٣ في عام ١٩٧٩.
(عبدالقادر العابد، جيولوجيا الأردن، ص٢١٧).

الآبار في محي:

اشتهرت محي منذ القدم بكثرة انتشار الآبار فيها وبعضها ما زال قائماً حتى اليوم ويطلق عليها السكان المحليون الآبار الرومية. ويستدل من كثرة الآبار في الموقع على استمرار الاستيطان البشري وديمومته في محي، فقد كان الرومان يحفرون الآبار ويرصفونها جيداً. ويعلو البئر فتحة محاطة بالحجارة المهذبة*. وورد على لسان أحد المعمرين أثناء الدراسات الميدانية بأن آبائهم اختاروا محي للسكنى الدائمة بسبب كثرة الآبار فيها، وذكر السكان بأنه يوجد في كل مسكن قديم بئر ماء وأحياناً اثنان أو اكثر. ويميز السكان بين نوعين من الآبار الأولى، الآبار القديمة (الرومية)، والثانية تلك التي حفرت حديثاً من قبل الرعاة بطرق بدائية مبنية من الحجارة والطين حيث كان يجعل إلى جانب فتحة البئر حفرة صغيرة في الصخر تملأ بالماء لسقي المواشي(٢٣). وبعض الآبار يقع ضمن حدود القرية وقطعها. وتزودنا سجلات الأراضي التي تعود للفترة ما بين ١٩١٩-١٩٢٥(٢٤) بمعلومات متنوعة حول أماكن وجودها وملكيتها، فنجد أن جميع الآبار التي تقع داخل حدود القرية مملوكة ملكاً صحيحاً ومثبتة في السجلات مثل بئر ماء أم السرابيط(٢٥)، وبئر ماء شرق البيادر(٢٦)، وبئر ماء النقب(٢٧)،وبئران جنوب الخربة القديمة(٢٨). وتذكر السجلات أسماء المالكين وعشائرهم بالإضافة الى الآبار المملوكة توجد الآبار التي تعد مشاعاً يستفيد منها الجميع وهي عادة تقع خارج حدود القرية، وبعض الآبار المملوكة يمكن أن يشترك في ملكيتها غير مالك، والآبار تورث** ويستفيد الورثة من البئر بموجب نظام

---

* يوجد في أعلى التل خلف قصر غيث بن هداية من الجهة الغربية بئر قديم مربع الشكل، ومرصوف بحجارة مشذبة مساحته ٤×٤ متر وعمقه ٥ امتار.

** ورد في وثائق حصر ارث في سجلات محكمة الكرك الشرعية من بين الأملاك المتنوعة بئر ماء (ضبط ١١١/٧٤ صفحة ١٢٣ لعام ١٩٢٧، وسجل ضبط ١١٠/٧٣ صفحة ١٢٣ لعام ١٩٢٧).

الحصص، فيستطيع الشخص أن يملك حـــصة أو حـــصتين وهكـــذا وتحـــدد كميـــة الحصص حسب مقدار واستغلال ميـــاه البئـــر ولا يجـــوز الاعتـــداء علـــى ملكيـــة الآبار*. لكن يمكن أن يستفيد آخـــرون مـــن الآبـــار مـــن غيـــر المـــالكين بطيـــب خاطر من المالك. والآبار تباع وتـــشترى وهـــي ذات أهميـــة خاصـــة فـــي حيـــاة أهالي القرية خصوصاً في منطقة شـــحيحة المطـــر. وعـــدد الآبـــار التـــي يملكهـــا الشخص أو العشيرة ترفع من الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمالكين.



* أوردت السجلات قضية حكم في بئر يعود لعشيرة القضاة في منطقة الويزة حيث كانت تستخدمه العشيرة وتقيم بالقرب منه في فصل الشتاء. سجل دفتر ادعاءات محكمة الكـــرك، ورقـــة كـــشف ١٩٤١/١١/١٢ وتوجد أنظمة وأعراف تنظيم ملكية الآبار فالشخص الذي يستصلح بئر قديم يصبحا ملكاً خاصاً به ويسجل باسمه ويثبت في السجلات ويضاف له مساحة من الأرض تحيط بالبئر تسمى حرم البئر، ومن حفر بئـــراً يكون ملكاً له ولورثته حتى لو كان في أرض مشاع.

النبات الطبيعي والحيوان البرّي

الغطاء النباتي:

النبات الطبيعي هو الغطاء الأخضر الذي ينمو بشكل طبيعي دون أن يكون للإنسان دخل في نشأته وإنباته ويكون متكيفاً لظروف البيئة السائدة وله فوائد كثيرة للإنسان والحيوان.

وتشير الدلائل الجغرافية-التاريخية بأن الأردن كان غنياً بالغطاء النباتي والنباتات الطبيعية قديماً حيث كانت الزراعة عماد الحضارات القديمة. وإن انتشار بقايا الأشجار القديمة في أطراف العمران تدل على مدى انتشار الغطاء النباتي في مناطق تُعَدّ اليوم هامشية وبوادي، ونلاحظ بأن الأراضي المحيطة بقصور وحمامات البادية الشرقية حتى الآن لا تخلو من بقايا الأشجار القديمة[٢٩].

وتختلف أصناف النبات الطبيعي باختلاف الموقع الجغرافي وطبيعة المناخ ومصادر المياه ونوع التربة، وبالرجوع إلى خارطة الأقاليم النباتية في الأردن نلاحظ التقسيم التالي[٣٠]:

- إقليم نبات البيئة شبه الرطبة (يتلقى أكثر من ٤٥٠ ملم من الأمطار سنوياً) وهي على نوعين: اقليم شمالي يتمثل في احراج البحر المتوسط وينتشر في منطقة عجلون وجرش وتسود فيه أشجار الصنوبر والبلوط، وإقليم جنوبي تمثله مرتفعات الطفيلة والشوبك (يتلقى حوالي ٤٥٠ ملم من الأمطار سنوياً) وتنتشر فيه أشجار الزيتون البري والبطم Juniperus والعرعر supressus والسرو في المنحدرات.
- اقليم نبات البيئة شبه الجافة (معدل سقوط الأمطار السنوي حوالي ٣٥٠ملم) ويتمثل في هضبة الكرك الغربية وتسود فيه المحاصيل الموسمية والأشجار المثمرة والسرو المبعثر والزيتون البري والخروب ceratonia siliqua وخليط من الاعشاب البرية.

يليه مباشرة الاقليم الانتقالي (الهامشي) على أطراف البادية يقع مباشرة على

أطراف الهضبة شبه الجافة، إقليم المراعي (الأستبس). الذي تسود فيه الشجيرات الصغيرة والأعشاب وبعض الحوليات والنجيليات ذات دورة حياة قصيرة Ephemerols قد لا تتجاوز بضعة أسابيع وتظهر بأعداد كبيرة في المواسم المطيرة وتختفي في فترات الجفاف وتُعَدّ المصدر الرئيسي لرعي قطعان الماشية.

الغطاء النباتي للمنطقة الانتقالية أكثر تنوعاً وأطول عمراً من نبات المنطقة الجافة والتي تسود كلما توغلنا شرقاً في البادية وتعتبر مراعي أطراف هضبة الكرك الشرقية من المراعي الخصبة التي استغلها المؤابيون في القديم(٣١) وكانت تعد منطقة أعشاب وبقايا أشجار(٣٢). وخلال الحقب التاريخية المتعاقبة تعرض الغطاء النباتي للمنطقة للتدهور بسبب الاستغلال البشري والرعي المتواصل وقطع الشجيرات للحصول على الوقود لتدفئة الحمامات الرومانية واستمرار التحطيب من قبل السكان للحصول على الوقود اليومي. وتدل الخرب والمواقع الأثرية المنتشرة على أطراف البادية على وجود آثار تحتوي على بقايا معاصر الزيتون وخزانات الماء ومخازن الغلال وأحواض وعمائر عليها نقوش ورسوم للحيوانات والطيور البرية*. وفي مطلع هذا القرن أوتي على البقية الباقية من الثروة الحرجية عندما استغل العثمانيون الأتراك الأشجار واستخدموها وقوداً في تسيير قطارات الخط الحديدي الحجازي (١٩٠٨) لدرجة أنهم اضطروا إلى مد خط فرعي يصل إلى مناطق الأحراش في جنوب منطقة الشوبك (الهيشة) في عام ١٩١٦(٣٣) للوصول إلى منطقة الأحراش لاستغلاها. وفي الفترة الحديثة عانت الثروة الحرجية للاستغلال الزائد بسبب طغيان نمط الانتاج الرعوي في المنطقة على اعتبار أن المراعي تعدّ المجال الحيوي المستغل بكثافة من قبل الجماعات الرعوية المنتشرة في المنطقة ورعيها الجائر والاستهلاك المستمر في أماكن تميزت بنيتها النباتية بالضعف مما أدى إلى تسارع عملية التصحر وتدهور الغطاء النباتي واختفاء الأعشاب وعدم رجوعها برجوع مواسم الأمطار، ويلي اختفاء الغطاء النباتي انجراف التربة وهي ظاهرة تعاني منها

---

* يوجد على بقايا آثار خربة محي القديمة نقوش لغزلان وحيوان الماعز البري.

مراعي البادية الأردنية[٣٤] التي لا تتحمل الرعي المستمر لأن الحيوانات تقضم الأعشاب في وقت مبكر، ومن جذورها فتعمل على ازالة الغطاء الأخضر من التربة ولا تعود بالنشاط نفسه في الموسم التالي، إضافة إلى جمع السكان للنبات الجاف وقطع الشجيرات لأغراض التحطيب أو التداوي بالأعشاب*.

أنواع النبات البري للمنطقة الانقالية الهامشية وخصائصه:

يمكن تقسيم النبات في هذه المنطقة إلى نوعين: الشجيرات العشبية المعمرة، والأعشاب الرعوية المقاومة للجفاف.

فئة الشجيرات:

شجرة الطلح والأكاسيا: Acascia agerrardi Benth شجيرة معمرة شوكية طولها ١-٦ متر، ذات أوراق صغيرة زغبية أزهارها بيضاء صغيرة وكروية تنتشر في المناطق المنخفضة على أطراف الأودية وتقل نسبة الشجيرات في المناطق السكنية نتيجة استخدامها في الرعي والوقود وتعد غذاء رئيساً للحيوان رغم أشواكها وتقطع من قبل السكان لاستخدام جذوعها غير المنتظمة والقاسية في بناء المساكن المبنية من الحجر والطين وكذلك لصنع المعدات المنزلية والزراعية.

شجيرة الرتم: Betamaraota Mloebb[٣٦]، شجيرة ذات ساق غليظ يحتوي على ثلاث فروع قائمة متطاولة وأزهارها على شكل كأس أحمر وهي نبتة مقاومة للجفاف والتصحر وتستخدم في تحريج المناطق الجافة وشبه الجافة.

شجيرة العجرم: Anabasisarticuiata من اكثر النباتات انتشاراً في البادية

---

* عندما نذكر الخصائص العلاجية للنبات البريّ نقصد بذلك توثيق الثقافة المادية والتراث الشعبي التقليدي الذي كان يمارسه السكان المحليون وأسلوب معالجتهم للأمراض بالطرق التقليدية وذلك قبل تطور الوعي الصحي وانتشار المراكز العلاجية والصحية في جميع المناطق الصحراوية الحضرية والنائية.

الأردنية وهي تلائم البيئة الجافة وتبقى في حالة إزهار خلال الصيف، وتشغل حوالي ٤٠% من سطح مراعي البادية الشرقية[٣٧].

شجيرة الطرفا/ الأثل: Tamarixaphylla، شجرة بنية الساق وتتكون من عدة فروع صغيرة، لون أوراقها أخضر مائلة للرمادي زاهية وأوراقها صغيرة وأزهارها وردية اللون على شكل عناقيد، أحطابها تستخدم للوقود وصناعة المعدات الزراعية التقليدية، وعصارتها تستخدم لدباغة الجلود، وفروعها الطرية تستخدم لمعالجة الأمراض الجلدية وحالات الاسهال والمغص المعوي[٣٨].

شجيرة الدفلا: Teriumoleander، شجيرة ذات أوراق رمحية سميكة تحمل أزهار متعددة الألوان حمراء أو وردية أو بيضاء أو برتقالية، وتستعمل أوراقها لعلاجات المعدة وأمراض اللثة والأسنان وتنتشر في الأودية وعلى حواف الجداول[٣٩]. والنبتة لها انتشار واسع في البيئة الأردنية.

شجيرة القداد: Astragalusspp شجيرة لها أوراق ريشية تحتوي على مادة صمغية، وتستخدم في علاج الأغشية الأنفية وأمراض المعدة وتستخدم كذلك حطب للوقود.

شجيرة اللبلاب: Haloxylonpersicum Bunge، شجيرة طويلة الساق معوجة ذات قشرة رمادية تستخدم للوقود ومقاومة للجفاف والتصحر[٤٠].

عرامة: Calhgonumcomosum Boiss، ارتفاعها ١,٥م، ساقها قائم، أغصانها خضراء وأوراقها تسقط بسرعة، أزهارها بيضاء وتقاوم الجاف والتصحر مستساغة للرعي وأغصانها تحتوي على نسبة عالية من البروتين.

فئة الأعشاب الرعوية:

يطلق البدو تسمية الشجر على الاعشاب أيضاً وكل نبات ذو ساق مما تنبته البادية[٤١]. والبدوي إذا وصف أرضاً أول ما يبدأ بذكر أعشابها وماؤها وهواؤها. والأعشاب إما قصيرة العمر تنمو وتختفي في مدة قصيرة خلال فصلي الشتاء والربيع وأخرى طويلة العمر نسبياً ويستمر رعيها في الربيع وحتى بداية الصيف[٤٢].

ومنها ما هو حامض كالروث Salsolvermiculata والرمث والشنان Halxylonanabsis* ومن الأعشاب ما له شذى ورائحة عطرية كالشيح Artemislaherba والقيصوم Achilleamile folium[٤٣]، والجريفلا Crevillerobusta[٤٤].

وتكثر الأعشاب في مواضع تجمع المياه وحول الغدران والشعاب وعند المنحدرات وسفوح الهضاب. ومن هذه الأعشاب:

الشيح: نبتة صغيرة عطرية لها أوراق مركبة صغيرة خضراء وأزهار كروية صفراء، استخدمها السكان المحليون لعلاج أمراض الصدر والتنفس والأمراض المعوية**. ويبدأ نموها في شهر شباط وتستمر حتى آذار حيث تزداد نسبة البروتين خلال فترة الربيع بعدها تبدأ تقل بشكل تدريجي وتحتوي على عناصر غذائية جيدة للمواشي خلال فصل الربيع.

الروث، حمض: Salsolavermiculata، نبتة مغطاة بأوبار رمادية وأوراقها خيطية، وهي نبتة رعوية مستساغة للمواشي وتحتوي على نسبة عالية من البرويتن.

الرمث: Haloxvlon Salicornicum، نبتة تتفرع من القاعدة وقد يصل ارتفاعها إلى اكثر من متر، وهو نبات عصيري ليس له أوراق ويبدأ ظهور براعمها الخضراء في بداية شهر كانون أول وتستمر السيقان بالنمو حتى شهر أيلول. وتقاوم الجفاف وتتحمل الرعي ولها قدرة على استعادة النمو وتحتوي

---

* كان البدو يستخدمونه بدلاً من الصابون، (الرحلة التنوخية، ص٣٢).

* نتائج الدراسات الميدانية في قرية محي، صيف ١٩٩٣.

على نسبة عالية من البروتين خصوصاً في شهر آذار وأفضل فترة لرعيها في فصل الربيع[٤٥].

القيصوم: Achilleamillefolium نبات معمر ذو ساق قائمة وأوراق رمحية ذات أزهار أنبوبية بيضاء، عصارته تستخدم لعلاج الجلد والجروح وأمراض المعدة ينتشر في سهول ومراعي المناطق شبه الجافة[٤٦]. ولسكان البوادي والأرياف معرفة جيدة بخصائص هذه العشبة الطبية ويكاد لا يخلو بيت منها.

حرمل: Beganum harmala نبتة معمرة قائمة الساق أوراقها زاحفة ذات أزهار بيضاء نجمية، ثمارها شبه كروية ولها رائحة غير مستساغة، وقد استخدمت قديماً مخدراً ومنظفاً للامعاء ويتداوى بها السكان المحليون بحيث تحرق أوراق النبتة وتستنشق الأبخرة المتصاعدة منها لشفاء الصداع والأمراض العصبية[٤٧].

الجعدة: Teucrumpoluim، نبات معمر له أغصان قطنية، أوراقه مستطيلة ذات أسنان، يستعمل ورقها المغليّ لمعالج أمراض المعدة والأمعاء ويستنشق بخاره لشفاء نزلات البرد والحمّى[٤٨].

الحيوان البري:

منذ العصور القديمة كان الأردن منطقة غنية بمختلف أنواع الحيوانات والطيور البرية بسبب تنوع طبوغرافيته ومناخه شبه الجاف والحرارة الدافئة وتوفر مصادر المياه في الأودية وينابيع الهضاب وجميعها تشكل بيئة ملائمة لانتشار وتنوع الحيوانات البرية[٤٩].

وكانت البادية الأردنية تعدّ مناطق صيد للأمراء الأمويين، وتشاهد اليوم نقوش وتصاوير لحيوانات برية وطيور متنوعة في القصور المنتشرة في البادية الشرقية*. كان يجوب في متصف البادية وإلى وقت قريب أنواع مختلفة من الحيوانات البرية المفترسة كالنمر العربي الصغير والفهد، لكنها انقرضت بفعل النشاط البشري.

---

* ومن التصاوير التي ذاع صيتها نقوش وتصاوير الحيوانات البرية في قصر عمرة وخربة محي القديمة.

وتنتشر في البادية الحيوانات البرية والطيور والزواحف بالإضافة إلى الحشرات، لكن طبيعة البادية تعدّ قليلة الحيوانات بالمقارنة مع المناطق الجبلية والحرجية، وتتمتع حيوانات البداية بخصائص فسيولوجية تلائم البيئة شبه الصحراوية فهي سريعة لتتمكن من الوصول إلى موارد المياه المتباعدة والاستفادة أيضاً من الحشائش التي تنمو عقب سقوط الأمطار(٥٠). وفي البادية كانت تجوب الذئاب Wolfs على شكل قطعان وكانت تهاجم المواشي إن جاعت (٥١). والذئب من الفصيلة الكلبية ومعروف لدى الفلاحين والبدو على السواء بسبب سطوته على مواشيهم. وكان بعض الناس يأكلون لحمه ومنهم من يكتفي بقلبه وكبده فقط بقصد التداوي(٥٢). بالإضافة إلى الثعالب vulpesarupd التي كانت منتشرة على أطراف البادية وهي عدوة مربي الماشية، لذا غالباً ما تجدها مطاردة من قبل الصيادين ومنهم من يأكله بحجة انه مفيد في علاج بعض الأمراض(٥٣). ومن الحيوانات المفترسة أيضاً الضبع Hyaena وهو حيوان كاسر في الليل، ويروي عنه الناس خرافات، منها مثلاً إنه إذا بال على أحد ليلاً فإن بوله يؤثر على قواه العقلية ويصيبه بلوثه من الخبال فينقاد إليه صاغراً ليأكله في حجره، ومن الناس من يزعم بأن لحم جانبه الأيسر يؤكل لانه ذو خاصية سحرية وشفائية(٥٤).

وكانت مشاهدة قطعان الغزلان في الأربعينيات من المشاهد المألوفة في البادية وصيدها شائع في البوادي منذ القدم، وكان السكان يقتاتون بلحومها ويستفيدون من قرونها ويتخذونها أداة لنسج خيوط الغزل، ولكنها انقرضت مؤخراً(٥٥). وتكثر في البادية أيضاً الحيوانات التي تعيش في الشقوق والتربة الهشة تجنباً من الحرارة والجفاف(٥٦). ومن هذه الحيوانات الثدية الأرانب البرية Hare التي تنتشر في البراري وهي دائماً معرضة لمطاردة الصيادين وخصوصاً عند منتصف الليالي المقمرة أو قبيل الفجر حين تخرج من جحورها طلباً للطعام بعد ان تبقى مختبئة طوال النهار.

وتعدُّ الحيوانات الحافرة واسعة الانتشار في البيئة الجافة حيث تتغذى على جذور

النباتات والحشرات مثل الأرانب والجرابيع وورل الصحراء Varanus griseus[٥٧]. ومن الزواحف أيضاً العضاية سحلية الصحراء وأفعى الرمال Pasammophis sekokari[٥٨]، ومن الحشرات العقارب الصفراء والجراد Seistoceria gregria[٥٩] وللجراد دورة حياة قصيرة ويحافظ على بقائه بقدرته على الترحال، وكانت لوقت قريب تهب في أوائل الربيع موجات من الجراد قادمة من عمق المناطق الشرقية حيث كانت تلحق الأضرار بالغطاء النباتي ومزروعات الأطراف الشرقية للهضبة.

وتنتشر في البادية الطيور على اختلاف أونواعها، منها الجوارح كالنسور التي يعتقد الصيادون بأن لحمها فيه شفاء من بعض الأمراض العصبية، وكذلك العقبان والصقور Falcosacer وهي من الطيور الجارحة النهارية[٦٠] تهاجم الحمام البري Columba polumbus والحجل Perdexgraeca وهو من الطيور البرية التي تضع بيوضها في فصل الربيع، لونها رمادي ومخططة بالأسود وتزن حوالي ٤٠٠ غم وطولها حوالي ٣٣ سم[٦١]. والشنار وهو بحجم الدجاجة، وبعض السكان يلجأ إلى وضع بيضة تحت الدجاج وعندما يفقص يعيش الفرخ مع الدجاج ثم يعمدون على نزع ريشه حتى لا يطير بعيداً[٦٢]. وما زال الصيادون الهواة يطاردون هذه الحيوانات البرية مستخدمين شتى أنواع الصيد وأدواته خصوصاً في فصل الربيع*.

---

* عمدت الجمعية العلمية الملكية لحماية الطبيعة مؤخراً على إصدار نشرة تعليمات الصيد تحتوي على جدول مناطق ومواسم الصيد تثبت فيها أنواع الحيوانات البرية وفئاتها والموسم والعدد المسموح بصيده وتحدد فيها ايضاً مناطق الصيد.

الوصف الطبوغرافي

جاء التعبير التقليدي المحلي الشائع لدى سكان هضبة الكرك (محي ما وراها حي) أصدق وأدق تعبير مختصر لوصف حالة القرية المنعزلة بعيداً عن العمــران وتكــاد تكون القرية الوحيدة من قرى محافظة الكرك التي تحيط بها أراضي شاسعة فارغــة دون ان تتخللها مراكز سكانية فإن أقرب تجمع سكاني لقرية محي يقع إلــى الغــرب على بعد (١٠ كم) حيث قرية أم حماط التي تعتبر بدورها القرية التي تقع في أقصى أطراف هضبة الكرك من جهة الشرق. فقرية محي إذن تقع في منطقة نائية بعيدة عن مراكز العمران بعكس قرى الهضبة التي لا تبعد القرية عن الأخرى أكثر من (٣كم) وأحياناً أقل ولولا وجود البقايا الأثرية في الموقع وتوفر مصادر المياه من آبار وبرك لم يُعَدّ الموقع مكاناً ملائم للاستيطان الدائم في مطلع هذا القرن.

لقد عرف عن أطراف الهضبة الشرقية وحوافها بأنها منطقة هامشية خاليــة مــن المراكز العمرانية بالمقارنة مع مراكز الاستقرار الريفي المنتشرة بالهضبة الغربيــة ومناطق ما وراء أطراف الهضبة شرقاً تعتبر مجال نفــوذ البــدو وحيثمــا ســنحت الفرصة للاستقرار فيها اختيرت الخرب وبقايا المواقع الأثرية التــي كانــت عــامرة بالسكان قديماً مكاناً للإقامة وإعادة انتاج مراكز عمرانية جديدة كما هو الحــال فــي قرية محي.

تقع محي على أعلى قمة هضبية يبلغ ارتفاعها (١٠٣٠م) عن سطح البحر، وتعتبر التلة الأعلى ارتفاعاً في وسط سهل واسع، الشيء الذي يسمح للقريــة بــأن تــشرف وتراقب كامل المحيط من جهاته الأربع. يمتد النسيج العمراني ضمن سفوحها الشرقية والجنوبية ويبلغ متوسط ارتفاع الهضبة التي تحتلها القرية (٦٤٠م).

ورد في سجل الأراضي* أول تثبيت لحدود مجموع أراضي القــرية المثبتـــة

---

* لقد انشأت الإدارة العثمانية في منطقة الكرك دائرة تسجيل الأراضي أطلق عليها اسم (الــدفتر الخاقــاني) مهمتها إجراء معاملات تسجيل الأراضي وإعطاء سند طابو بها بعد دفع الرسوم المستحقة. هذا وان أول=

في سجل الأراضي (الخاقاني)* بتاريخ حزيران ١٩٢٥، صفحة ٢، موزعة كحصص وكحق تصرف الأفراد من قبيلة الحجايا، كذلك لعشيرة البشابشة مثبتة في نفس السجل بتاريخ كانون ثاني ١٩٢٥، ص١٧٣.

حدود مناطق عشيرة القضاة:

شرقاً يحدها جبل السرابيط، وشمالاً الطريق التي تبدأ من رأس رجم قفيقف وقلعة الدفيافة ووادي محي وأرض الشيخ غيث الحجايا وعشيرته، غرباً رجم أم الويزة جنوباً اشكار ورجم ناصر.

حدود مناطق قبيلة الحجايا:

يحدها شرقاً رجم قفيقف، وشمالاً شعب أم علندا وأرض الشيخ حمد القضاة وعشيرته، وغرباً الاستقامة المتجهة إلى الجنوب بين رجم قفيقف ورجم المسمر، وجنوباً وادي حنيفة شموس الفاصل أرض قفيقف.

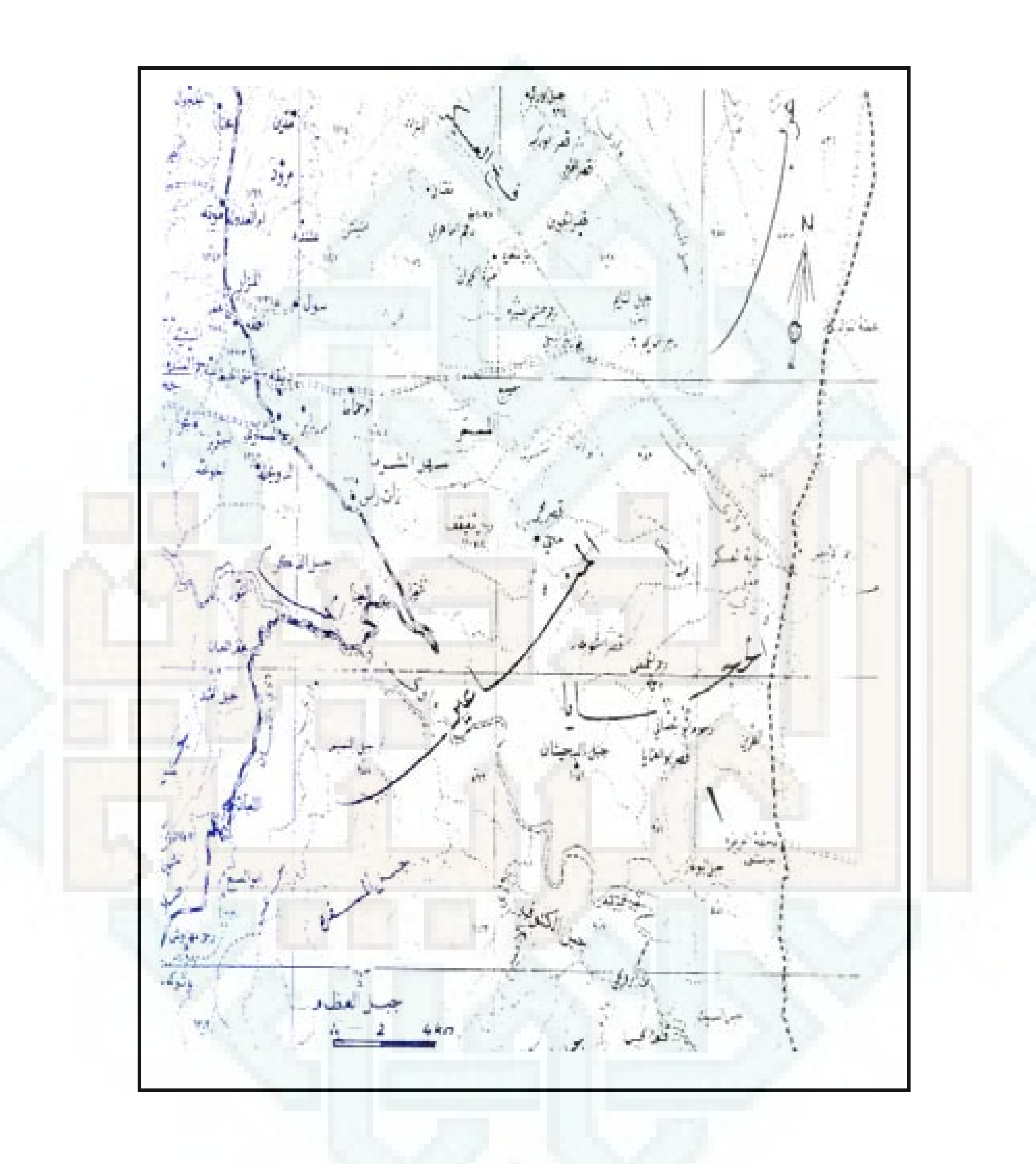
لقد تم تعيين حدود هذه الأراضي استناداً إلى وثيقة الإدارة السنية المؤرخة في ٧ حزيران ١٩١٩ الصادرة في مجلس شورى الحكومة العربية السورية بدمشق، أي استناداً إلى وثيقة جلالة الملك فيصل الذي قسم فيها أراضي قرية محي بين قبيلة الحجايا وعشيرة القضاة**.

لقد توضحت حدود القرية في خرائط التسوية والمخطط الهيكلي لمحي الصادرة عن دائرة الأراضي والمساحة-عمان في عام ١٩٥١ حيث ثبتت عليها

= تسجيل مثبتة في السجلات وتخص منطقة الكرك تعود إلى شهر تموز سنة ١٨٩٩-١٩١٦مالية،وان أقدم إشارة في السجل تخص قرية محي أراضيها وعشائر تعود إلى حزيران ١٩١٩، ص٢٢.(محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء...،ص١٣٩).

* سجل ١٩٢٥-١٩٣١، ص٢، حزيران ١٩٢٥، ميكروفيلم محفوظ لدى لجنة التراث، جامعة مؤتة.

* سوف نفصل مسألة الأراضي واستغلالها بين السكان في الفقرات الخاصة بها.



خارطة مناطق وجنوب محافظة الكرك

سبعة أحواض* حوض البلد، حوض قفيقف، حوض أم السرابيط، حوض قلعة الهيطلي، حوض أبو مرارة والعطوس، حوض أم الويزة، حوض تلعة مفلح.

وتُعَدّ الاراضي المحيطة بالقرية من جهة الشمال الشرقي براري قسم منها مملوك، والقسم الآخر مشاع. أما الأراضي التي تقع إلى الشرق فتعد أراضي محلولة (مشاعاً) على اعتبار أنها واجهات نفوذ لعشائر القرية والأراضي الجنوبية أيضاً (مشاع) لكن الأراضي الجنوبية الغربية أي منطقة صليلا وصلول فهي أراضي مملوكة.

ولسكان محي الحاليين طريقة في تعيين حدود قريتهم فيشيرون إلى منطقة غرب البلد بوادي الحنو وأبو الدود ومنطقة الدمثة والمشاتل، ثم وسط البلد إلى الشرق منطقة أبو بطمة جميعها جميعها للقرية، وأراض جنوب القرية أي منطقة أم السرابيط ومنطقة صليلا وصلول تعتبر امتداد لأراضي محي، أما شمال القرية تقع منطقة أم حيطان وتعتبر لرعاة محي**.

---

* خارطة قرية محي قضاء الكرك، دائرة الأراضي والمساحة، عمان، ١٩٥١، مقياس رسم ٥٠، ١٠:١٠٠.

** نتائج معطيات الدراسات الميدانية، محي، أيار ١٩٩٤.

محي ومحيطها

يستدل من طبيعة النشأة العمرانية وبقايا الآثار في قريـــة محـــي علـــى ديمومـــة الاستيطان البشري فيها واستمراره على مراحل مختلفة وبدرجات توطن مختلفة مـــن الممكن التعرف على أوائل أنماط الاستقرار والاستيطان البشري من بقايا آثار العمائر التي تحتل أعلى الهضبة وسفوحها الغربية التي تحتوي على بقايا أساسات ضخمة تدل على ان الموقع كان حصناً منيعاً في العصر الروماني والبيزنطـــي وحتـــى عـــصر المماليك العثمانيين(٦٣). تليها مرحلة من الاستيطان البشري في مطلع هذا القرن يتمثل في قرية محي القديمة التي تحتل سفوح الهضبة من الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية وتتكون من نسيج معماري من المساكن التقليدية المبنية من الحجر والطين ويعلو قمة الهضبة منزل(قصر غيث بن هداية الحجايا المقام على أثر نبطي من الممكن مشاهدة أساساته أسفل البناء، من أعلى القصر يمكن مشاهدة جميع أرجاء المحيط للمـــسافات البعيدة. ثم مرحلة الاستيطان الحديث (منذ منتصف الستينات) في قرية محي الجديـــدة وينتشر العمران فيها إلى جهة الشرق من الحي القديم ثم يمتد إلى الجنوب والـــشمال في قرية محي الحديثة التي تحتوي على المؤسسات كالمسجد الذي يقع في منتـــصف القرية، والمجلس القروي والمركز الصحي وشعبة البريد والجمعية الخيرية وبعـــض المحلات التجارية ومدرسة الإناث التي تقع في سفح تلة إلى الغـــرب مـــن الـــشارع الرئيسي المحوري الذي يخترق القرية يقابلها على الطرف المقابل في التلة الـــشرقية مدرسة الذكور.

إنّ ما يميز القرية خلوها من المساحات الخضراء بسبب ندرة الماء ولكـــن يوجـــد فيها بعض الحدائق المنزلية المزروعة بأشجار الزيتون في الطـــرف الـــشمالي مـــن القرية في حي عشيرة الحجايا، وأيضاً في المنطقة الجنوبية من القرية وتروى هـــذه البساتين بواسطة أنابيب المياه المخصصة أصلاً للاستهلاك المنزلي*.

---

* معطيات الدراسات الميدانية في القرية، محي، ١٩٩.

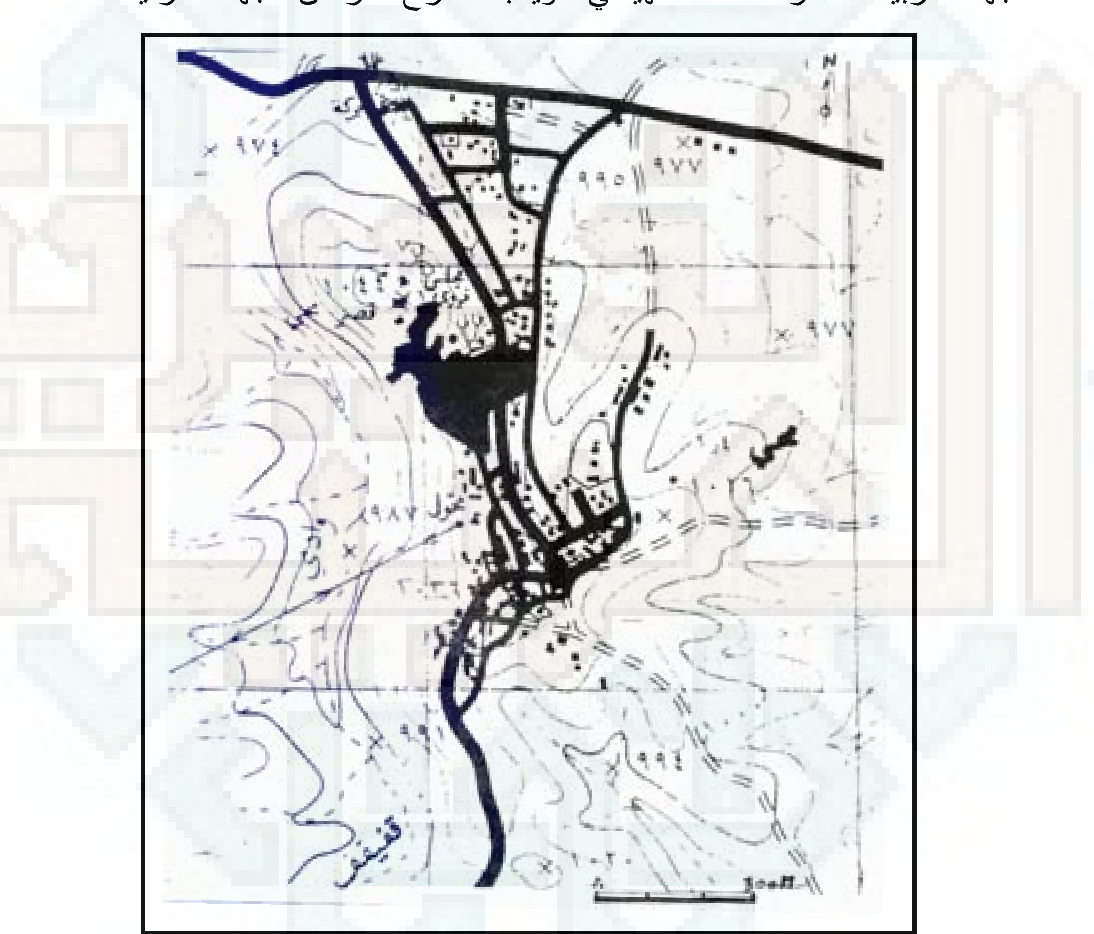
نظام الطرق:

معظم القرى الحالية في المنطقة تتبع خطوط الطرق القديمة، فالطريق السلطاني الذي كان مستخدماً منذ العصر البرونزي[٦٤] (الألف الثاني قبل الميلاد) واشتهر في العصور الكلاسيكية، يصل أقصى جنوب الأردن بشماله ماراً بهضبة الكرك وتتقاطع معه دروب شرق غرب منها الدرب الذي يحاذي وادي الحسا والدرب الذي يصل مراكز الاستيطان القديمة بعضها ببعض وتصل مثلث الحصون التي الذي تقع شرق الهضبة والمكونة من خربة نخل، محي، ذات رأس. وقرية محي تعد احد حصون الحدود الجنوبية للهضبة حيث تتحكم بالممرات القادمة من البادية شرقاً باتجاه الهضبة غرباً[٦٥].

ويعد طريق الحج الشامي القادم من دمشق شمالاً والمحاذي لسيف البادية الشرقية باتجاه الديار الحجازية جنوباً من أهم دروب المشرق في العصور الوسطى على الاطلاق وازادادت أهميته خلال الحقبة العثمانية (١٥١٧-١٩١٦) وخصوصاً في نهاية القرن التاسع عشر. يقع الدرب على بعد ١١كم إلى الشرق من القرية، ولقد استفادت القبائل المنتشرة على طول الدرب وخصوصاً قبيلة الحجايا التي تسكن في منطقة محي من جراء العمل على خدمة قوافل التجارة والحجيج والقيام بنقل البضائع بواسطة الجمال وسيلة نقل بعيدة النجعة استخدمت بفاعلية للتنقل بين المحطات مقابل اجر مدفوع[٦٦].

وازدادت أهمية الدرب على أثر إنشاء الخط الحديدي الحجازي الذي بدأ العمل فيه (١٨٩٩-١٩٠٩) والذي لعب دروا حاسماً في حياة سكان المنطقة (كما سنرى لاحقاً) بفضل تسيير القطارات البخارية على الخط كان يأتي المسافرون من قرى جنوب قصبة الكرك مارين بقرية محي للوصول إلى القطار المتوقف في محطة السلطاني (الأبيض) ومن ثم متابعة السفر شمالاً حتى عمان ومن ثم إلى دمشق، أو جنوباً باتجاه معان ومنها إلى الحجاز. وقد ذكر سكان محي بأن بعضهم اشتغل في نقل بضائع المسافرين من المحطة إلى الكرك خلال العقود الأولى من هذا القرن، وكانت وسيلة النقل الشائعة في تلك الفترة دواب الركوب من حمير وبغال وخيول وجمال.

وتتصل قرية محي الحديثة ببلدة المزار مركز لواء المزار بطريق (غرب–شرق) معبد يربط جنوب الهضبة بالمناطق الشرقية الطريق الصحراوي السريع عند مدخل القرية الشمالي يتفرع منه شارع باتجاه الجنوب مخترقاُ القرية على شكل محور شمال–جنوب حتى أطرافها الجنوبية ويستمر جنوباً على شكل طريق شبه معبد حتى يصل قرية الحامدية الناشئة حديثاً في عام ١٩٧٥ والتي تبعد عن قرية محي حوالي ٩ كم جنوباً، وتتوزع أحياء القرية على جانبي الطريق الحي الشرقي والحي الغربي وتتقاطع معه عدة شوارع شرق–غرب ويوازي الشارع الرئيسي شارعان الأول من الجهة الغربية– انظر المخطط الهيكلي– ويقابله شارع آخر من الجهة الشرقية.



خارطة خطوط المواصلات في محي

الاستقرار في المنطقة:

تنتشر على الحواف الشرقية لمناطق العمران أعداداً كبيرة من الخرب وبقايا المواقع الأثرية* والتي استمرت معروفة باسمائها لدى الفلاحين وسكان البوادي لأن بقاياها وآبارها ما زالت قائمة حيث استخدموها مراعي وحظائر لمواشيهم واستفادوا من مياهها بعض هذه الخرب اعيد استيطانه من جديد، بعضها يقع على الحواف الشرقية من هضبة الكرك وتطل على مشارف الصحراء كانت تعد بمثابة بوابات جنوبية للهضبة المؤابية بحيث تتحكم بالممرات القادمة من البادية باتجاه القرى الزراعية. ومن أهم وظائف هذه المراكز حماية مناطق العمران من موجات القادمين من جهة الشرق، وحصن محي يعد بمثابة آخر الحصون الشرقية الواقعة على حدود الهضبة المؤابية(٦٧).

وتوجد أيضاً خربة مديبع إلى الشمال الغربي من محي، وهي عبارة عن حصن مسور يقع على قمة هضبة ترتفع حوالي ١٠٠٠م ويقع تحت مداها كل من محيط محي إلى الجنوب الشرقي وتوجد في المنطقة أيضاً خربة المهري(٦٨) الواقعة إلى الشمال الشرقي من محي، وهي عبارة عن حصن يشرف على المناطق المحيطة به من جميع الجهات، وكان يعتمد سكانه على مياه الآبار في فصل الصيف وعلى مياه الأودية في فصل الشتاء، ومن هذا الحصن يمكن مراقبة أعالي الروابي المنتشرة في المنطقة لذا كان من الصعب على القادمين من جهة الشرق أن يعبروا الغرب دون أن تلحظهم مراقبة الحصون المنتشرة على أطراف البادية الشرقية(٦٩).

وإلى جوار هذه الحصون تنتشر مجموعة من المراكز الدفاعية العسكرية والخرب والرجوم وهذه دلالة واضحة على الحماية التي كانت تتمتع بها هضبة الكرك

---

* اسم خربة يأتي بأشكال مختلفة مثل خربة، خريبة، خراب، خرابة، وترد الكلمة في الساميات أيضاً فهي في الأكادية خريبا huribta خرابو Harabu، وفي الكنعانية خوربا Horba، والأرامية خربيتا Harbeta وخروب Herob، وللخرب مكانة تاريخية وليس بالضرورة أن تكون الخربة مهجورة دائماً وإنما قد تكون قد استوطنت من جديد. (د. سلطان المعاني، أسماء المواقع الجغرافية في محافظة الكرك- دراسة دلالية اشتقاقية، ص٥٨).

المؤابية. ومن هذه المواقع رجم* قفيقف يقع إلى الغرب من محي،ورجم المسمر يقع في أطراف أراضي محي الشمالية الغربية، وخربة صليلا وصلول جنوب غرب محي، وخربة نخل وذات راس، وخربة خشم السيرة**، وجميعها تقع على بعد مسافة قصيرة من خربة مديبع باتجاه الشمال الشرقي وتطل على المناطق المحيطة من جميع الجهات(٧٠).

وتشير المعطيات التاريخية (Clueck, p. 69, Musil, p. 307, 480, Van, zyl. P. 102) بأن سكان جوف البادية كانوا دائماً مصدر موجات بشرية تجتاح هوامش العمران الزراعي المستقر وذلك عندما تضطرهم نوبات القحط والجفاف المتكررة في بواديهم فيعمدون على مهاجمة جيرانهم لاستغلال المراعي والرعي في الحقول الزراعية، كما انهم لم يخضعوا لأي سلطة مركزية ابتداءً من الامبراطوريات الكلاسيكية اليونانية والرومانية وانتهاءً بالعثمانية والبريطانية (حكم الانتداب)، وقد ساعدهم على ذلك سرعة تحركهم ونمط حياتهم غير المستقرة. والقضية بالنسبة لهم لم تكن عداوة متأصلة اتجاه الأرياف وإنما هي مسألة حياة أو موت فكثيراً ما كان هذا الاجتياح سبباً في انحسار العمران على أثر هروب الزراع وتركهم لأراضيهم ليستوطنوها هؤلاء الرعاة عنوة الذين يطيب لهم البقاء قرب موارد المياه والكلأ. وبنتيجة قدومهم تمتد رقعة الصحراء غرباً ويشيع القفر نتيجة لعدم قدرة الأرض على تجديد المرعى بسبب ارهاقها بأعداد رؤوس المواشي التي تفوق طاقة انتاج المرعى، وهذا ما يفسر من إنشاء الرومان لخط الدفاع المكون من الحصون المدعومة بمخافر والمنتشرة على هوامش البادية الشرقية وهو تقليد اتبعه العثمانيون الأتراك بإقامة سلسلة من القلاع على هامش البادية أيضاً لتأمين دروب القوافل وتأمين سلامة طريق الحج(٧١).

---

* رجم: تأتي بمعنى قبر، أو بئر، أو حجارة، أو حجر شاهد، ويستدل من بقايا هذه الرجوم على أنها كانت مواقع استيطانية قديمة. (بالتصرف د. سلطان المعاني، ص٥٩).

* ترد هذه الكلمة باسم خشم، خشيم بمعنى منفذ أو مخرج، أما إيحاء هذا الموقع تعني الحاجز الدائري المبني من الحجارة وتحشر فيه المواشي. (د. سلطان المعاني، مصدر سابق، ص٥٨).

وحين خضعت المنطقة للحكم العثماني منذ البدء بنى السلطان سليم الأول (١٤٦٧-١٥٢٠م)[٧٢] سلسلة من القلاع على طول طريق الحج الشامي، وأنشأ البرك لجمع الماء إلى جانب كل قلعة، ومن هذه القلاع التي تقع إلى الشمال الشرقي من منطقة محي قلعة القطرانة التي بينت في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٥٩م)، وقلعة الحسا إلى الجنوب الشرقي من محي والتي بنيت في عهد السلطان مصطفى الثاني (١٧٥٧-١٧٧٤م).

وفي هذه البيئة الجافة شبه الصحراوية تفاعل الإنسان وتأقلم الظروف البيئية، فالإنسان بدوره لاءمة نمط الانتاج الرعوي وأسلوب النجعات والتنقل وراء الماء والكلأ. والحيوان من النوع الذي يتحمل الجفاف ويستهلك كميات قليلة من الماء في مناطق فقيرة الماء والعشب. ويتميز النبات بخصائص فسيولوجية بحيث استفاد من أدنى درجات رطوبة التربة.

كان نمط الاستيطان وليد تفاعلات بين المستقرين والبيئة المكملة لصورة صراع الإنسان مع الطبيعة والتأقلم فيها. إن أسلوب حياة الناس الذين يمتازون بأنهم نصف رحل تعد من أقدم الأنماط السائدة في بادية المشرق بالرغم من استمرار نزعة الصراع على الأراضي الجيدة، فغالباً ما تسوى النزاعات بالانصهار بين أشباء البدو والمستقرين والاتفاق على حق استخدام الأرض ومصادر الماء وتبادل المنافع، ويلاحظ أن البدو المنتشرين على حواف البوادي وقرب القلاع وطرق القوافل القديمة وحول الخرب ومصادر المياه نزعوا إلى الاستقرار بوقت مبكر واذن لهم لاحقاً بامتلاك الأراضي من قبل السلطة المركزية التي شجعت على استقرار وتوطين البدو. لقد مرت عملية الاستقرار بمراحل عدة وشهدت حالات من المد والجزر، ففي السابق شهد تاريخ المشرق محاولات للاستقرار لكنه لم يدم فسرعان ما يعود البدو المستقرون إلى حياة الترحال عقب فترات من الجفاف أو طغيان قبائل بدوية صرفة وانعدام الأمن باستثناء التحول الأخير في الاستقرار فقد كتب له النجاح مع نهاية القرن التاسع عشر واستمر بشكل متدرج وحاسم دون عودة إلى نمط حياة الترحال بفضل سياسة السلطة المركزية المتنفذة وحثها على تشجيع الاستقرار. فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر

استعادت السلطة العثمانية سيطرتها على بلاد الشام على أثر تراجع حملة إبراهيم باشا إلى مصر عام ١٨٤١، على أعقابها مرت البلاد بفترة من الفوضى وسيطرت القبائل البدوية تلتها ثم مرحلة استعادت السلطة العثمانية السيطرة على المراكز الإدارية اتبعتها بسلسلة من الاصلاحات فنظمت الحاميات العسكرية وجباية الضرائب، وفيما يخص المنطقة هنا فقد استعادت السلطة العثمانية السيطرة على متصرفية الكرك في ١٨٩٤ وربطتها بوالي دمشق*.

ومن العوامل المساعدة على استقرار البدو انشاء الخط الحديدي الحجازي سنة ١٨٩٩-١٩٠٨ الذي ربط جنوب البلاد بشمالها عبر سوريا حتى استانبول مما ساعد على استفادة القبائل البدوية من الخط ودعم الاستقرار على امتداده وقرب منشآت محطات السكة**. وقد عمل البدو في تلك الحقبة بحرفة النقل وحراسة القوافل التجارة والحج، وهذا العمل يلائم سلوك البدوي الذي يأنف العمل اليدوي والعمل في الزراعة، لكنه تطور لاحقاً-ما سنرى- إلى تقبل العمل اليدوي مثل العمل في رصف الطرق الناشئة ومد خطوط السكك الحديدية والعمل في مناجم الفوسفات أو مزارعين بالمشاركة مع فلاحي هضبة الكرك.

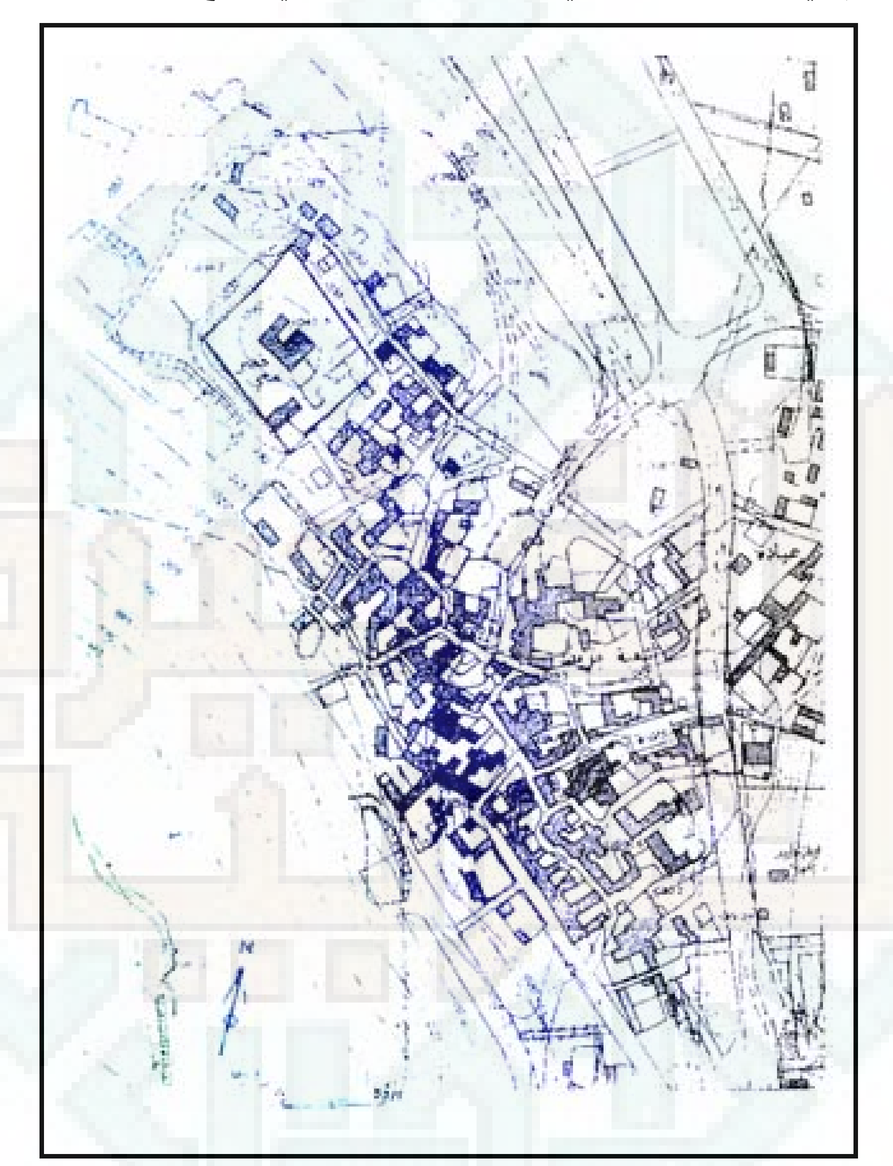
ولقد بدأت ميول الاستقرار لدى قبيلة الحجايا على يد شيخها غيث بن هداية في نهاية القرن التاسع عشر والذي اهتم بالإقامة في محي وبناء قصر منيع على أنقاض الأثر النبطي القديم في مطلع هذا القرن وتقاسم الأراضي مناصفة مع عشيرة القضاة والبشابشة الريفيتان، فكان أن تعاون في الاستيطان بالموقع فئة من السكان صاحبة خبرة وتراث زراعي مستقر وتقاليد ريفية ممثلة في عشيرتي القضاة والبشابشة

---

* على الرغم من ذلك لم يمنع الفلاحين من القيام بهبّات ضد الحاميات التركية بسبب إرهاقهم بالضرائب وفرض الجندية وأعمال السخرة كما حدث في ثورة الكرك سنة ١٩١٠ ونتائجها الدرامية على القرى الثائرة حيث أخمدها الجند الأتراك بالقتل والتنكيل بالثائرين.

** أثناء الشروع في إنشاء الخط الحديدي قاومت القبائل البدوية المشروع بشدة وهاجمت المنشآت والجنود عدة مرات لأنها وجدت في الخط حرماناً لها من عائد حماية القوافل وتأجير دواب النقل.

القادمتين من الكرك إلى جانب قبيلة الحجايا البدوية شبه المستقرة والتي على استعداد لممارسة نمط الإنتاج الرعوي الزراعي التقليدي، وقد تم حينها عملية الاستيطان في بقايا الخربة القديمة وبيوت الشعر والمغاور وبيوت الحجر والطين القديمة ثم في المساكن الحديثة في أحياء القرية الجديدة في مطلع الستينات.



المخطط الهيكلي لمحي

وصف المعالم الاثرية والتاريخية في محي

- **بقايا خربة وأساسات لمنشآت رومانية:** تقع في السفوح الغربية من هضبة محي، وهي عبارة عن بقايا آثار لمواقع أبنية قديمة وأساسات من الحجارة الضخمة المنظمة يبلغ طول بعضها ثلاثة أمتار وهي كثيرة ومتوفرة بكثافة يتخلل هذا الموقع مغاور وآبار قديمة.

هناك أساسات بناء قديم، وهي عبارة عن جدران حجرية ضخمة، تقع مباشرة خلف القصر من الجهة الغربية في منتصف المنحدر وحجارة الأساسات وهي منحوتة بشكل جيد ومستطيلية الشكل تبلغ أبعاد بعضها ثلاثة أمتار وعشرين سنتمتراً ويبلغ العرض ثمانين سم عرضاً ويبلغ السمك ثلاثين سنتمتراً ويبلغ ارتفاع جذر الأساس من مترين إلى ثلاث أمتار مخطط الأساس هذا مستطيل الشكل قسم إلى حجرات ومساحته الطول ٣٠م، العرض ١٦م وسماكة الجدران ١٤٠سم.

توجد حول الأساس وفي الأطراف المحيطة بقايا لعقود ومنحنيات على شكل دهاليز ويحيط بهذا الموقع الكثير من بقايا المنازل والحجارة المترامية وفي مختلف الاتجاهات وربما استخدم البناء أحد المنشآت الإدارية العسكرية في تلك الحقبة هذا إذا اعتبرنا بأن الأثر الذي يعلو القمة والذي يقع أسفل القصر عبارة عن قلعة رومانية استعملت بقاياها كأساس لقصر غيث الهداية.

هناك الكثير من أكوام الحجارة وضعت على شكل أساسات لأبنية تغطي مساحة بكامله السفح الغربي وعند تدقيق النظر تبدو أنها مقسمة على شكل مخطط رقعة الشطرنج. تتدخل بعض هذه الأكوام مساحات مستديرة الشكل فارغة أرضيتها من الصخر المستوي الطبيعي تقع في الجهة الجنوبية.

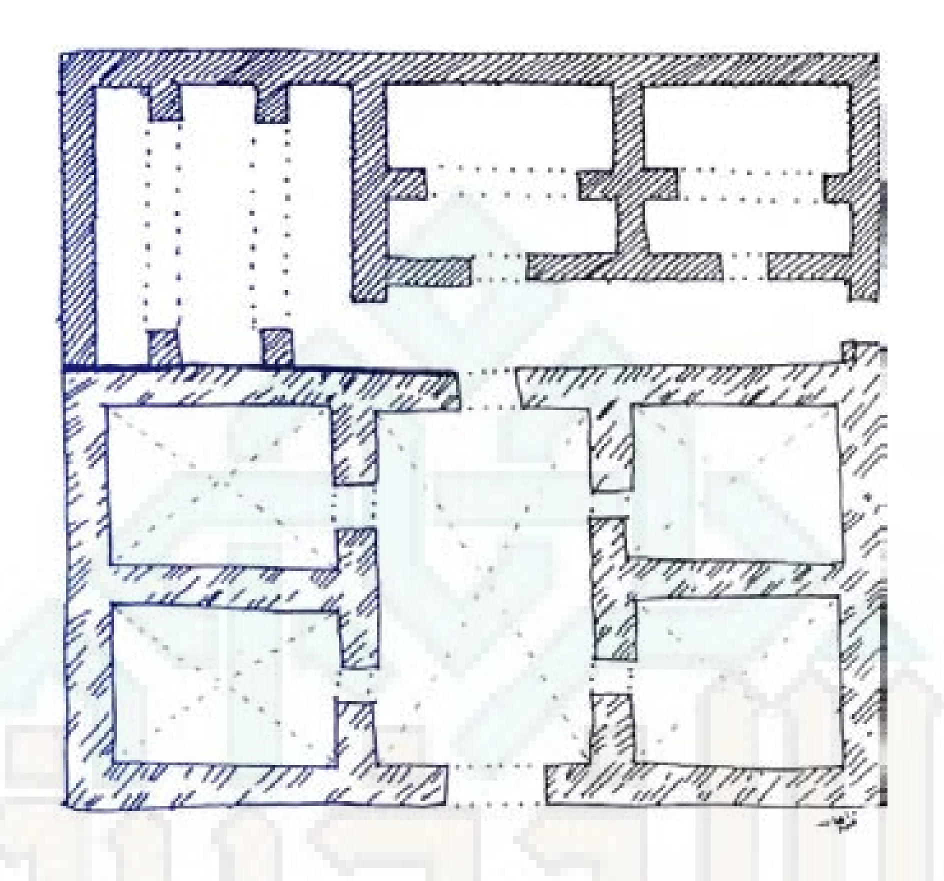
قصر غيث بن هداية الحجايا

يقع على أعلى قمة هضبة محي في الشمال الغربي من القرية القديمة ويشرف عليها، ومنه يمكن مراقبة ومشاهدة جميع السهول والأراضي المحيطة بالقرية من الجهات الأربع.

أطلق عليه السكان اسم قصر عوده بسبب السكنى الطويلة فيه من قبل ابن شيخ الحجايا عوده بن غيث الهداية الذي سكنه حتى عام ١٩٦٠ ثم تركه بعدها ليسكن في أحد منازل القرية الحديثة. وقد بناه غيث بن هداية الحجايا بتشجيع ومساهمة من السلطة العثمانية وذلك في حدود منتصف العقد الثاني من هذا القرن.

مخطط البناء: مربع الشكل يتوسطه ممر على شكل موزع، تتوزع أربعة غرف على جانبه الشرقي والجنوبي غرفتان أربعة مربعتا الشكل في كل جهة يفتح به الباب الرئيسي المؤدي إلى الخارج ويتخلله من الخلف باب آخر يفتح على الملحق الملاصق للقصر من الجهة الغربية، وتوجد نافذتان حول المدخل الرئيسي في الواجهة الشرقية للقصر، كما رفع سقف كامل البناء على عقود منحنية نصف دائرية كل غرفة يعلوها عقد البناء والممر يتوسطه عقدان منحنيان ويوجد درج بالقرب من الباب الغربي الذي يفتح عليه الملحق يمكن الصعود منه إلى سطح القصر.

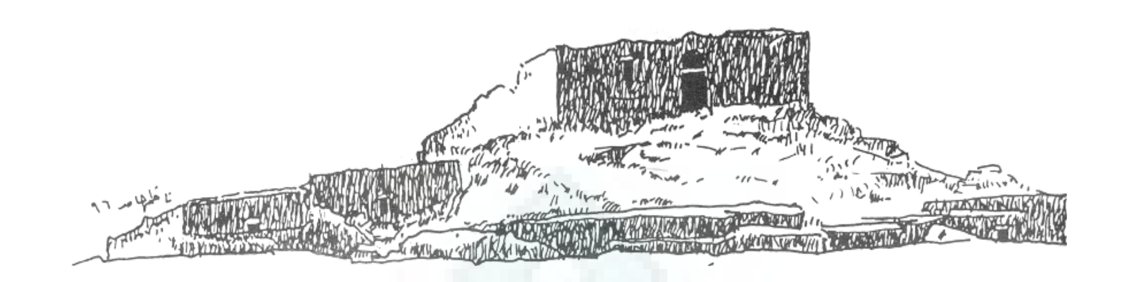
سماكة جدران القصر متر واحد وخمسة سم مساحة الغرفة الواحدة. الطول ٦,٤٠×٥م تفتح الغرفة على الممر الموزع بواسطة باب مستطيل ضمن فتحة على شكل قنطرة يقابله في الجهة المقابلة من الجدار نافذة مستطيلة الشكل تفتح على الفضاء الخارجي، والجدران الجانبية عمل فيها مصطبة ضمن الجدار وضع إلى



جانبها حجر في الجدار على شكل رفـوف توضـع فيهـا الحاجيـات والأدوات المنزلية.

مادة البناء:

بني القصر بالكامل من الحجارة الكبيرة والمتوسطة الحجـم المنظمـة والمـشذبة والمرصوفة جيداً يتخللها الطين، أما السقوف فقد رفعت على عقود منحنية تبدأ مـن زاوية الغرفة وتلتقي في منتصف الغرفة على شكل رأس العقد مبنية مـن الحجـارة المنظمة ومرصوصة بحجارة الدبش والطين، تعلوها شبكة من الأغـصان والقـصب مكسوة بطبقة من الطين لتجعل من سطح السقف سطحاً مستوياً.



-البناء الملحق الملاصق للقصر من الجهة الغربية:

ما يلفت النظر في هذا الجزء من البناء أنه بني في فترة لاحقة حيث أملته ظروف اتساع حجم العائلة والتطور العمراني في القرية، ويبدو أن الفرق في هذا الجزء بالمقارنة مع القصر الأساسي واضح سواء من حيث شكل ومخطط البناء وطريقة عمل السقوف أم نوع وشكل الحجارة المكونة للبناء.

من ناحية المخطط وضع كباقي مخططات المنزل القديمة الأخرى في القرية، بناءً مستطيل الشكل مقسم إلى غرف من الجهة الغربية والجنوبية يتقدمها باحة تفتح على الخارج من الجهة الشمالية وتتصل بالقصر عن طريق بابه الغربي.

أما بخصوص السقوف فقد رفعت على قنطرة على شكل عقد قوس منحني نصف دائري يتوسط الغرفة من الشمال إلى الجنوب يستند عليه السقف المبني من شبكة الأغصان والقصب (البوص) مغطى بطبقة من الطين. تختلف أنظمة غرف الملحق عن نظام الغرف في القصر نفسه فهناك كما ذكرنا لا يتوسط الغرفة قنطرة على شكل عقد منحنى وإنما يعلو الغرفة عقد كامل تبدأ قاعدته من زوايا الغرف الأربع.

يتكون الملحق من ثلاث غرف اثنتان في الجهة الغربية وواحدة مستطيلة تقع في الجهة الجنوبية، يتقدم البناء باحة مستطيلة الشكل تفتح عليها الغرف ويتميز الجزء الجنوبي من أبناء الملحق بوجود قنطرتين على شكل عقد منحنى تتوسط الغرفة وتحمل السقف، مكونة بنفس الوقت حجرات هي بمثابة مرافق حيوية في البناء، تستعمل مخازن.

أما مادة بناء الملحق فيها من الحجارة الدبش الشبه مشذبة والمنظمة بشكل جيد عند فتحات النوافذ وحول الأبواب والمداخل الرئيسية وهي أصغر حجماً من تلك التي بُني فيها القصر ولونها يميل إلى الرمادي مرصوصة جيداً ومدكوكة بالطين.

مساحة الملحق كاملاً الطول ٩,٢٠م العرض ١٣م الارتفاع ٤م.

من الجدير بالذكر أن الحجارة المستخدمة سواء في القصر أو الملحق قد أخذت من بقايا الخربة الرومانية القديمة، بدليل وجود بعض الحجارة التي تحمل آثاراً لنقوش ورسوم محفورة. هناك حجر ضخم مستطيل الشكل وضع أساساً في زاوية القصر الغربية الشمالية تظهر عليه نقوش قديمة على هيئة غزالين متقابلين وإلى الأسفل زخرفة هندسية على شكل معين متقاطعة.

إنما يسترعي النظر أيضاً أن القصر بكامله والملحق أيضاً على أساس بناء أثري قديم يعود للفترة الكلاسيكية ربما كان قصراً وتهدم وأعيد بناؤه من جديد وبأسلوب وطراز مختلف (أي القصر الحالي) ويمكن مشاهدة قناطر وعقود أرضية تقع في باحة الملحق.

أما حالة القصر الآن فما زال قائماً بشكل تام وجيد بما فيه الجدران والسقوف وغرف الملحق باستثناء انهدام أصاب سقف إحدى غرف القصر من الجهة الشرقية الشمالية وسقف الغرفة الجنوبية في الملحق. ويلاحظ أيضاً بعض عمليات الترميم والترقيع بالاسمنت عملت مؤخراً في بعض جوانب وغرف القصر. وهناك أثر لنبش وحفر في بعض الجوانب وفي باحة الملحق قام بها سكان القرية بحثاً عن مخلفات ولقى أثرية.

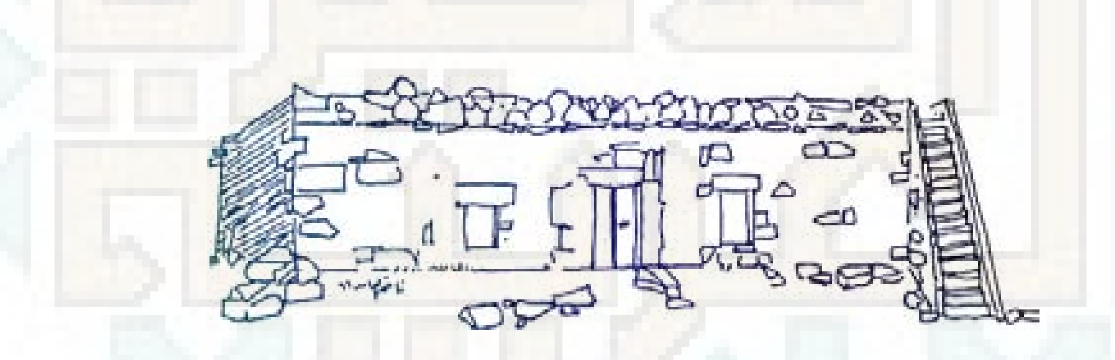
وقد استخدم القصر إلى وقت قريب مكاناً لخزن الحبوب والتبن ومأوى للمواشي.

قرية محي القديمة/ الأحياء القديمة والمساكن التقليدية:

حي عشيرة الحجايا: نماذج لبعض الأبنية القديمة فيه.

(١) **المسجد القديم.** حسب ما تشير إليه لوحة حجرية توجد أعلى المدخل الرئيسي للمسجد، إنه بُني في عام ١٣٥٦هـ. وكتب فيها في السطر الأول الذي تعلوه نجمة خماسية. (الملك لله الواحد القهار) (وأن المساجد لله فلا تدع مع الله أحداً) ١٣٥٦هـ. المخطط، مستطيل الشكل، مساحة البناء بالطول ٢٠,٥٠م، العرض ٧,٥٠م، والارتفاع ٥م.

يتوسط البناء باب واحد مستطيل الشكل محاط بإطار من الحجارة الكبيرة المشذبة يوجد على يمينه ويساره نافذتان مستطيلتا الشكل يفتح الباب والنوافذ على الجهة الشمالية والمحراب في الجهة المقابلة يتقدمه، باحة ذات جدران قليلة الارتفاع توجد نوافذ صغيرة الحجم في الجهة الغربية والشرقية من البناء ويصعد إلى السقف بواسطة درج يحاذي المسجد من الجهة الغربية.



مادة البناء: بني المسجد من الحجارة بعضها مشذب خصوصاً تلك التي تقع في واجهة المسجد أما البقية فهي من الدبش والحجارة غير المشذبة المدكوكة بالطين وقد أحضرت حجارة من الخربة القديمة حيث توجد آثار بعض النقوش على بعضها ووضعت بالقرب من المدخل الرئيسي. رفع سقف البناء على عقد يتوسط المسجد

على شكل قوس منحني من جهة الغرب إلى الشرق تعلوه الأغصان الغليظة والبوص المكسوة بطبقة من الطين.

٢- منزل قديم يقع إلى القرب من المسجد يتميز بكثرة عدد نوافذ التهوية في واجهة الرئيسية:

يوجد هذا البناء في حي الحجايا الواقع في سفح الهضبة من الجهة الشرقية أي في مقدمة القصر.

مخطط ومساحة البناء: يتكون من غرفتين متلاصقتين وأخرى ثالثة على امتداد الغرفتين ملاصقة لهما ومفصولة عنهما بواسطة جدار، بنيت الغرفة في وقت لاحق في فترة التوسع يتقدم البناء غرفة متلاصقة لواجهة البناء (وهي أقل ارتفاعاً). ومقطعة إلى حجرتين وتفتح على الباحة من جهة الشمال وهي أقل



ارتفاعاً من غرف البناء الرئيسة، استخدمت كمرافق حيوية ضمن البناء.

يتقدم البناء حاجة مستطيلة الشكل تفتح عليها الغرف وبدورها تفتح على شكل قوس من الحجارة المنظمة.

أما بالنسبة لأبواب الغرف فعددها اثنتين وهي مستطيلة ومرتفعة أكثر بالمقارنة مع أبواب المنازل الأخرى يقع على جانب كل باب نافذة مستطيلة وذات فتحـــات كبيـــرة ايضاً.

إن ما يميز هذا البناء وجود عدد من النوافذ الصغيرة في واجهته على شكل صف كامل تستخدم للتهوية.

مساحته، الطول ٢٠م العرض ٧م، والارتفاع ٥م، أما السقف فقد رفع على قنطرة عقد قوس نصف دائري يتوسط الغرفة الشمالية وآخر يتوسط الغرفة الجنوبيـــة تعلـــو القناطر الأغصان وشبكة البوص المغطاة بطبقة من الطين بني المنزل من الحجـــارة المشذبة والدبش المدكوك بالطين.

(٣) منزل فالح رشيد السراحين الحجايا:

-يتكون البناء من ثلاث غرف اثنتان تتوجهان نحو الشرق الأولى من الجهة الشمالية أقل ارتفاعاً من الثانية والغرفة الثالثة تتجه نحو الشمال جميعها يتقدمها باحـــة وكـــل غرفة تفتح على الباحة بواسطة باب مستطيل الشكل إلى جانبه نافذة يتميز هذا البنـــاء بأنه وضع على أساسات بناء أثري قديم يعود للحقبة الرومانية.

ويدل على ذلك بروز عقود ذات اقواس تفتح في أرضية الباحة، وحاول بعض السكان الحاليين الحفر للوصول إلى داخل هذه الدهاليز بحثاً عن الآثار.

مادة البناء: بني المكان من الحجارة الدبش التي أخذت من بقايا الأثر القديم ومدكوكة بالطين ورفعت السقوف على قناطر عقد تتوسط الغرف باستثناء تلك الغرفة الهابطـــة الشمالية التي رفع سقفها على جسور من الأخشاب والطين وربما بنيت في وقت لاحق من تاريخ البناء.

بعض معالم حي عشيرة القضاة:

(١) يقع في القرية القديمة في الجهة الشرقية الجنوبية من الهضبة منزل يعود ملكيته إلى السيد سليمان سلامة القضاة مدخل الغرفة الرئيسة عبارة عن عقد حجري تعلوه بلاطة حجرية مكونة من جزأين في الجزء الأعلى منها يوجد آثار لنقش قديم عبارة عن رسوم لزهرة من أربع ورقات، أما الجزء السفلي فيوجد فيه نقش على شكل صليب مالطي داخل دائرة.

داخل دائرة على الشكل التالي من الملفت للنظر أن هذه الحجارة انتزعت من مخلفات آثار الخربة القديمة التي تعود للفترة البيزنطية بدليل نماذج هذه النقوش.

ويلاحظ أيضاً بالإضافة إلى ذلك نقش كتابي على نفس تلك البلاطة إلى جانب الصليب المالطي (عبارة البسملة).

في هذا الجزء من الحي يوجد الكثير من المنازل باحتها عبارة عن بلاط مرصوف يعود للفترة الرومانية البيزنطية.

منزل قديم في حارة القضاة يقع في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من القرية القديمة ويشرف على وادي الحنو.

يتكون البناء من غرفة مربعة رئيسية مساحتها ٨×٨م وارتفاعها ٥م خمسة أمتار ذات نظام القنطرتين أي العقدين القوس النصف دائري اللذان يتوسطان الغرفة فيقسمانها إلى ثلاثة أجزاء ويرفع سقف الغرفة على هذين العقدين هذا هو النظام السائد في البيوت التقليدية الفلاحية في جميع قرى المنطقة.

إن المساحات والفراغات التي تتركها هذه القناطر داخل الغرفة تستخدم كمصاطب للنوم ولرفع الأدوات المنزلية في الجزء الأوسط عملت كوارة من الطين عليها نقوش هندسية على شكل زنار في الأعلى تستخدم لتخزين المواد التموينية والطحين للاستعمال اليومي.

تفتح الغرفة بواسطة باب ضمن عقد منحني بجانبه نافذة، وهناك نوافذ صغيرة في صدر الغرفة للتهوية ويتقدم الغرفة باحة مستطيلة الشكل محاطة من الجهة الشرقية والشمالية بحجرات اصغر حجماً من الغرفة الرئيسية تستخدم للخزن وإيواء المواشي.

يوجد ضمن الباحة وفي أسفل مقدمة الحجرة المقابلة للغرفة الرئيسية بئر مـاء يقـع أسفل عتبة مدخل الحجرة. ومادة البناء من الحجارة الدبش الغير مـشذبة المدكوكـة بالطين والغرفة الرئيسية مكسوة بالطين، المطلي بالشيد الأبيض، وبني الـسقف مـن أغصان البوص تعلوه طبقة من الطين.

بعض معالم حي عشيرة البشابشة:

منزل عطاالله البشابشة: يقع البناء في حي عشيرة البشابشة عند القدام سطح الهضبة من الجهة الجنوبية الشرقية من القرية القديمة قرب الطريق الـذي يختـرق القريـة الحديثة من جهة الغرب. يعود تاريخ البناء إلى فترة نمو القرية القديمة الذي شـهدته على أثر قدوم عشيرة البشابشة مع مطلع العشرينات من هذا القرن.

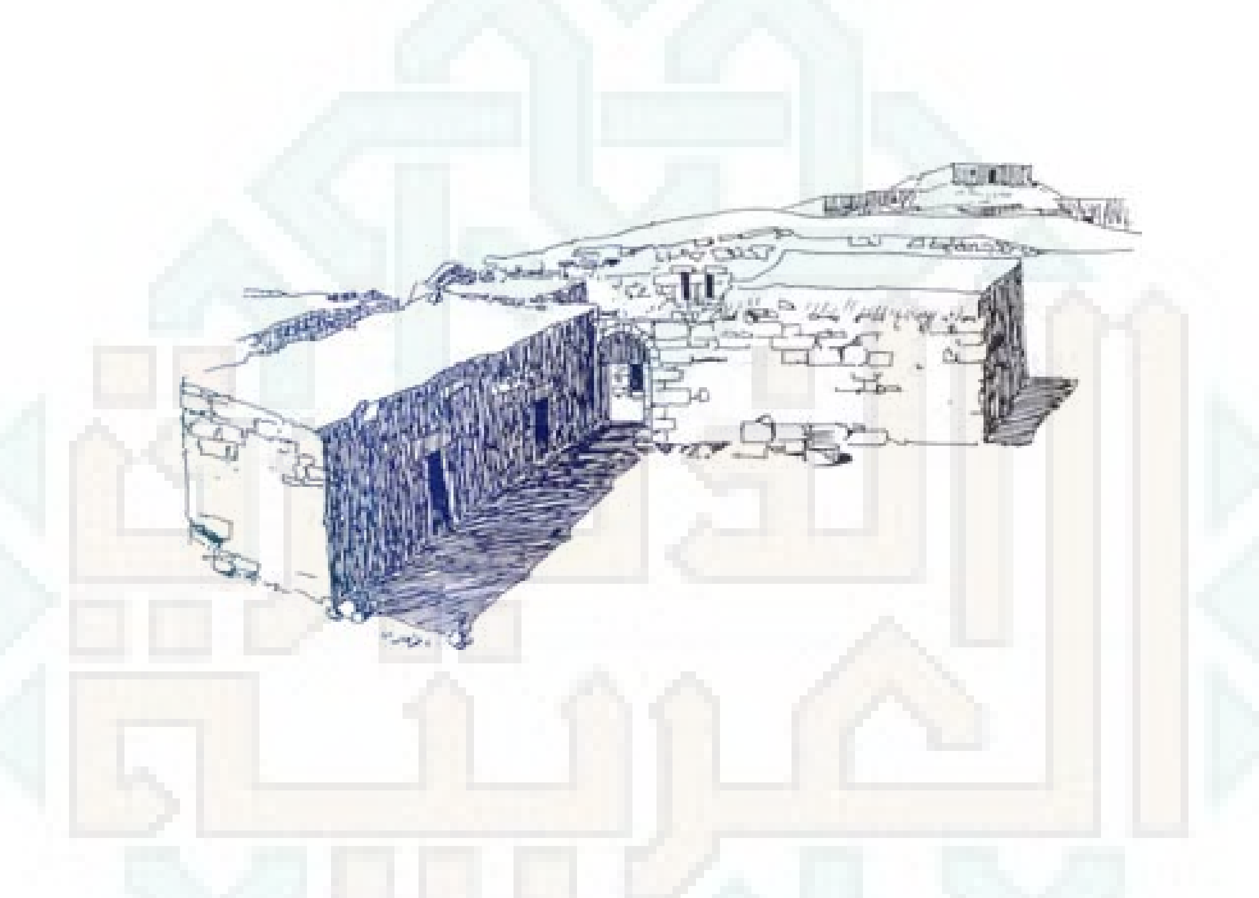
وصف البناء: يتكون البناء من كتلة معمارية مربعة الشكل مساحته ١٥×١٥م بارتفاع ٥ خمسة أمتار يتوسط البناء ممر موزع يمتد من الغرب إلى الـشرق حيـث البـاب الرئيسي الذي يتوسط البناء ويفتح على الشرق وتتقدمه باحـة، يفـتح هـذا البـاب المستطيل ضمن دهليز قصير يتقدمه من الداخل، وله سقف منحني على شـكل عقـد صغير تتخلله فتحات أعلى الباب للتهوية من على يمين الباب ويساره توجد نافـذتان مستطيلتا الشكل تطلان على الباحة الخارجية.

تفتح على الممر الموزع ست غرف مربعة الشكل ثلاثة غرف في الجهة الشمالية يقابلها نفس العدد في الجهة الجنوبية.

والجدران الفاصلة والمكونة لهذه الغرف تُعَدّ امتداد للقنطرتين اللتين على شكل عقد قوس منحني نصف دائري وتتوسطان الممر الموزع.

رفع سقف البناء بالكامل على جدران المنزل وفوق القناطير التـي تعلـو الممـر الموزع وضعت شبكة الأغصان والبوص على الجدران المقطعة للغرف وفوق العقـد مغطى بطبقة من الطين والحجارة الدبش. ضمن جدران الغرف جعلت حجرات على شكل قوس كمصاطب تستخدم لرفع الحاجيات تحيط بها رفوف ضمن الجدار لوضـع

لوازم الغرفة. وقد طلي كامل البناء من الداخل بالطين المطلي بالشيد الأبيض وزينت بعض الأماكن فيه الرسوم الزخرفية باللون الأحمر والبني على شكل دوائر وردية تقع في بطن منحني القناطر، وفي صدر البناء زخارف على شكل طبــق قــش مــستدير والطبق يستخدم لوضع الخبز والطعام عليه وهي إشارة لكرم أهل المنزل.



مادة البناء: تتكون البناء من مزيج من الحجارة المشذبة وغير المشذبة وذلك حــسب موضعها في البناء وقد بنيت العقود بالحجارة المنظمة والمذبة والواجهــة الرئيــسية وحول المدخل الرئيسي يتخللها الطين والحجارة الصغيرة الحجم.

إن أهم ما يميز هذا المنزل كثرة العناصر المعمارية الداخليــة والمكملــة للبنــاء وتجعله يؤدي وظيفته الاقتصادية، كالمصاطب والرفوف لرفع الأدوات ويوجــد فيــه

الكثير من صفوف الكوارات المصنوعة من الطين تستخدم لخزن الحبوب والمواد التموينية المستعلمة في الحياة اليومية، وتكثر هذه الكوارث أمام مداخل الغرف وفي صدر البناء ويوجد أشكال رفوف مصنوعة من الطين على شكل خزائن. ويوجد أيضاً داخل المنزل بعض الأدوات والمعدات الزراعية المصنوعة بشكل تقليدي من الخشب مثل الوتر الذي يستعمل في ركوب الدواب وبعض أجزاء من المحراث البلدي وفي باحة المنزل يوجد جرن من الحجر يستخدم كمطحنة يدوية لطحق الحبوب.

ومن الجدير بالذكر أن البناء أقيم على أساسات وأرضية كنيسة بيزنطية يستدل على ذلك من وجود حجارة مكعبة الشكل بألوان متعددة وهي أجزاء من أرضية فسيفسائية كتلك التي تشتهر بها الكنائس البيزنطية ويلاحظ أن السكان قاموا بعملية حفرونبش للوصول إلى آثار الموقع البيزنطي القديم، ويُعَدّ منزل البشابشة نموذج للبيت الريفي في المنطقة لما يحتويه من عناصر معمارية وزخرفية وتوزيع ملائم للأدوات التي يستخدمها السكان في حياتهم اليومية والملائمة لنمط المعيشة الفلاحية.

المغاور والآبار القديمة:

في سفح الهضبة خلف القصر من الجهة الغربية الشمالية توجد بعض المغاور الأرضية المنحوتة في الصخر يدخل إلى إحداها بواسطة فتحة فسيحة على شكل مدخل كدهليز وضع في مقدمته سقف من الأغصان والحجارة المشذبة المرصوفة على شكل عقد باب كانت تستخدم لخزن التبن والحبوب. وهناك مغارة حفرت في الصخر على شكل دائري أطوالها ١٠×٨م بارتفاع ٣م استخدمت إلى وقت قريب مستودعاً لخزن التبن أيضاً. ومغارة أخرى محفورة في الصخر ذات أبعاده ٥×٥م بارتفاع ٢,٥م تقع ضمن المنطقة وتستخدم لنفس الغاية التي يستخدم فيها بئر الماء، في أسفل الجدار الخلفي من البناء الملحق بالقصر من جهة الغرب يوجد بئر ماء ارضي له فتحة مستطيلة الشكل بطول متر وعرض نصف متر عمق البئر ٤,٥٠م وعرضه وطوله ٣×٣م مبني ومرصوف من الداخل بالحجارة المرتبة بشكل منظم.

وتكثر في جنبات الهضبة الآبار المحفورة في الأرض ضمن صخرة عند الفتحات تستعمل لجمع مياه الأمطار وتخزينها لوقت الحاجة.

وتكثر في الهضبة الأعشاب البرية مثل نبتة العضو والحرمل الذي يستعمله السكان في علاج التهابات الفم واللثه، وأيضاً توجد نبتة القلي التي كانت تستخدم في صناعة الصابون.

البركة الرومانية:

بركة محفورة في الصخر تبلغ مساحتها ٣٠×٣٠ بعمق ٤م في الجهة الشمالية الغربية من التل عند مدخل القرية الحديثة على جانب الطريق العام. رممت مؤخراً ونظمت حوافها على أيدي شركة أميركية يساق إليها الماء بواسطة قنوات اسمنتية تتجمع فيها مياه الأمطار ويستخدمها الأهالي حتى الآن.

الهوامش

١) د. سلطان المعاني، أسماء المواقع الجغرافية في محافظة الكرك، دراسة دلالية اشتقاقية، جامعة مؤتة ١٩٩٤، ص٤١.

٢) خارطة الكرك الطبوغرافية-مقياس ١-٢٥,٠٠٠ لوحة رقم ٢، دائرة الأراضي والمساحة، عمان- الأردن، ١٩٤٩.

٣) د. صلاح الدين بحيري، جغرافية الأردن، مكتبة الجامع الحسيني، عمان ١٩٩١، ص٧٤.

٤) يحيى القرعان وآخرون، دراسات جيومورفولوجية جنوب الأردن، عمان ١٩٨٩، منشورات الجامعة الأردنية، ص١٤٢.

٥) د. صلاح الدين بحيري، ذكر سابقاً، ص٧٩.

٦) نفس المصدر، ص٨٠.

٧) عبدالقادر عابد، جيولوجيا الأردن، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان ١٩٨٢م.

٨) د.صلاح الدين بحيري، ذكر سابقاً، ص٤١.

٩) د.عبدالقادر عابد، ذكر سابقاً، ص١٧٥.

١٠) د. عبدالعزيز محمود، ود. أحمد العموش كثربا قرية أردنية، دراسة في الأصالة والمعاصرة، جامعة مؤتة ١٩٩٤، ص١٦.

١١) د. عبدالقادر عابد، ذكر سابقاً، ص٢١٦.

١٢) د. صلاح الدين بحيري، ذكر سابقاً، ص٧٩.

١٣) نفس المصدر ص٨٠.

١٤) نفس المصدر ص١١٣.

١٥) نعمان شحادة، مناخ الأردن، دار البشير عمان ١٩٩١، ص٥٩.

١٦) نفس المصدر ص٥٩.

١٧) نعمان شحادة، ذكر سابقاً، ص٨٦.

١٨) المصدر نفسه ص٨٨.

١٩) د. عبدالقادر عابد، ذكر سابقاً، ص٢١٣.

٢٠) د. عبدالمعطي التلاوي وسالم اللوزي، الغابات في الأردن، دار البشير عمان ١٩٨٨،ص.
٢١) أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر، دمشق ١٩٨٣، ص٤١.
٢٢) د. صلاح الدين بحيري، ذكر سابقاً، ص١١٦ و١١٧.
٢٣) أحمد وصفي زكريا، ذكر سابقاً، ص٤٢.
٢٤) سجلات اراضي الكرك، دفتر خاقاني مخصوص-دائمي، ضبط ١٩٢٢-١٩٢٥، محفوظة لدى دائرة الأراضي والمساحة-عمان.
٢٥) المصدر نفسه، دفتر خاقاني مخصوص نمره ١٤، ص٤، حزيران ١٩١٩.
٢٦) المصدر نفسه، دفتر خاقاني مخصوص نمره ١٤، ص٣، حزيران ١٩١٩.
٢٧) المصدر نفسه، دفتر خاقاني مخصوص نمره ١٧، ص٣، حزيران ١٩٢٥.
٢٨) المصدر نفسه، دفتر خاقاني مخصوص نمره ٢١و٢٢، ص٣، حزيران ١٩٢٥.
٢٩) عبدالمعطي التلاوي، ذكر سابقاً، ص٩١.
٣٠) الموسوعة الأردنية، الأرض والإنسان، الجزء الأول، عمان ١٩٨٩، ص٧٨.
٣١) ڤان زايل، المؤابيون، ترجمة د. خير خير ياسين، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠، ص٨٨.
٣٢) عبدالمعطي، ذكر سابقاً، ص٥٧.
٣٣) محمد سالم الطراونة، تقارير حكومة الانتداب البريطاني عن شرق الأردن، كانون ثاني-أيلول ١٩٣٩، منشورات جامعة مؤتة ١٩٩٣، ص١٦١.
٣٤) الموسوعة الأردنية، ذكر سابقاً، ص٧٨.
٣٥) عبدالمعطي التلاوي، ذكر سابقاً، ص٦٠
٣٦) صلاح الدين بحيري، ذكر سابقاً، ص١١٤.
٣٧) صلاح الدين بحيري، ذكر سابقاً، ص١١٤. أيضاً زكريا، عشائر الشام، ذكر سابقاً، ص٤١.
٣٨) محمود الجنيدي، نباتات المشرق الطبيعية وفوائدها الاقتصادية، عمان ١٩٩٢، ص٥٠.
٣٩) نفس المصدر السابق ص٨٤.
٤٠) محمود الجنيدي، ذكر سابقاً، ص١٨٢.
٤١) عز الدين التنوخي، الرحلة التنوخية من الزرقاء إلى القريات ١٩١٤-١٩١٦،

تحقيق يحيى جبر، عمان (د.)١٩٨٥، ص٣١.

٤٢) عبدالمعطي التلاوي، ذكر سابقاً، ص٦٠.

٤٣) عز الدين التنوخي، ذكر سابقاً، ص١١٤.

٤٤) محمود الجنيدي، ذكر سابقاً، ص١٣٤، ١٩٤.

٤٥) أحمد وصفي زكريا، ذكر سابقاً، ص٤١.

٤٦) محمود الجنيدي، ذكر سابقاً، ص١٩٤، أيضاً: الموسوعة الأردنية، ذكر سابقاً، ص٧٨.

٤٧) محمود الجنيدي، ذكر سابقاً، ص٥٦.

٤٨) المصدر نفسه ص٥٠.

٤٩) د. عبدالعزيز محمود، ذكر سابقاً، ص٢٠.

٥٠) كنيث انطوان، الأراضي الجافة، ترجمة علي عبدالوهاب، الأسكندرية، منشأة المعارف ١٩٧٩، ص١٥٧.

٥١) نجيب القسوس، ملامح من التراث الشعبي في محافظة الكرك، منشورات جامعة مؤتة ١٩٩٤، ص٥١.

انظر أيضاً: نعمان شحادة: مناخ الأردن، دار البشير عمان، ١٩٩١،ص٥٩.

٥٢) المصدر نفسه، ص١١٢.

٥٣) المصدر نفسه، ص١١٢.

٥٤) المصدر نفسه، ص١١٢.

٥٥) عبدالمعطي التلاوي، ذكر سابقاً، ص٢٦٤.

٥٦) كنيث انطوان، ذكر سابقاً، ص١٥٧.

٥٧) عبدالمعطي التلاوي، ذكر سابقاً، ص٢٦٢.

٥٨) نفس المصدر ص٢٦٣.

٥٩) كنيث انطوان، ذكر سابقاً، ص١٥٩.

٦٠) نجيب القسوس، ذكر سابقاً، ص١١٣

٦١) عبدالمعطي التلاوي، ذكر سابقاً، ص٢٥٦.

٦٢) نجيب القسوس، ذكر سابقاً، ص١١٠.

٦٣) حولية الآثار الأردنية، دائرة الآثار العامة، عمان ١٩٧١، عدد١٦، ص١٨.

٦٤) ڤان زايل، ذكر سابقاً، ص١٠٠.

٦٥) المصدر نفسه، ص١٠٣.
٦٦) محمد سالم الطراونة، بدو الحجايا ودورهم في تموين قافلة الحج الشامي، وثيقة طوب قبو سـراي رقـم ٢٠٢٥ (١٧٣٨) محفوظـة فـي مركـز الوثـائق والمخطوطات-الجامعة الأردنية، نشرت في مجلة راية مؤتـة المجلـد الأول، العدد الأول، آيار ١٩٦٢، ص٦٨.
٦٧) ڤان زايل، ذكر سابقاً، ص١٠٢.
٦٨) المصدر نفسه، ص١٠٨.
٦٩) المصدر نفسه، ص١٠٨.
٧٠) المصدر نفسه، ص١٠٧.
٧١) صلاح الدين البحيري، ذكر سابقاً ص٨١.
٧٢) محمد سالم الطراونة، تاريخ البلقاء، ذكر سابقاً، ص٣٦٨-٣٦٩.

الفصل الثاني

تاريخ إشغال موقع محي من خلال المصادر الأثرية والنصوص الكتابية*

* أعد هذا الفصل د. مشيل بيفرس.



تاريخ اشغال موقع محي

من خلال المصادر الأثرية والنصوص الكتابية

تم في عام ١٩٩٣ إجراء دراسة لقرية محي من قبل لجنة إحياء التراث التابعة للجناح المدني لجامعة مؤتة، بالتعاون مع مركز الدراسات والأبحاث حول الشرق الأوسط المعاصر (السيرموك-عمان)، شمل البحث قرية محي: تاريخها، وتطورها المادي والمؤسسي، وسكانها، وتقاليدها، الخ..

تحتل محي موقعاً جغرافياً احداثياته هي ٥٩ ً ٣٠ َشمالاً، و٥٢ ً، شرقاً[١]، تقع محي على مسافة تقارب ٣٥كم إلى الجنوب الشرقي من الكرك، وحوالي ١٠ كيلومترات إلى الشرق من أم حماط (خارطة ك٧٣٧)، ومسافة ١١ كم إلى الشرق من ذات راس، ويتراوح ارتفاع موقع محي عن سطح البحر بين ١٠٣٠ متراً في أقصى الجنوب إلى ١٠٤٢ متراً في الشمال (انظر: خارطة دائرة الأراضي والمساحة).

عندما تم تمليك منطقة محي للقبائل في طور التوطين (انظر لاحقاً) تم اختيار الموقع الأثري لمحي ليكون مركزاً للتجمع المدني الجديد، وكان لهذا الاختيار سببان:

- وجود الموقع الأثري القديم الذي تم اختياره في الماضي لموقعه الاستراتيجي المطل على كافة المنطقة، ولذا فهو يشكل بذلك موقعاً آمناً.
- الثاني فإن وجود المواقع الأثرية كان يسهل عملية البناء من حيث توفر مواد البناء.

تغطي قرية محي القديمة جزئياً موقعاً أثرياً تمت زيارته من قبل الرحالة الغربيين في القرنيين التاسع عشر والعشرين، وقد خضع هذا الموقع لدراسات أثرية أولية.

وبانتظار البدء بعمليات تنقيب واسعة النطاق سيقوم بها فريق من دائرة الآثار في جامعة مؤتة، نلخص هنا المعطيات التي نشرها الرحالة ونتائج الاستكشافات الأثرية التي تمت.

المعطيات التي سردها الرحالة الغربيون

لم يقم العديد من الرحالة بذكر شيءٍ سوى الموقع في سردهم للمعلومات وقد ذكروا أشكالاً متعددة للفظ كلمة محي، وكان منهم: سيتزين(٢)، تريسترام(٣)، دوغتي(٤)، موس وسوفير(٥)، برونوف ودوماشفسكي(٦)، موسيل(٧)، وغلوك(٨).

ويبدو أن دوغتي كان أول رحالة من القرن التاسع عشر يزور هذا الموقع الأثري الهام، فقد تناهى إلى سمعه وجود تمثال نصفي وبعض الأعمدة والنقوش، إلا أنه لم يجد سوى بعض المنشآت من الحجارة الجافة.

بعد ذلك ببضع سنوات، لاحظ موسيل الموقع الاستراتيجي الهام لمحي، خاصة وأن الموقع يتواجد على الحدود الشرقية من السهل ذو التربة الخصبة والممتد من وادي الحسا باتجاه الباطرة شمالاً، والميسة ومدين إلى الشمال الغربي، ويتحكم الموقع بمدخل السهل من جهة الصحراء، وكان بإمكانه حماية ابراج المراقبة العديدة المتواجدة على مختلف المرتفعات المطلة على السهل.

كانت محي القلعة الواقعة إلى أقصى الجنوب وهي التي تتحكم بخط الدفاع الذي يحمي الحدود الشرقية لمملكة مؤاب(٩). وبحكم تمتعه بإطلالة واسعة وواضحة على المناطق الصحراوية إلى الشرق والشمال الشرقي من محي، فقد كان الموقع يسيطر على كافة المنطقة الجنوبية الشرقية للمنطقة الخصبة، وحتى وادي الحسا(١٠) تقريباً. وبحكم وقوعه على الأطراف الجنوبية الشرقية للمنطقة الخصبة، إلى الجنوب من سهل مؤاب، كان سيكون من المستغرب ألا يعمد المؤابيون إلى تحصين هذا الموقع، وكذلك الأنباط الذين تبنوا بالكامل نظم التحصين التي ورثوها عن المؤابيين والأدوميين، هناك العديد من بقايا القطع النبطية من كافة الأصناف والتي تؤكد على أهمية استطيان الأنباط في محي(١١).

تقع الآثار على قمة تل مرتفع شبه منبسط يتجه من الشمال إلى الجنوب، يبلغ طولـه ٥٠٠م وعرضه بين ١٢٥-٢٥٠م. تشتمل قمة التل على مستويين، يقـع أحـدهما فـي الوسط تقريباً، ويقع الآخر في أقصى الجنوب، وتوجد على المستوى الأول بقايا مبنـى كان حسب برونوف برج مراقبة ضخماً. في الفترة الواقعة بين زيادة برونوف وزيـارة غلوك للموقع، حدث هناك العديد من حالات الهدم والتدمير المرتبطـة بإنـشاء منـازل القرية بين الآثار نفسها، وفي أقصى شمال التل توجد هناك بقايا آثـار مبنـى وصـفه بونوف على أنه معبد(١٣).

تشكل السفوح الوعرة للتل الذي يتواجد عليه موقع محي موقعاً من شـبه المـستحيل الاستيلاء عليه عنوة، وأكثر المداخل سهولة يقع في الشمال الغربـي، ويبـدو أنـه تـم تحصينه بشكل جيد للغاية، وقد كان هناك في السابق جدار كبير يحيط بقمة تـل محـي، يعود تقريباً لأول فترة استيطان هامة للموقع في العصر الحديدي القديم، وكـان هنـاك العديد من خزانات المياه وكذلك بركة تقع إلى الجنوب(١٣).

وصف الآثار ومعطيات أثرية

كان كل من برنوف ودوماشفسكي أول من أعطى وصفاً دقيقـاً للمخلفـات الأثريـة الموجودة في محي.

كانت وجهة الموقع أساساً شمال-جنوب، وكان يمتد على تلين يرتبطـان بمـنخفض خفيف. وقد قدر كل منهما المساحة التي تمتد عليها الآثار بحوالي ٥٠٠م وصنفا الهياكل المعمارية بثلاثة أصناف أساسية:

- برج مراقبة (بمساحة ٣٠×٢٠م) يقع في أعلى نقطة، يتوسط الآثار، وإلـى الـشمال منه هناك عدة قناطر مبنية بشكل جيد وما زالت ظاهرة للعيان وتشكل آخر شـواهد على الأبنية التي كانت تستندها.
- معبد (بمساحة ٣٢×١٦م) على مقربة من الحدود الشمالية للآثار.
- غرفتين بقناطر (بفتحة عرضها ٣,٦٠م وبارتفاع ٢,٣٠م) تقع وسط الطريـق بـين برج المراقبة والمعبد.

ويورد كل منهما بعض الصور والخرائط.

عندما زار غلوك محي في الثلاثينات، كانت هناك قرية حديثة بادئة النمو بين الآثار، إلا أنه تمكن من العثور على الهياكل الثلاثة التي ذكرها كل من برنوف ودوماشفسكي.

في ٢٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٦، قام غلوك بالتنقيب في محي، وهو موقع هام يقع على قمة أحد التلال، وعثر على بقايا مخلفات تعود للفترة المؤابية ونهاية الحقبة النبطية، مما يؤكد الاستيطان في محي في تلك الفترات.

أما المعبد والذي يشابه كثيراً ذلك الموجود في قرية القصر، فقد قدر غلوك بأنه يعود للفترة النبطية، وقد عثر برنوف في محي عند مدخل أحد المعابد الذي تم هدمه فيما بعد[١٥] على تمثال نبطي يمثل هيليوس (اله الشمس) أو عطارد (رسول الآلهة)، هذا التمثال يشابه التماثيل التي عثر عليها في قرية التنور وقصر رباح، وهما موقعان نبطيان آخران في تلك المنطقة.

في عام ١٩٥٤، لاحظ كانوفا[١٦] وجود مقبرتين بيزنطيتين، أحدهما في الشمال الغربي والأخرى في الجنوب الغربي من القرية، مع ٦٨ شاهداً على القبور، باستثناء واحد منها، يمكن أن يكون من القرن الثامن، فإن معظم شواهد القبور هذه تعود للفترة ٥٠٥-٦٨٦م.

قامت دائرة الآثار العامة عام ١٩٧١ بالتنقيب في بعض القبور[١٧]، تم العثور على القبور على شكل مجموعات كبيرة، وهي محفورة في الأرض الرطبة على عمق ٠,٥-١,٥م تحت سطح الأرض، كانت الهياكل العظيمة بشكل عام محاطة بحجارة صغيرة مسطحة مكونة شكلاً مستطيلاً، وقد كانت الحجارة المزخرفة والمنقوشة أمراً شائعاً في القبور، هذه النقوش تشير إلى اسم المتوفي وعمره والسنة التي توفي فيها، كانت القبور بشكل عام مغطاة ببلاط مصلب، ومن ثم كان يهال عليها التراب، وقد تم العثور في هذه القبور على العديد من الأشكال الزجاجية الجميلة جداً، وكذلك أساور من نحاس وحاجيات جنائزية أخرى، ويبدو أن محي كانت موقعاً هاماً في العصور الرومانية والبيزنطية والمملوكة، وعلى السفح الغربي من الموقع ما زالت هناك كنيسة بيزنطية محاطة بعدد

من المباني وخزانات المياه، وقد عثر أيضاً في بعض منازل القرية على حجارة مزخرفة ومنقوشة تعود للعصر البيزنطي (انظر لاحقاً).

في عام ١٩٩١، قام فريق من علماء الآثار، بإدارة ج. ماكسويل ميلر، بنشر نتائج التنقيب التي قاموا بإجرائها في هضبة الكرك[١٨]، وقد لاحظوا بأن التجمع السكاني استمر النمو وأنه أصبح عام ١٩٨٢ يغطي معظم الموقع تقريباً، كما لاحظوا أيضاً أن الهيكل المستطيل، الذي عرف على أنه برج مراقبة، تم نهبه ولم يعد سوى قاعدة بني عليها الآن منزل حديث، فقد كان الهيكل القديم عبارة عن بناء ضخم من القطع الحجرية التي يبلغ حجمها ١,٥×٠,٧٥× ٠,٦٠م (وهو الحجم العادي لهذه الكتل الحجرية)، وهناك حجر منحوت (ربما أصله بيزنطي) يمثل غزالين، تم إعادة استخدامه لتزيين الواجهة الشمالية لهذا المبنى الحديث، وفي أسفل التل توجد بقايا اساسات جدار يحيط بالقمة– وربما كان "الجدار الخارجي الكبير" الذي ذكره غلوك، وقد كان الجدار الخارجي مبنياً من مواد تختلف عن تلك المستخدمة في بناء المنشآت على قمة التل، وهناك بضع شواهد على وجود منشآت مستطيلة مشيدة في واجهاتها الداخلية، وقد تعرض محمل سطحها لعوامل التعرية والنهب، وعلى مسافة تقارب ١٥٠م إلى الشمال الغربي، على قمة التل، توجد بقايا المعبد، كانت المواد التي بني منها ذات جودة عالية، خاصة الكتل الجبسية التي قصها جيداً (الحجم الاعتيادي: ١,٥٠×٠,٣٠ بارتفاع –٠,٤٥م)[١٩]، وقد لاحظ موسيل وجود مرحلتين في بناء هذا المعبد، كانت آخرها تشتمل على مبنى دائري، ويمكن أن يكون هذا المعبد النبطي–الروماني قد أعيد استخدامه ككنيسة في العصر البيزنطي.

ملاحظاتنا في الموقع

خلال دراستنا التقليدية في قرية محي، استطعنا العثور على عدد من الكتل الحجرية المقصوصة أو المنحوتة والتي تم إعادة استخدامها في جدران المباني، وكذلك بقايا جدران قديمة شيدت عليها المنازل الحديثة.

يتم إعادة استخدام الكتل الحجرية الكبيرة المقصوصة في قاعدة جدران المنـــازل، في حين أن الكتل الحجرية الأصغر حجماً (بطول يبلغ حوالي ٣٠سم) تـــستخدم فـــي الأجزاء العليا من الجدران حيث عثر عليها مراراً مرصوفة الواحدة بجانب الأخـــرى في أعلى الجدار، وإذا كان السكان يفضلون وضعها في أعلى واجهات الجدران، فإن هذه الكتل الحجرية تستخدم أيضاً في بعض الحالات "لتتويج" الجدران الجانبية، أمـــا الكتل المقصوصة بشكل منظم فإنها تستخدم أيضاً في تشييد دعامات الأبواب (راجـــع الجدول الملحق).

هناك بعض الهياكل الاسطوانية-التي ما زالت ظاهرة للعيـــان، والمتنـــاثرة بـــين المنازل التقليدية، وهناك أيضاً عمود ما زال موجوداً في أحد المنازل. ثم العثور على بعض الكتل الحجرية المنحوتة، ونظراً لأهميتها، فإنه قد تم إعادة استخدامها بوضعها في مكان بارز، خاصة في واجهة أحد المنازل لتزيين أعلى باب الـــدخول للبيـــت أو أعلى النافذة، وهناك كتلة حجرية مزخرفة برأس أبو منجل تم وضعها في حلق الباب، ولم نجد أياً من شواهد القبور التي ذكرها كانوفا، إلا أن البعض ذكر لنا وجود حجارة منقوشة مهمتنا لم تكن تتضمن وضع كاتلوج شامل للكتل الحجرية الأثرية التـــي مـــا زالت تتواجد في قرية محي القديمة والحديثة.

أما الكتلة الحجرية المنحوتة والمزخرفة بغزالين والتي ذكرها ميلر (انظر سابقاً) فإنه لم يعاد استخدامها في الواجهة الشمالية لحائط مبنى حديث شيد علـــى أساســـات المعبد النبطي، وإنما في جداره الغربي.

وهناك جزء من كتلة من الرخام ذات مقطع مربع تفصل بين فتحتي تهويـــة تقـــع فوق باب المنزل، وبسبب طبيعة مادتها وشكلها والخطوط المنقوشة عليها، فإنها يمكن أن تكون، بنظرنا، جزءاً من عمود كان يستند القطع الرخامية لساتر كنيسة بيزنطية.

كما أن هناك العديد من القبور ما زالت موجودة في الجزء الشمالي من الموقع، وهي تخضع الآن لعمليات تنقيب سرية، ويذكر لنا القرويون إنهم يجدون فيها أوعية فخارية وحاجيات زجاجية، وفي أحيان نادرة مجوهرات في قبور النساء. وقد قمنا بعملية جمع بعض القطع المتناثرة على سطح الأرض، وتشتمل هذه الأشياء التي أودعت في جامعة مؤتة على قطع فخارية نبطية، مطلية وغير مطلية، رومانية وبيزنطية وإسلامية وحديثة، وكذلك قطع فسيفسائية حجرية غير ملونة، والعديد من الحاجيات الزجاجية الملونة وجزء من منضدة "مذبح" من البازلت التي عثر عليها في أحد المباني، وقد كانت هذه المنضدة ترتكز على ثلاثة أرجل، كما ان سطحها العلوي كان مقعراً ومحاطاً بإطراف مرتفعة، وإذا كانت بالأصل مجهزة بقناة انسيابية، فإنها لم تكن موجودة في الجزء الذي عثرنا عليه.

وقد تم العثور على عدة أجزاء من الجدران القديمة المشيدة بواسطة كتل حجرية ضخمة، وهي تستخدم الآن قاعدة لجدران بعض المنازل الحديثة، كذلك، فإن الأجزاء السفلى لجدران كنيسة بيزنطية، والتي ما زال بالإمكان رؤية مخططها بوضوح، قد تم إعادة استخدامها في منزل بنفس حجم المنزل القديم.

إعادة الاستخدام

رقم المبنى	القطع المقصوصة	القطع الزخرفة	الوصف	الموقع
١		+	شكل مجسم القنطرة	الحلق اليسار للباب
١		+	غزالين	الجدار الشرقي
٩	+		مبنى سابق؟	أساس الزاوية الشمالية- الغربية
١٥	+		قطع كبيرة	
١٨	+		بلاط فناء	الفناء
٢٩	+		حوض مطلي	
٣١			قطع فسيفسائية	عابثو الآثار
٣٢	+			
٣٣	+			قنطرة
٤٢	+		عمود	أول غرفة على اليمين
٤٣	+			
٤٤	+		قطع تشكل قناة	الجزء السفلي من الجدار الغربي
٤٥	+			
٤٦	+			
٤٧		+		
٥٢			بداية قنطرة على مستوى سطح الأرض	أمام المبنى
			عمود بناء سابق	الزاوية الخلفية اليمنى
٥٤			جزء من طاحونة من البازلت بيزنطية؟	في الفناء
٥٥	+			
٥٨	+			
٦٦	+			
٦٧	+		كتل في مكانها	الجدار على اليمين لدى دخولنا

٧١	+		مرصوفة في الجدار	
٧٢	+			
٨٤	+			
٩١	+		ورصف لحجارة بارزة جدار مبنى سابق	أمام الواجهة
٩٢		+	ساكف الباب	
٩٣، ٩٤، ٩٨	+		بلاطة أرضية	الفناء
٩٨	+			الجدار المجاور للشارع
١٠٥		+	قطعة رخامية مربعة المقطع جزء من ساتر كنيسة؟	بين التهوية على الباب
١٠٩		+	ساكب	
١١٠	+			
١١٣	+			
١٢٧			حجارة دائرية، عمود؟	الفناء
١٢٨	+		كثير من القطع المعاد استخدامها	
١٣٤	+		ساكب	الباب
١٣٧			جذع العمود	خلف المبنى
١٤٢		+	ساكب	النافذة
١٤٥	+			
١٤٨	+			
١٥٤		+	كتل مزخرفة بابو منجل	حلق الباب
١٥٤				
١٥٦	+			
١٥٧	+			
١٥٨	+			
١٥٩	+			
١٦٠	+			

١٦٢	+			
١٦٣		+	ساكب	الباب
١٧٦	+			
١٨٢	+		جذع عمود تم تحويله إلى حجارة دائرية	على مقربة من
١٨٧			ساكب مع رسم بارز محفور	النافذة
١٩٤	+		جدار قديم بارز	إلى الجنوب من
١٩٥	+			
١٩٥		+	كتلة مع رسم بارز لصليب	
١٩٦			كتل كبيرة من البلاط الجبسي	على الأرض

الهوامش

1 cf. Jordan Official Standard Names Gazetteer, 1971, Washinglon.

2 Seetzen, Reisen duTch Syrien, Paiastina, PhOnicien, die Ttransjordan- Lander, Arabia Petraea und UnleT Aegyplen, Erster Band, 1854, Berlin, p. 416.

3 H.B. Tristram, The Land of Moab, Travels and Discoveries on the Easl Side of the Dead Sea and !he Jordan, second èdition, London, John Murray, 1874 (voyage en 1872), p. 120.

4 Doughty C.M. Travels in Arabia Deserta, vol. I-II, Cambridge University Press, 1888.(visite 1875-76), (vol. I, 39-66,67-80).

5 Mauss C. et Sauvaire H., Voyage de Jerusalem a Karak et a Chaubak, Extrait d'un journal de voyage, Bulletin de la Socièté de Geographie 14, pp. 449-522,1867.

6 Brünnow R.E. and von Domaszewski A., Die Provincia Arabia. auf Grund Zweier in den Jahre 1897 und 1898 unternommenen Reisen und der Berichte frtiherer Reisender, 3 vols. Strassburg: Karl J. Triibner, 1904-9. vol. I, pp 70-73.

7 Musil A., Arabia Petraea, Band I Moab, Topographisher Reisebericht, Hildesheim 1989 (lère èdition 1907), pp. 5- 6,9, 19,22,77-78,80-82,324,367.

8 Glueck N., Explorations in Eastern Palestine Ill, AASOR 18-19: 66-103, 1939.

9 Abel, Gèographie II, p. 216-217.

10 Glueck N., Explorations in Eastern Palestine Ill, AASOR 18-19, 1939, p. 67. II Glueck N., AASOR 18-19, p. 69.

12 Glueck N., Explorations in Eastern Palestine Ill, AASOR 18-19, 1939, p. 67. 13 Glueck N., Explorations in Eastern Palestine III, AASOR 18-19, 1939, p. 67.

14 Brünnow R.E. and von Domaszewski A., Die Provincia Arabia. auf Grund Zweier in den Jahre 1897 und 1898 unternommenen Reisen und der Berichte früherer Reisender, 3 vols. Strassburg: Karl J. Trübner, 1904-9.

15 Glueck N., Deities and Dolphins, New York, 1965, p.59.

16 Canova R. Iscrizioni e monumenti protocristiani del paese di Moab, Citta del Vaticano, Pontifico Istituto di Archeologia Cristiana, 1954, pp. 341-401.

17 M. Ibrahim, Annual of the Departement of Antiquities of Jordan, 1971, p. 114-115. Les fouilles ont èté supervisèes par I'inspecteur des Antiquitès Mohamed N. Abu Ubaid qui n'a pas encore donnè son rapport.

18 J. Maxwell Miller, Archaeological Survey of the Kerak Plateau, AS OR Archaeological Reports 01, 1991, p. 163- 165.

19 Miller, p. 166.

20 Mentionnè sous Ie nom de Qasr Muhai sur la carte K 737.



الفصل الثالث

تاريخ الاستقرار

وتشكل البناء الاجتماعي*

* أعد هذا الفصل د. عبدالعزيز محمود


الذخيرة العربية

تاريخ الاستقرار

ليس من السهل تحديد فترة زمنية دقيقة لتاريخ استيطان مجموعة سكانية لمنطقة ما بسبب طبيعة الاستيطان غير المستقر وحركة المجموعات القبلية على شكل هجــرات وراء الماء والكلأ عبر الزمان ومترحلة في المكان، بالإضافة إلى صـــعوبة العثــور على مصادر تشير إلى تاريخ سكنى القبائل والعــشائر بــشكل دقيــق فـــي منـــاطق الاستيطان* لذا لا بدّ من الاعتماد على الروايات الشفوية لتحديد أول من سكن المنطقة بالاضافة للمصادر الكتابية مثل مصادر الرحالة من هؤلاء الرحالة الذين أشاروا إلى مواقع الاستيطان في المنطقة وذكروا المجموعات المستقرة:

Burckhardt (1912), Willin (1845), Tristram (1872), Littmann (1900), Musil (1908), Fredirek Peak (1934), Jaussen (1948), Medebell (1961), Gupser (1972).

وكذلك المصادر العثمانية ودفاتر الضرائب مثل (دفتر مفصل لواء عجلون، القرن السادس عشر)، والسجلات الرسمية السنوية (سالنامة) (١٨٨١-١٩٨٩)، وســجلات الأراضي**، وســجلات المحــاكم الــشرعية _ســجل محكمــة الكــرك ١٩١٣)، والمصادرالأردنية مثل الزركلي ١٩٢٥، وسليمان بولص ١٩٢٩، وعودة القــسوس مذكرات، ١٩٤٣، والعزيزي ١٩٧٤، ومحمد عــدنان البخيــت ١٩٨٩، وعويــدي العبادي ١٩٨٨.

---

* المسألة المهمة في عملية الاستيطان البشري في المنطقة هي غموض حالة الاستطان وعدم وضوحها في الفترة ما ين العهد الروماني والقرن التاسع عشر بعكس الحال في الفترة اللاحقة التــي اكتــشفت بفــضل الرحلات إلى الشرق وذكرت معلومات كثيرة في كتابات الرحالة في نهاية القرن الثــامن عــشر وبدايــة التاسع عشر.

** أول عملية تسجيل في دفاتر أراضي الكرك حصلت في تموز ١٨٩٩، (دفتر أراضي الكــرك رقــم١، ص١).

ولكتابة التاريخ الاجتماعي استناداً إلى المصادر الكتابية المختلفة ومصادر الروايات الشفوية من المناسب استخدام المنهج الجينالوجي The Geneological Method لأهميته في الدراسات الانثربولوجية التي تتعلق بالمجتمعات التقليدية، وتحقيق بحث في النسق القرابي Kinship System للكشف عن نسيج العلاقات المتداخلة وتوضيح البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية في القرية من مصاهرات وتحالفات تنظيم مكان الاستقرار (الفضاء)، وشكل الحيازة واستخدامات الأراضي.

ولقد تم التوصل إلى كتابة التاريخ الاجتماعي وتحقيق شجرات الأنساب والتحدر القرابي لمجمل عشائر القرية من خلال معطيات الدراسات الميدانية واستخلاص المعلومات من ذاكرة بعض كبار السن من أهالي القرية الذين يحتفظون بأسلوب التواتر تاريخ القرية والعشيرة فهم بمثابة وثيقة شفوية*.

الحجايا:

الحجايا فرع من قبيلة عبده[1] من بطون قبيلة شمر القحطانية الأصل من من طيء التي كانت سيدة بلاد نجد في منتصف القرن الثامن عشر. وينتشر الحجايا اليوم في قرية محي والحامدية والسد السلطاني ووادي الأبيض وجميعها في منطقة الكرك، وكذلك في الحسا وجرف الدراويش في منطقة الطفيلة. وقد اعتادت قبيلة عبده أن تأتي للنجعة صيفاً في منطقة الكرك. وفي أحد المواسم حدث نزاع بين شيخين من زعامتها، حيث رحل أحدهما عائداً إلى موطنه في نجد، وبقي الآخر قرب مروج المزار.

---

* الدراسات السوسيو-انثربولوجية اهتمت بالتاريخ الشفاهي، فالرويات تعتبر مصادر تاريخية ذات صبغة خاصة لأنها مستمدة من مصادر غير مكتوبة وحفظها يعتمد على الذاكرة الجماعية التي تتمتع بها الأجيال ويمكن للروايات أن تمدنا بمعلومات حول أصول التنظيم الاجتماعي للقبيلة، والانثربولوجيا تهتم بكل المعلومات لأنها ذات دلالة تتعلق بوعي المجموعة بذاتها خصوصاً في ظل غياب الشواهد المادية لكن يجب التعامل بحذر إذا كانت المعلومات تتعلق بماضي بعيد، والروايات الشفوية تحتوي على معلومات تاريخية خصوصاً إذا كان هناك دافع لتناقلها كما هو الحال في المجتمعات القبيلية التي تتبع النظام الوراثي لحفظ أصول ونسب القبيلة لإرضاء حاجات نفسية وأدبية ولقد اهتمت المجتمعات البدوية بأدب الأنساب.

وحدث أن رجع الشيخ الأول عائداً من نجد وغازيا للفرع المقيم قرب المزار، فتغلب الغازي على الأول وبالنتيجة أجبر المهزومين التوجه شرقاً، لكن تخلف رجل يدعى محمد بن زيد الضيغم الذي لم يستطع متابعة المسير مع جماعته "فحجا"*، أي التجأ إلى الشيخ وائل بن شعلان زغيم قبيلة الرولة البدوية**، ولهذا السبب اطلق عليه اسم (حجوي) ومتحدرية عرفوا باسم الحجايا.

وبعد فترة من إقامة لدى الرولة حدث خلاف بين الحجوي والشيخ وائل على قسمة غنائم احدى الغزوات. فغضب شيخ الرولة وطرد الحجوي الذي آثر أن يبقى مقيماً في منطقة الكرك. فتزوج الحجوي امرتآن من قبيلة العمرو البدوية المتنفذة في منطقة الكرك، وقد أنجب جد الحجايا ثلاثة أحفاد هم: محمود (جد فرع الحجايا المحمويين)، ومناع (جد المناعين)، وعلي (جد العليين) ***.

---

* ذكر العزيزي في المعلمة (ج٤)، ص٧٨. (حجا فلان دم فلان) أمنه وأنقذه من الموت. ويقال احج هالروح اللي حرمها الله أي ابقى على حياة هذا الإنسان الذي حرم قتله ومن هنا جاءت تسمية الحجايا.

** الرولة فرع من قبيلة العنزة أكبرها عدداً، وعنزة من اكبر القبائل العدنانية وينتسبون إلى عنز بن وائل ويسمون ببني وائل، ومواطنها الأصلي شمال الحجاز، والرولة تعتبر من أطول الفروع نجعة لاعتمادها على الإبل وبسبب من تقاليدهم البدوية الصرفة، وقدموا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى منطقة وادي السرحان وحوران والبلقاء، (انظر وصفي زكريا، عشائر الشام، ص٣٥٧، ٣٨٦). حول الرولة انظر: Musil Alois, The Mannes of the Rawlal, 1982. ومن الجدير بالذكر أن قبيلة عنزة العدنانية من أرومة واحدة وشمر منافستها التقليدية من القحطانية بدنة من عدة فروع وتنقسم إلى فرعين، شمر الجبل المستقرة في نجد، وشمر الجربا وهؤلاء هاجروا لأسباب اقتصادية إلى شرق العراق وبادية الشام وينقسمون إلى الخرصة، سنجارة، اسلم، والعبدة، (وصفي زكريا، عشائر الشام، ص٦١٢، ٦١٧). ومن المؤرخين الذين حققوا في أصول شمر المستشرق مونتاني Moutagne,Contes poetigue bedounis (recuilhs ches les sechammear de cezire), 1986. قصص شعرية جمعت من شمر الجزيرة، معهد الدراسات الفرنسي، دمشق، ١٩٣٥م.

*** من الجدير بالذكر أن هناك رواية أخرى حول أًصل الحجايا تقول بأنهم من أبناء أحد الحجاج الذين قدموا مع قافلة الحج الشامي التي تعرضت لهجوم من قبائل البدوية أثناء طريقها إلى الحجاز، فأسر الحاج وسلب، ولعله أحد الحجاج المنكوبين في هجوم ١٧٥٩م حيث جرت العادة أن تشن القبائل البدوية غارات على قوافل الحجاج الأمر الذي دفع السلطة العثمانية لتوزيع الأعطيات على شيوخ القبائل البدوية مقابل عدم تعرضهم للقوافل وكسب ودّهم، وعندما تقطع هذه العطايا تكون النتيجة مهاجمة القوافل لارغام السلطة العثمانية من جديد على استمرار الدفع،

وينتشر الحجايا من منطقة القطرانة شمالاً حتى جرف الدراويش جنوباً، ومن حول الخط الحديدي الحجازي حتى رجم المسمر على مشارف هضبة الكرك وإلى الشرق من قرية ام حماط، ويسكنون في قرية محي، الحامدية، السد السلطاني، وادي الأبيض وهي مناطق تابعة لمحافظة الكرك، وكذلك في الحسا وجرف الدراويش وهي مناطق تابعة لمحافظة الطفيلة.

ومن المؤشرات التاريخية التي تثبت انتشار الحجايا في منطقة جنوب شرق الكرك وثيقة (دفتر مفصل احمال بني صخر والحجايا، ١١٥٤هـ/١٧٤١م) حُسب فيها مستحقاتهم من جرّاء نقل مؤن قافلة الحج الشامي(٢).

ذكر موزيل بأن الحجايا سكنو في المرتفعات الشرقية لبلاد الشراه، لكنهم تراجعوا نتيجة دفعهم من قبل الحويطات إلى الشمال(٣).

ولم تكن محي في عام ١٩٠٨ سوى خربة أثرية قديمة، كما ظهرت صورة منشورة في كتاب موزيل المطبوع عام ١٩٠٨، ولوحظ بأنه لا يوجد أي دلالة تشير إلى وجود أي من تلك المساكن المنتشرة اليوم في نفس الموقع والتي تعود إلى العشرينات من هذا القرن، وهذا دليل مادي هو أنه لم يصل إلى موقع القرية أي من العشائر التي تسكن محي سواءً كانوا من الحجايا أو القضاة أو البشابشة حتى نهاية العقد الأول من هذا القرن. وذكر موزيل أيضاً بأن الحجايا وفروعهم من الهدايات، الشحادات، المحمودين، المناعين، والعليين كانوا ينتشرون في البرية المحيطة بمحي وخاصة في أراضي منطقة صليلا وصلول واللجون بالاضافة إلى قبائل بدوية أخرى ذكر منهم النعيمات. وذكر أيضاً بأن الحجايا أشباه فلاحين وقدر عددهم بثمانون عائلة.

وعلى أثر الاعتداء الذي حدث عام ١٧٥٩ والذي أدى إلى القضاء على آلاف الحجاج وتشريد من نجا، على أثر ذلك جردت السلطة العثمانية حملة تأديبية قضت على زعماء المهاجمين. (انظر: فردريك بيك، تاريخ شرق الأردن، ص٢٣٠). ذكرت هذه الحادثة من قِبل الرحالة الفرنسي (فولني) في نهاية القرن الثامن عشر، Volney F. Voyage en Syaire et Egypt, Paris, 1787

وذكر خليل رفعت الحوراني في مقال منشور له في جريدة المقتبس الصادرة في دمشق سنة ١٩١٠، بأن الحجايا تتألف من المحموديين والهدايات وذكر بأنهم لا يزرعون ولا يفلحون بل هم أهل بادية[٤].

ومن الجدير بالذكر بأن المنطقة كانت ولا زالت حتى يومنا هذا تستخدم كمراعي ومكان إقامة موسمية في بيوت الشعر للجماعات الرعوية المستفيدة من المراعي الطبيعية والآبار وبرك الماء.

ويعتبر يوم ١٨ حزيران ١٩١٩ تاريخ ميلاد حقيقي لقرية محي وذلك عندما فوض ملك العرب فوّض ملك العرب فيصل بن الحسين أراضي محي إلى ممثلي عشيرتي الحجايا والقضاة، حيث مثّل الحجايا الشيخ غيث بن هداية، ومثّل عشيرة القضاة الشيخ سلمان القضاة، وأُذن لأفراد عشائرهما بالإقامة واستغلال أراضي محي، وحفظ لهم حقوق المرعى واستصلاح الأراضي على أن يعطوا بذلك سندات تفويض مصدقة. وتنص وثيقة التفويض على ما يلي:

> **"لقد أعطينا ورقتنا هذه إلى كل من الشيخ غيث بن هداية شيخ الحجايا، والشيخ سلمان القضاة مبينة الاذن منا لهما ولأفراد عشيرتهما بزرع الأراضي المعروفة (محي) المحدودة شرقاً السكوري، وغرباً رجم قفيقف وام الويزه، وجنوباً الثغار، وشمالاً وادي ورجم المسمر يستثمرونها ويرعون فيها مواشيهم وجميع حلالهم بدون معارضة أحد ولأفراد عشيرتهما وذلك بينا بأن نعطيهم سندات طابو فيها وللمعلومية بذلك قرّر في ١٩ رمضان راجع التاريخ البحري و١٨ حزيران ١٩١٩".**

ابن ملك العرب

فيصل

لقد انجز هذا التفويض بعد أن اتفق شيوخ الحجايا والقضاة على تقسيم الأراضي بينهما قبل التوجه إلى دمشق للحصول على الإذن الذي بمقتضاه تم الاتفاق على تقسيم أراضي محي مناصفة بين القضايا والحجايا حيث كان من نصيب القضاة النصف القبلي (الجنوبي الشرقي)، والحجايا النصف الشمالي، كما تشير وثيقة التقسيم بينهما. حيث جاء فيها:

"لقد قسمنا الأرض التي تسمى محي بالاتفاق بيننا نحن عشيرة الحجايا والقضاة نصفين الشمالي لعشيرة الحجايا، والنصف القبلي لعشيرة القضاة. ويحدها من عند رجم قفيقف تشرق عبر تلعة بن هداية طريق تشرق إلى الخربة والخربة يفصلها زقاق إلى نصفين، النصف الشمالي إلى غيث الطحاطرة، وغيث الهدايات، وارشيد الشحادات، وارشيد السراحين وجماعته، والنصف القبلي إلى سلمان بن سالم وخليف بن عودة القضاة وجماعتهم، فعليه صار تقسيم الأرض المذكورة باتفاقنا بكفالة ارشيد بن شحادة ومحمود بن هداية حتى لا يصير بيننا خلاف، هذا وتم الاتفاق بيننا الطرفين واذنا لأصحاب الشهادة فشهدوا".

ويمكن اعتبار منتصف العقد الثاني من هذا القرن كبداية للاستقرار الدائم في محي بناءً على المعطيات التي جمعت خلال الدراسات الميدانية في القرية من قِبَل الأفراد الطاعنين في السن والمشاهدين والمشاركين في عمليات بداية بناء المساكن القديمة ذات العقود المبنية من الحجر والطين في القرية القديمة والمستفدين من حجارة الخربة الأثرية القديمة واستغلاها في عملية البناء حيث كان السكان في بداية الأمر يسكنون في بيوت الشعر وبقايا الخرب والمغاور وهذه الظاهرة تعتبر سمة من سمات مراحل السكن والاستقرار في الأرياف الأردنية*.

---

* جاء في كتاب خير الدين الزركلي، عامان في عمان، مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن، المطبعة العربية مصر، ١٩٢٥، ص١٠٤ حيث ذكر "عشيرة القضاة عدد بيوتها ٢٥ بيتاً (لم يحدد طبيعة البيت)، ونفوسها تقترب من ٥٦ نفساً، منهم خمسة خيالة والباقي مشاة ومختارهم سلمان بن سالم القضاة الذي اذن له بالاقامة في محي مع شيخ الحجايا بموجب تفويض الملك فيصل بن الحسين سنة ١٩١٩". ومن الجدير بالذكر بأن الزركلي زار محي في عام ١٩٢٢م.

ولقد وردت أول إشارة للقرية في المصادر الكتابية في دفتر أراضي الكرك بتاريخ ٧ كانون ثاني ١٩٢٥، حيث أشير إلى تفويض قطعة أرض إلى الشيخ غيث بن صالح الهدايات بواقع ٤٤ حصة مقابل دفع المثل عن كل دونم عشرة قروش تدفع بالتقسيط شرط عدم تعطيلها عن الزارعة ويعمل بدوره بتوزيعها على جماعته بواقع ٢٣ حصة خاصة بالشيخ غيث بن صالح، وحصتين إلى دغيم بن محمد، وحصة إلى محمد بن سالم، وحصة إلى إبراهيم بن طحيران، ولكل من عواد بن راضي وحمد بن عبدالله وقبلان بن عويد وفلاح من بيت الصناع وعيد بن سالم ودميثان بن عقلة الشحادات وعودة بن مقبل الشحادات وخلف بن سلامة ومسايل بن فلاح وسليم الطحاطرة بمفرده حصة واحدة وحصة إلى سلامة ودغيم أولاد مصطفى البشابشة* وحصة إلى علي بن حسين البشابشة وحصة إلى عبدالمهدي محمد ومحمد علي البشابشة بالتسوية وحصة إلى عرار بن جويعد السراحين وحصة إلى سلامة بن خميس الدناينة. وجميعهم من تبعية حكومة شرق الأردن".

من خلال البحث في سجلات الأراضي استطعنا الوقوف على شكل ملكية الأراضي وطريقة توزيعها على فروع عائلات العشائر وثبتت لنا معلومات محددة خاصة عندما ذكرت أسماء الأفراد مؤسسي العائلات ونسبهم وتم تحديد من أقام من محي منهم، وزودتنا ببعد تاريخي من مصدر كتابي وضّح طريقة تشكل العائلة من الناحية السلالية، وكذلك حدد نمط الإنتاج والوضع الاقتصادي للعشائر المستقرة في القرية.

---

* تعتبر أول اشارة موثقة لظهور عشيرة البشابشة في محي تعود إلى ٧ كانون ثاني ١٩٢٥م.

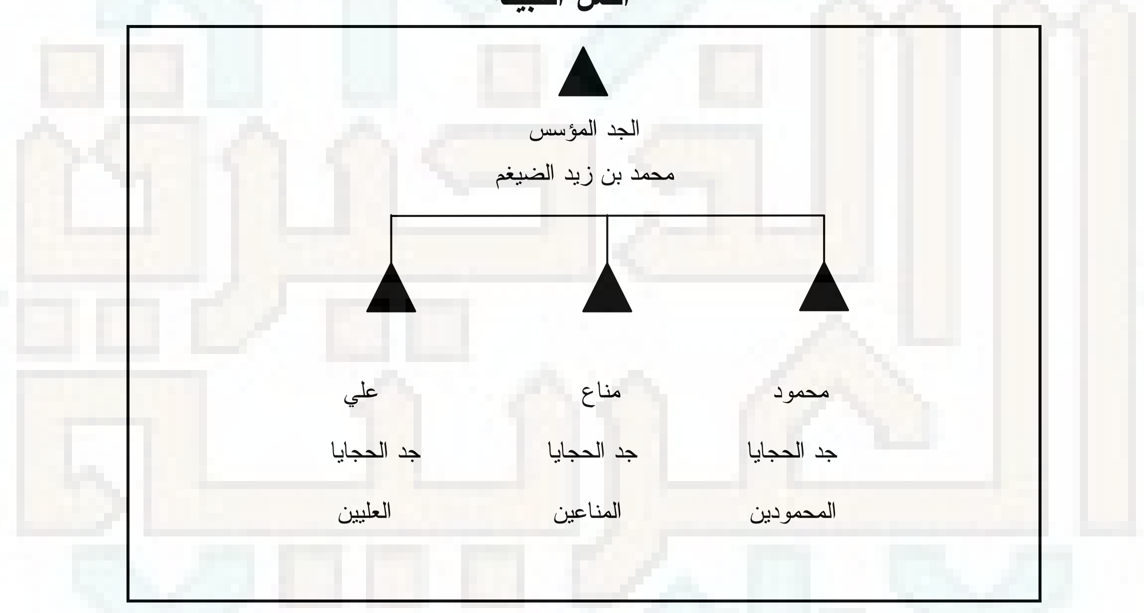
النسق القرابي لعشيرة الحجايا:

الحجايا تجمع قبلي بدوي متحدرين من جد مؤسس يعتبر بمثابة الجد الأول للقبيلة، تضم القبيلة ثلاث فروع (عشائر) متحدرة من الأبناء المباشرين للجد المؤسس في الخط الأبوي للانحدار القرابي. والحجايا أينما حلو لديهم خصائص مشتركة، أهمها وحدة القبيلة، وبغض النظر عن مكان سكنى المجموعة فإذا سأل أي فرد من أفراد القبيلة من أي قبيلة فأنه أول ما يذكر بأنه من بدو الحجايا من عيال فلان (أي جد العشيرة) وأهلي (أي عائلته أهل بيته) يقطنون في قرية محي أو الأبيض أو السلطاني مثلاً.



(١) نموذج نسب* قبيلة الحجايا

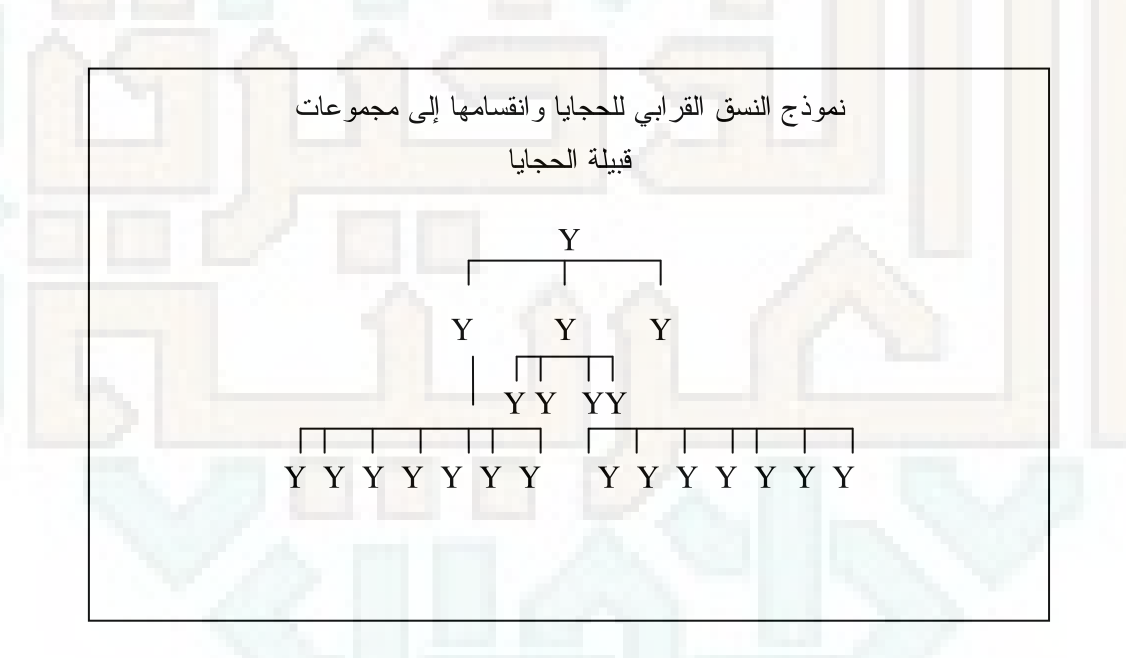
أصل القبيلة



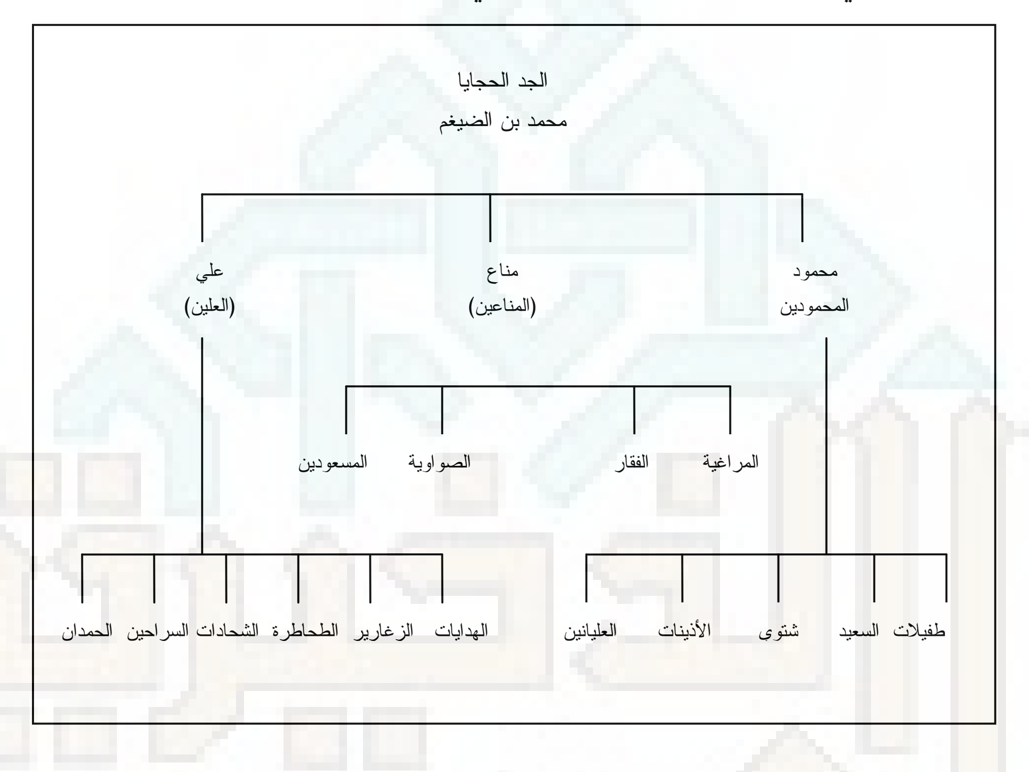
---

* نماذج شجرات الأنساب المقدمة في هذا الفصل تهدف للكشف عن النسق القرابي للعشائر المستقرة في المنطقة، وكذلك تُعَدُّ محاولة لرصد طريقة انقسام العشيرة إلى فروع وعائلات بالضرورة تربطها علاقات قرابية (سواء كانت حقيقية أو غير مستقرة كالنسب والمصاهرة والتضامن في حلف) تعزز هذه العلاقات من وحدة العشيرة وتظهر حدود تنقل الجماعات في محيط المنطقة وأسلوب ومراحل استقرارها الدائم والنهائي في محي.

قبيلة الحجايا تشكل وحدة اجتماعية كبرى، شكلها المورفولوجي ينقسم إلى ثلاث أفخاذ ويضم كل فخذ أحد أبناء الجد المؤسس للقبيلة والذي يكون بدوره بمثابة جد الفخذ والأفخاذ بدورها تنقسم عند مستوى معين من عمر المجموعة إلى عشائر أو عائلات، وغالباً ما يحدد عمر العشيرة عند مستوى الجد الخامس أي الذي عاش قبل خمسة أجيال (أقل أو أكثر)، فاصطلح على تسمية متحدري جد الفرع أو العشيرة (بعيال فلان) أو (خمسة فلان) نسبة إلى الجد الخامس للعشيرة ومجموع متحدريه يكونون معاً عشيرة تشترك في نسب واحد في خط الذكر Male-Line الجد وتربطهم علاقة قرابة حقيقية تضمن للجميع الواجبات المشتركة وحقوق ملكية الأرض والمرعى والماء فيشكلون بذلك مجموعة تضامنية متينة ووحدة اجتماعية ثأرية عرفية.

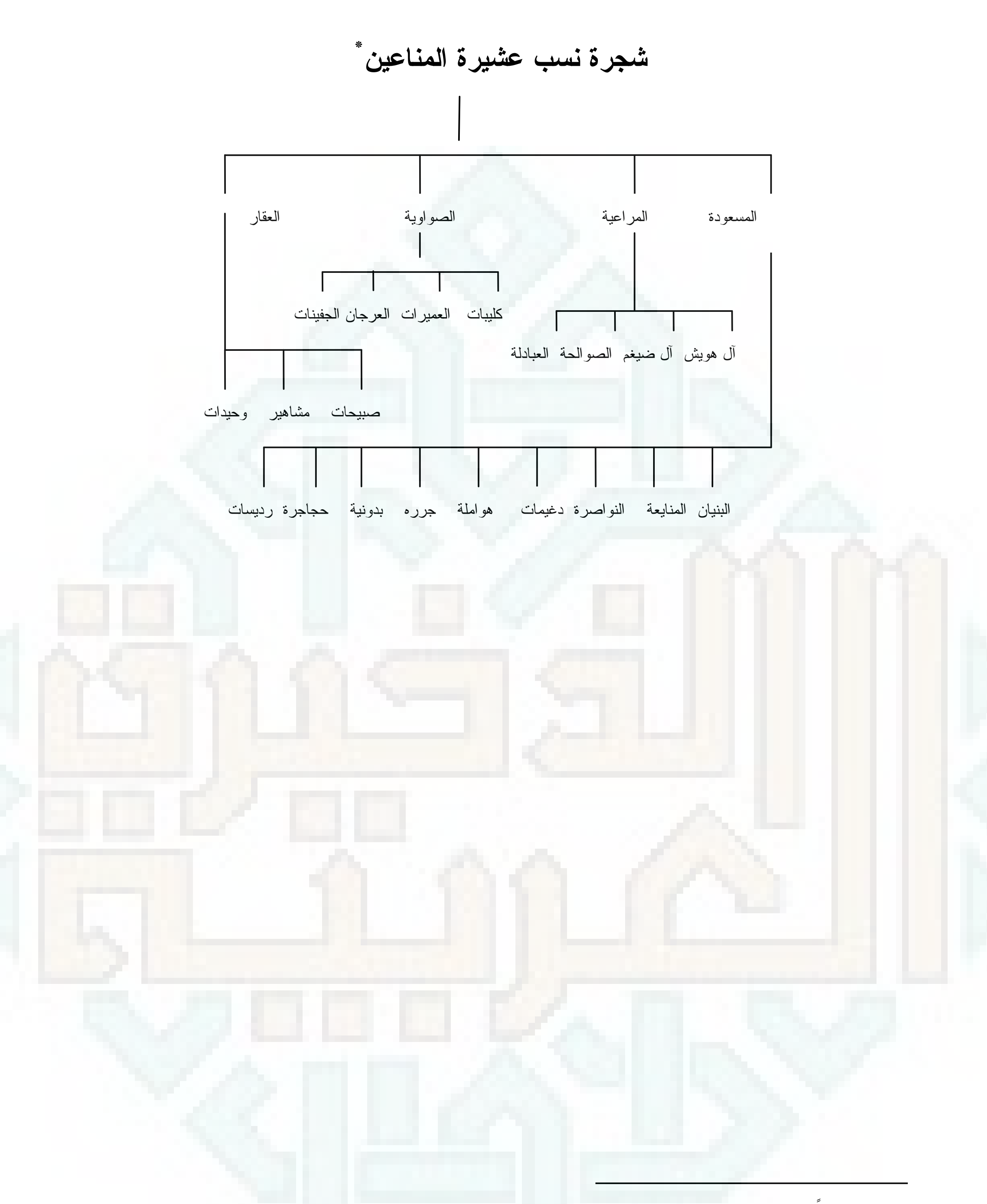


ويلاحظ بأن القبيلة انقسمت إلى ثلاثة أفخاذ، وكل فخذ شكل بدوره منظومة انقسامية، شكلت عدداً من العشائر كالتالي: خمسة مجموعات انبثقت عن الفخذ الأول، وأربعة انبثقت عن الفخذ الثاني، وستة عن الفخذ الثالث، حيث تكون النسق القرابي قبيلة الحجايا على الشكل التالي*:



* عدّ موزيل الحجايا الأصليين عشيرة المناعين وهم حجايا الجبل، أما العليين فينقسمون إلى حمدان، زعارير، زواهرة، سراحين، هطلات (عيال عبدالله) ويلاحظ هنا استخدام مصطلح القرابي (عيال) في وقت مبكر، والبطنية، ثم الشحادات الذين ينقسمون إلى عيال مقبل، قوم ابن بليطة، ويلاحظ أيضاً أن المصطلح القرابى (قوم) يستخدم عند البدو، ثم قوم بن حميد، المحموديين الذين يشكلون عليانيين، شتويين، عراسين، زبون، وأخيراً المناعين حيث ينقسمون إلى العقار، ابنيان، بدون، هواملة، عيال مرعي، العجاجرة، مشاهر العلالشة، منايع جريران، الحمران، نزاكمة، قوم بن مريحيل، سويلم، قوم أبو اصبع، العرجان والأذينات Musil, Alosi, Arabia petraea III Ethnologis cher Resiebericht wiew 1908, P. 64. وقد جاء في معطيات الدراسات الميدانية المستمدة من مجوثي الحجايا بأن المقصود بحجايا الجبل نسبة إلى المجموعة التي تقطن في جبل العليا في منطقة الطفيلة والذين يشكلون فروع المراعية الصواوية، المسعودين، العقار من المناعين الحجايا.

شجرة نسب عشيرة المناعين*

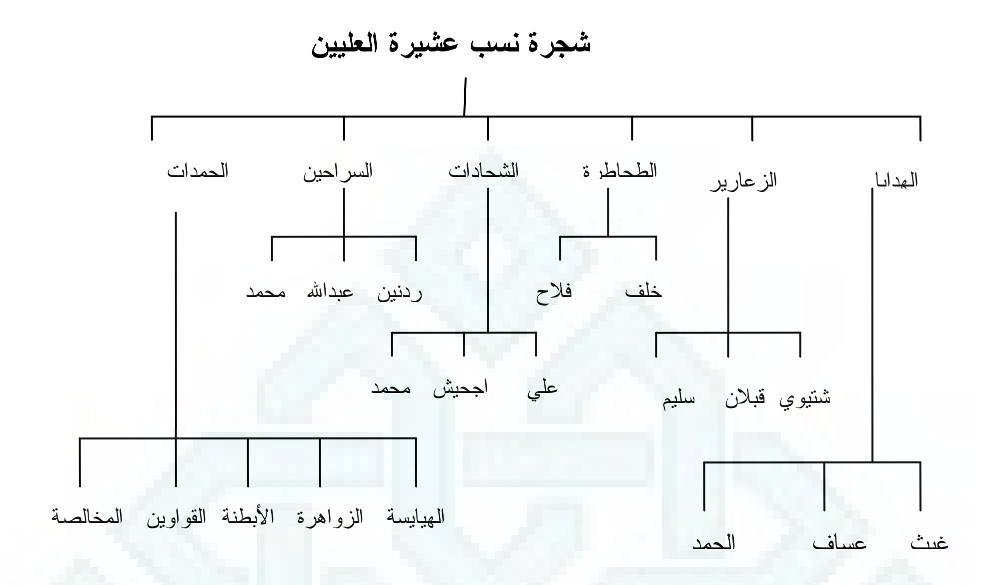


* يشار محلياً إلى المناعين بحجايا الجبل نسبة إلى جبل العليا في منطقة الطفيلة كما ذكرت المعطيات المستمدة من مبحوثي الحجايا في محي، وذكروا بأنهم يمثلون المراعية، الصواوية، المسعوديين، العقار.

بعد تحديد الجد المؤسس لكل فخذ من القبيلة (العشيرة) سوف ننتقل إلـــى تحقيــق شجرة النسب لكل عشيرة على حده والفروع التي انبثقت عنها وهي بمثابــة وحــدات قرابية أصغر تضم العائلات الممتدة والتي تحتوي ايضاً على الأسر النووية والعائلــة الممتدة تتكون عند مستوى الجيل الثالث للعشيرة ومنحدرة عن جد العائلة وتضم الآباء والأبناء والأخوة والأعمام وابناء العمومة التي من خصائصها الاقامة معاً في مــسكن العائلة الممتدة أو متجاورين في حي خاص بهم بالقرية القديمة وذلــك قبــل مغــادرة الأسر النووية المنبثقة عن انقسام العائلة الممتدة للاقامة في مسكن خاص بها داخل أو خارج القرية كما سنرى لاحقاً.

شجرة نسب عشيرة المحمودين





كما أظهرت الدراسات الميدانية للحجايا في محي بأن فرع العليين والمحمـــوديين قدموا من منطقة الطفيلة على أثر خلاف داخلي بين حجايا الجبل حيث كان أول مــن قدم الهدايات من عشيرة العليين قد استقروا في البداية قرب عين الحسا والتقوا هنـــاك مع عشيرة البشابشة (كما سنرى لاحقاً) واتفقوا على الاقامة معاً في براري المنطقـــة قبل الاستقرار النهائي في قرية محي، حيث سكنوا في محيط محـــي علـــى فتـــرات متعاقبة بدأت مع الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وكانت جميع المنطقة في تلـــك الفترة خاضعة لسلطة قبيلة العمرو البدوية المتنفذة في منطقة الكرك.

في البدء شارك الحجايا العمرو في سكنى المنطقة، وأثناء فرض السلطة العثمانيـــة الضرائب على الأراضي التي عرفت (بالويركو) *

---

* الويركو، كلنة تركية تعني الضريبة التي تدفع لخزينة الدولة وتفرض على الأراضي بمقـــدار ١٠% مـــن قيمة الأرض، حيث بدأ تستوفي هذه الضريبة في منطقة الكرك سنة ١٣٠٨هـــ/١٨٨٨م، انظر: محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء...ص٢٠٦.

أرهقت هذه الضريبة القبائل البدوية ففضل العمرو ترك الأرض ورحلوا إلى شمال الكرك،حيث تركوها للحجايا الذين يميلون إلى نمط حياة الاستقرار الدائم.

أما بخصوص أماكن سكنى فروع الحجايا فقد أظهرت الدراسات الميدانية بأن المحموديين والعليين سكنوا في قرية محي ومنطقة الحامدية إلى الجنوب من محي. والمناعين سكنوا في منطقة جبال الطفيلة والحسا.

ولوحظ ايضاً بأن بعض المتحدرين من عشيرة المحموديين كمجموعة الاذينات والعدسيين وكذلك مجموعة العليانيين ومنهم الدغيمات والأصابعة ليسوا من نسل محمود جد المحموديين*.

وتُعَدّ مجموعة الهدايات والسراحين من الحجايا العليين من أوائل المستقرين في قرية محي والذين قسموا في وقت مبكر الأرض فيما بينهم، وقد ساعد على تسهيل عملية قسمة الأرض وجود قرابة حقيقة تجمعهم معاً. ومن الجدير بالذكر ان تجمع الحجايا في محي يتكون من مجموعة الهدايات، الزعارير، الطحاطرة، الشحادات، السراحين وجميعهم من عشيرة العليين. أما الحمدات (أي عيال حمد) من العليين فقد سكنوا في منطقة الحامدية إلى الجنوب من محي، ومن هنا جاء اسم القرية نسبة إلى الجد المؤسس حمد**.

ورد على لسان المبحوثين من مجموعة الهدايات والسراحين انهم أقرب إلى الفلاحين من البدو وأكثرهم ثباتاً في الأرض. وكان أحفادهم (عيال هداية) أول من بدأ الاستقرار في محي وعملوا في تربية الماشية وزراعة الحبوب التقليدية في السهوب الغربية للقرية.ومن الجدير بالذكر بأن الشيخ غيث بن صالح بن هداية هو الذي أُذن له ولعشيرته بالإقامة في محي إلى جانب عشيرة القضاة بموجب مرسوم الملك فيصل (حزيران ١٩١٩)، وهو باني المسكن الخاص به وبعائلته والمعروف اليوم بقصر غيث بن هداية.

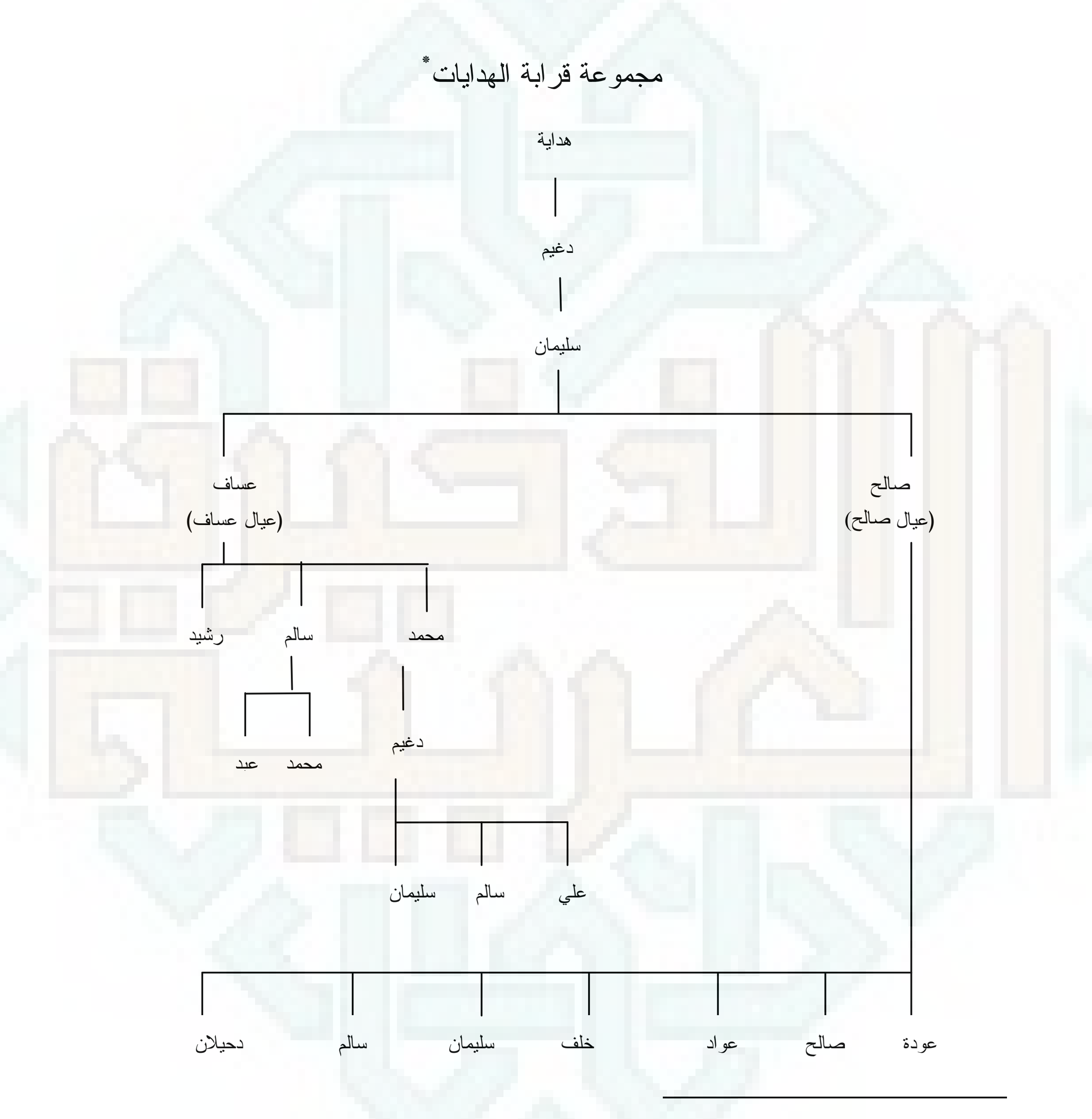
---

* لقد ذكر فردريك بيك، تاريخ شرق الأردن...ص٣١١ بأن هذه المجموعات انبثقت عن عشيرة الخميسات من قبيلة بني عطية.

** مقابلة مع الشيخ الهيايسة في قرية الحامدية، آذار ١٩٩٣م.

مجموعة انحدار عيال هداية من عشيرة العليين تمثل نموذج العائلة البدوية الممتدة وتعتبر وحدة اجتماعية تتميز بتسلسل قرابي واضح من الممكن تتبعه من قبل حفظة النسب محدودية عدد الأجيال في العمق الزمني لعمر المجموعة، فشجرة النسب مكونة من الأحفاد والمتحدرين من الجد مؤسس العائلة المكون لمجموعة قرابية حقيقة كما نلاحظ هنا في تتبع شجرة نسب مجموعة قرابة الهدايات.

مجموعة قرابة الهدايات*



*سجلات محكمة الكرك الشرعية، وثيقة ضبط ١١٠/٧٣، ص١٢٣.

ومن خلال وثيقتي حصر إرث مستمدة من السجلات الشرعية لمحـــاكم الكـــرك*١٥ صدرتا بتاريخ ٢٥/آب ١٩٢٧، الوثيقة الأولى تخص الشيخ عودة بن غيث بن صالح بن سليمان بن هداية، والثانية تخص ارشيد بن دغيم بن حمدان بن زواهرة بن حمـــد (الحمدات العليين). نستطيع من خلال الوثيقتين أن نتتبع التسلسل الزمني لشجرة نسب عائلة الهدايات والحمدات الحجايا.

ذكرت الوثيقة الأولى بأن الشيخ غيث توفى والده صالح منذ خمسة وثلاثين ســـنة (من تاريخ الوثيقة ١٩٢٧) وأن ابنه غيث يعتبر الوارث شرعاً وقانوناً حيث يعتبـــر غيث الابن الوحيد لصالح (انظر شجرة نسب العليين). بناءً على ما ذكر يفترض بأن صالح قد توفى في حوالي عام ١٨٩٠، وإذا رجعنا ثلاثة أجيال للوراء وافترضنا بأن المدة الزمنية لعمر الجيل الواحد في حدود العشرين عاماً كفترة زمنية تفـــصل بـــين جيل وآخر، فعليه يكون الجد هداية قد عاش في حدود منتصف القرن الماضي.

أما الوثيقة الثانية، فقد ذكرت بأن ارشيد بن دغيم وارث والده المتوفى منذ ثلاثون عاماً (من تاريخ الوثيقة ١٩٢٧) فتكون وفاة دغيم قد حدثت في حدود عـــام ١٨٩٧، وباتباع نفس الافتراض السابق يكون حمد الجد الخامس قد عاش في حدود منتـــصف العقد الثالث من القرن الماضي.

عائلة الشيخ غيث بن هداية الحجايا:

يقيم الشيخ عودة بن غيث الهدايات، شيخ مشايخ الحجايا في قرية محي الجديدة منـــذ عام ذ٩٥٠، ويعتبر قاضياً معتمداً من قبل عموم وعشائر الجنوب، وكان من قبل يـــسكن في قصر والده، وعائلة الشيخ تمثل نموذج تطور الأسرة البدوية في محي مـــن عائلـــة ممتدة إلى أسر نووية المكونة من الأبناء المتزوجين وأولادهم.

عائلة الشيخ عودة بن غيث تمثل نموذج العائلـــة البدويـــة المتحـــدة Joint Family مكونة من الزوج وزوجته والأخيرة وأبنائـــه غيـــر المتـــزوجين وبعـــض المتـــزوجين وزوجاتهم وأبنائهم يعيشون في مكان واحد وبتنظيم اقتصادي مشترك وتحت رعاية رب العائلة وشيخ العشيرة.

نموذج النسق القرابي لعائلة الشيخ عودة بن غيث

X = X = Y = X

فاطمة — فضة — عودة غيث الهدايات — حمزة

منيفة

محمد — كمايل — فواز

صالح مقبل نايف عاطف عاكف نايل فايز نوال

بيان غيث

فاقة ثريا أمل هيا عصوب حاتم حتمل سالم سليمان سامي منال أماني إيمان

أسيل عروبة أنوار محمد

محمد هيا

سارة فايزة نورا ماجد أمجد فيصل صايل هايل عاطف

ومن خلال تقصي علاقة المصاهرة بدى لنا تفضيل الزواج الداخلي، وغالباً يعتبر الزواج من ابنة العم هم النمط المفضل لدى الجماعات البدوية، ويتسع مفهوم العمومة ليشمل أبناء عمومة رب العائلة. التكوين الجينيولوجي لأسرة عودة يتكون من مجموعة من الأبناء الذكور والإناث والبالغ عددهم اثنا عشر فرداً (٩ ذكور، ٤ اناث) متحدرين من ثلاثة نساء (فاضمة، فضة، حمدة) اثنتان من الحجايا وواحدة من عشيرة القضاة. وقد بلغ عدد الأبناء الذكور والإناث المتزوجين، ستة من الذكور تزوجوا واحدة فقط، والابن الأكبر تزوج اثنتين، وجميع زوجات الأبناء الذكور من عشيرة الحجايا باستثناء واحد منهم تزوج من عشيرة القضاة، وآخر تزوج من منطقة الطفيلة. أما الإناث فجميعهن متزوجات من نفس العشيرة. ومجموع الأحفاد المتحدرين فقط من الأبناء الذكور بلغ عددهم بين ذكور وإناث (٢٩) تسع وعشرين حفيداً. أحد الأحفاد وهو الابن الأكبر متزوج وله ولد وبنت، ومن خلال طبيعة عمل أبناء الذكور ومكان إقامتهم نستطيع أن نقف على مدى التحول في النمط المعيشي للعائلة وتحولها من الاعتماد على الإنتاج الرعوي إلى العمل في قطاع الخدمات والوظائف الحكومية، فالمعطيات المستخلصة من الدراسات الميدانية تبين بأن الأكبر (توفي عن ٥١ عاماً) يعمل موظف في شركة مناجم الفوسفات في الأبيض ويقيم في محي في سكن مستقل مجاور لمسكن العائلة الرئيسي.والابن فواز يعمل موظفاً في شركة مناجم الفوسفات في الحسا ويقيم في قرية الأبيض. أما الابن صالح فهو يعمل في شركة مناجم الفوسفات في الحسا ويقيم في بلدة الحسا. والابن نايف يعمل موظفاً في دوائر محافظة الكرك ويقيم في قرية محي. كل من الأبناء عاطف وعاكف يعملان في سلك الجندية. والابن الأصغر فايز فهو طالب في المرحلة الثانوية ويقيم مع والده في محي. وقد وجدنا في محي ثلاثة من الأبناء المتزوجين يسكنون مع رب العائلة.

ومن خلال إعادة تركيب بنية العائلة هنا استنتجنا بأنها وليدة ظروف تشكل العائلة البدوية سواء أثناء الإقامة في محي أو قبها، واتضحت لنا التطورات التي طرأت على العائلة سواء من حيث طبيعة مسكن العائلة ومكانه وزيادة عدد أفرادها ومصاهراتها والتحولات التي طرأت على نمط إنتاجها وتنوع مصادر دخلها.

التاريخ الاجتماعي لعشيرتي القضاة والبشابشة

تُعَدّ عملية الحد من نفوذ مجموعة بشرية (قبيلة-عشيرة) مستقرة ومنذ زمن من قِبل مجموعة أخرى سواء كانت بدوية أو شبه بدوية سمة من سمات المجتمعات التي في طور الاستقرار وظاهرة تقليدية حكمت العلاقة ما بين القبائل البدوية والعشائر المستقرة في هضبة الكرك خلال الثلاث قرون الأخيرة ولم تستقر الأوضاع إلا بتطور نظام الدولة المركزية في الثلاثينات من هذا القرن*.

ومنذ منتصف القرن السادس عشر وحتى عام ١٨٩٣ تاريخ اعادة السيطرة العثمانية** على الكرك يعتبر تاريخ المنطقة عبارة عن تاريخ سياسات توازن قبيلة محلية وعلاقات داخلية بين مجموعات المحيط (الحويطات، بني عطية، بني صخر) ومع قبائل جديدة داخلية إلى المنطقة للاستقرار كعشيرة المجالي الساعية إلى السيطرة على المنطقة.

كانت السيطرة في الكرك لحلف الإمامية. ومنافسها الرئيسي قبيلة العمرو البدوية المنتشرة في ربوع هضبة الكرك.

أجمعت المصادر على أن الإمامية هم بقايا العثمانيين الذين قاموا بادارة الكرك، وكانت الزعامة متنازعة بينهم وبين العمرو قبل أن ينتزعها المجالي من الفريقين. والامامية عدو فرق منهم: البشابشة أي أحفاد الباشا، والقضاة أحفاد القاضي، والطننشات أحفاد أحد الضباط العثمانيين، والاغوات وهم زعامة الحلف، والأغوات

---

* أخذت ظاهرة الحد من نفوذ العشائر وسيطرت الواحدة على الأخرى عدة أشكال كاجتياح لحقوق الريف الزراعية من قبل الرعاة والبدو واستخدامها مراع لمواشيهم أو كانت على شكل غزوات وسلب للمواشي أو على شكل نزاعات على الأراضي بهدف توسيع مجال نفوذ القبائل كحادثة النزاعات بين المجالي والحمايدة في شمال الكرك ١٩٢١، والمجالي والطراونة حول أراضي نخل في مطلع القرن الحالي، وهذا وقد أورد بيتر جوبسر، (السياسة والتغيير...)، من الشواهد والأدلة على النزاعات التي حدثت في منطقة الكرك وكانت آخرها إلى وقت قريب. .

** عرف عن السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠-١٥٦٦ أنه قد أسس أول حامية عثمانية في الكرك وأسند لها مهمة حماية طريق الحج فكان الجنود الذين يتقدمون ركب الحجيج يسمون بالأمامية حيث كانوا يتكلفون بالحراسة والخدمة بالاقلاع، وكان قائد الموكب يسمى باشا الحج، والشخص الذي يحمل عطايا الأموال من السلطان للبدو صرة أميني .

أحفاد أحدد أفراد الحامية العثمانية التي نزعها يوسف نمر النابلسي المكلف من قبل والي دمشق بأمر من السلطان سليمان القانوني لتوطيد الأمن في الكرك.

في حوالي منتصف القرن التاسع عشر هاجر جلال بن التميمي الجد المؤسس لعشيرة المجالي مدينة الخليل وسكن الكرك، فكان لهجرته هذه نتائج حاسمة في تاريخ المنطقة لأنه وضع ركيزة قوية لعشيرة متنفذة. تولى سالم حفيد جلال زعامة المجالي وكان يسعى لتأكيد زعامة عشيرته، في سبيل ذلك تحالف مع العمرو ودبر خطة للتخلص من الامامية في الكرك وذلك بتدبير معركة*. حدثت معركة الامامية في الكرك وقد ذكرها فريدريك بيك "تاريخ شرق الأردن، ص ٢٤٠"، كما يلي: بينما كان الأمامية مجتمعين في الكرك في احتفال، جمع الشيخ سالم المجالي ٢٥ فارساً من رجاله على الباب الغربي للبلدة وبالقرب من مكان الاحتفال جعلهم متأهبين للهجوم وبما انه كان يجهل عدد خصومه لذا جعل أحد أعوانه يقترب من الخصم عن كثب فإذا رآهم يذبحون ثوراً يرفع راية بيضاء إشارة إلى كثرة عدد المجتمعين، أما إذا رآهم يذبحون شاة فيرفع راية زرقاء إشارة إلى كثرة قلة عدد الحضور، كانت غاية المهاجم أن يهجم حيث يتوفر العدد الأكبر من خصمه للتخلص منهم. فما كان إلا أن رفعت الراية البيضاء فهجموا على القوم مباغته وغلبوهم.

أما الروايات الشفوية المستمدة من المبحوثين في قرية محي (نيسان ١٩٩٣) فتذكر بأن جد البشابشة كان باشا الكرك، وجد القضاة قاضي الكرك المنصبين من قبل الوالي العثماني في دمشق، وحدث أن تحالف المجالي التميمية (بني تميم) مع قبيلة العمرو وقرروا القضاء على الأمامية في حفل العيد وعلى أثر المعركة هاجروا من الكرك. ومنذ ذلك الحين ظهر اسم القضاة والبشابشة. وحسب الأعراف المحلية فرض

---

* لحادثة معركة الأمامية في الكرك حضور في الوجدان الشعبي لعشيرتي البشابشة والقضاة في محي، ويذكرها كبارهم بأنها بمثابة حدث مأساوي هاجروا على أثراها من الكرك وانتشروا في أرجاء البلاد بعد أن كانوا حكاماً فيها، وما زالت نساء البشابشة يتغنون بأمجاد الأمامية "حيث يرددن: جابوها من الشرق وردوها إلى الغرب عيال الامامي"، الدراسات الميدانية محي، نيسان ١٩٩٣.

على عشائر المنطقة بعدم قبول دخالة الامامية* (الاجارة) في محاولة منا لتحديد تاريخ الحادثة يمكن اعتبار مطلع القرن الثامن عشر كتاريخ تقريبي للحادثة على اعتبار أن سالم بن أحمد الذي قاد حملة القضاء على نفوذ الامامية والعمرو معاً، فتولى الزعامة في حوالي ١٧٠٠م، وهو حفيد جلال بن شديد التميمي الخليلي الجد المؤسس للمجالي والذي قدم إلى الكرك سنة ١٦٦٤م**.

الهجرة:

كان من نتائج حادثة القضاء على الإمامية هجرة القضاة والبشابشة منها***. ذكرت الروايات بأن احد القضاة كان متزوجاً من ابنة شيخ العمرو المعروف بالأمير قيسوم****. استطاعت هذه الزوجة أن تنجز وثلاثة من أبنائها من الحادثة فهربت

---

* ذكر روكس العزيزي: "لقد ضعفت مكانة الامامية لدرجة لم يكن يقبل لهم حكم في نزاعات ملكية الأراضي"، معلمة التراث الأردني، ج٤، ص١٢٧.

** اعتماداً على شجرة عشيرة المجالي التي أوردها فردريك بيك في كتابه (تاريخ شرق الأردن)، ص٤٩٥.

*** لا نستطيع تتبع خط الهجرة عبر المناطق وحتى تحديد تاريخ التحرك والانطلاق من منطقة إلى أخرى بالاعتماد على المصادر الشفوية، حيث اننا لم نعثر على اسماء الأشخاص الذين هاجروا والمادة المستمدة من ذاكرة الرواة تشير إلى المهاجرين باسم جدودنا الناجين من المعركة والمرتحلين من منطقة إلى أخرى، وغالباً ما يضفى طابع أسطوري على تلك الحوادث والأشخاص وهي امتداد لأسلوب السير والملاحم الشهيرة في التراث الكلاسيكي العربي كسيرة تغريبة بني هلال.

**** ذكر مودبيل Medebielle, P (Histoir de la Mission de kerak 1961, P14 بأن الكرك تقع تحت سيطرة العمرو وأن الشيخ ذياب بن قيسوم شيخ العمرو قضى على نفوذ عشائر الحمايدة في شمال الكرك وذلك في مطلع القرن التاسع عشر واستمرت المعارك بين العمرو وبني حميدة حتى ضعف الطرفان حيث استفاد من ضعفهما عشيرة المجالي المنافسة والمتطلعة للسيطرة على منطقة الكرك. وجاء في كتاب عويدي العبادي، العشائر الأردنية، ص٥٧٠، ابن قيسوم كان يسمى بأمير الغورين لأنه كان يملك غور المزرعة والصافي وفيفة وتلاشت ذريتهم من البلاد بما فيها الكرك بعد هجرتهم إلى العراق باستثناء شخص واحد أقام في السلط ويدعى رجاء العمري من بني قيسومة من سواحرة فلسطين وكان بني قيسوم قوم جبارين في الحرب ويركبون الخيل.

باتجاه الشمال عبر الموجب ولجأت مع أبنائها إلى بدو بني صخر في منطقة القسطل فشبّ الأولاد حيث تزوج احدهم من قبيلة بني صخر واستقر مع أخواله، أما الاثنان الآخران فقد تابعوا هجرتهم غرباً باتجاه منطقة نابلس، وبعد فترة انتقلا شرقاً باتجاه منطقة عجلون وهناك اقاموا إلى جوار عشيرة المومني*، ثم رحل أبناؤهن إلى قرية عين جنة وكونوا مع المومنية حلفاً مقابل حلف عشائر قرية سوف.

هاجر أحد أحفاد قضاة منطقة عجلون شمالاً حتى سهل حوران واستقر إلى الشرق من درعا وهناك أسس قرية تسمى حالياً الكرك تيمناً بموطنه الأصلي وتقع هذه القرية بين بصرى الشام ودرعا السوريتين**.

كما هاجر قسم من قضاة عجلون إلى السلط على أثر نزاع داخلي حيث جاوروا عشيرة الحياصات***. ودعموا حلفهم بسلسة من المصاهرات حيث أصبح لهم كياناً في منطقة السلط.

أما الناجون من القضاة الذين بقوا في منطقة الكرك من غير أبناء الجدة بنت قيسوم العمرو فقد ذكرت الروايات الشفوية قصة ثلاثة من جدود القضاة استطاعت

---

* المومني من عشائر منطقة عجلون ينتشرون في قرى صخرة وعبين وعبلين وعين جنة، يذكر بأنهم من نسل الحسين بن علي، ومن الجدير بالذكر أيضاً بأن القضاة ينسبون أنفسهم إلى الحسين بن علي، وهذا ربما ما يفسر اختيار القضاة للجوء إلى المومنية للشعور بأنهم ينتمون إلى أصل واحد. فردريك بيك، تاريخ شرق الأردن، ص٤٢٢، وايضاً السراحين، عشائر شمال الأردن، ص١١٩.

** نتائج الدراسات الميدانية، محي، نيسان ١٩٩٣.

*** ذكر فردريك بيك، بأن اصل هذه العشيرة من منطقة الخليل، حيث هاجر جدّهم منذ ٢٢٥ عاماً وسكن السلط، وذكر فردريك أيضاً بأن القضاة من منطقة عين جنة يشكلون حلفاً مع عشيرة الحياصات وذلك منذ عام ١٥٠ عاماً. (فردريك بيك، تاريخ شرق الأردن، ص٢٣٦، ٢٣٧).

عشيرة الصرايرة* أن تقبل إجارتهم، ثم قسموا لاحقاً الأرض مع الصرايرة.

أما بالبشابشة والتي واجهت نفس مصير القضاة حيث تركت موطنها الأصلي في الكرك على أثر الحادثة، وذكرت الروايات الشفوية المستمدة من شيخ عشيرة البشابشة فقال: "بعد أن كنا زراع وأصحاب أراضي أصبحنا لقاطين وحصادين"، وذلك تعليقاً على نتائج الهجرة من الكرك تعبيراً عن فقدانهم الأرض. وذكر بأن رجلين من جدود البشابشة الناجين من الحادثة هاجرا باتجاه غور بيسان شمالاً ثم استقر بهم المطاف في منطقة الرمثا وهؤلاء يعرفون ببشابشة الشمال.

ذكر بأن الشيخ (أعمر) أحد الناجين من الحادثة والذين بقوا في الكرك ويعتبر الجد المؤسس لمجموع عشيرة البشابشة المستقرين في قرية محي (كما سنرى لاحقاً)، ذهب اعمر إلى الوالي العثماني في دمشق يطلب مساعدته لتثبيته في موطنه فأمر الوالي بأن يعود إلى موطنه الكرك معززاً لكنه فضّل العيش بدون مناصب إلا أنه في النهاية اسند له وظيفة الإشراف على قافلة الحج مقابل قبض (الصرّة) أي مبلغ من المال للإشراف على شؤون قافلة الحج في المنطقة الممتدة ما بين محطة ضبعة شمالاً وحتى قلعة عنيزة جنوباً. وعندما رجع من دمشق أحضر معه مجموعة من المسلحين كأفراد الحامية المكلفة بحماية القافلة وسكن هؤلاء في الكرك، وعرف أحفادهم لاحقاً باسم عشيرة البواليز**. واستقر شيخ البشابشة وجماعته في قلعة الحسا واستصلحوا الأراضي المحيطة بها مستفيدين من عيون الماء المنتشرة في وادي الحسا.

---

* الصرايرة من عشائر الكرك الكبيرة والمتنفذة، يقطنون قرى الدويخلة (الهاشمية)، سول، مؤتة.

** ذكر فردريك بيك بأن البواليز لعل اسمهم مأخوذ من كلمة بوليس ويدل على ذلك ما يروى بأن آبائهم كانوا يحرسون قلعة القطرانة، (تاريخ شرق الأردن، ص٥٠٣). وذكرت الروايات المستمدة من محي بأنه أحضر مع الحامية مجموعة عرفوا بعشيرة السطل انضموا إلى بدو بني صخر في منطقة ضبعة الحمام.

لقاء الحجايا والبشابشة:

على أثر الخلافات الداخلية بين حجايا الجبل في منطقة العليا في الطفيلة هاجر الحجايا من فرع العليين والهدايات وسكنوا في أراضي الحسا بالقرب من عيون الماء، وهناك التقوا مع البشابشة حيث اتفق شيخ الهدايات مع شيخ البشابشة على أن يخرج الأخير من قلعة الحسا إلى البرية يشتلغون في تربية الماشية. فجاء على لسان أحد المبوعثين من البشابشة في محي حيث قال "اتفق جدودنا مع الحجايا على عين الماء واشتروا المواشي واصبحوا هم والحجايا يشرقون ويغرّبون سعياً وراء الماء والكلأ"، كان ذلك مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع هذا القرن في هذه الأثناء هاجم البشابشة القطار التركي* (كما ذكرت الروايات الشفوية) ضمن سلسلة الحوادث الموجهة ضد الأتراك أثناء ثورة الكرك سنة ١٩١٠ واستولوا على محتوياته من متاع وأموال ومجلدات من السجلات حيث جاء على لسان المبحوثين من البشابشة أنهم احرقوها بهدف اخفاء أسماء المطلوبين للجندية والملتزمين بدفع الضرائب (حسب اعتقادهم) على أثر ذلك جردت الحاميات التركية حملة مطاردة وتفتيش بحثاً عن المهاجمين المطلوبين من البشابشة الذين لجأوا إلى بدو صخر من عشائر الخرشة والفايز المنتشرين في منطقة جنوب وشرق عمان.

ومن طريف ما ذكر أن نمط بناء بيت الشعر لدى البشابشة من نوع ذو الرواقين**، حيث يسدل من خلف البيت ستار ومن امامه ستار بعكس البيت البدوي الذي يبقى مفتوحاً مشرعاً على الفضاء من الأمام باستثناء الجناح الخاص بالنساء (الشق). فكان الجند الأتراك يسألون الأعراب الذين يمرون بهم أين يسكن قوم ذي الرواقين ويقصدون بذلك البشابشة، عندها تخلى البشابشة عن اسلوب بيت الشعر ذو الرواقين بأن أزالوا الستار الأمامي للبيت وبذلك اختلطوا مع باقي عشائر المنطقة ولم يعثر الأتراك عليهم.

---

* أول رحلة للقطار على الخط الحديدي الحجازي من عمان إلى معان بدأت في شهر أيلول ١٩٠٤، انظر محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء...، ص١٨٩.

** دلالة على استمرارية التقاليد الريفية عند البشابشة والمتأثرين بنمط البناء الثابت المغلق على الخارج والمفتوح على الداخل.

وبعد رحيل العثمانيين الأتراك نهائياً عن البلاد في عام ١٩١٧ عاد البشابشة للاستقرار النهائي في محي إلى جوار الحجايا الهدايات وتقاسموا القرية مع عشيرة القضاة وكان اللقاء من جديد بين الإمامية (البشابشة والقضاة)، لكن في وطن جديد مكونيين مجتمعاً مستقراً مركباً نصفه بدوي (الحجايا) وآخر ريفي ذو تراث فلاحي (القضاة والبشابشة).

النسق الاجتماعي لعشيرتي القضاء والبشابشة

" **اتفق البدوي والفلاح على الإقامة في محي وقسموا الأرض بينهما**"

حامد بن خليف عودة القضاة، ٧٠ عاماً، محي، نيسان ١٩٩٣

على أثر استقرار قبيلة الحجايا البدوية وعشيرتان* ريفيتان القضاة والبشابشة في محي اتسم نمط الحياة بطابع بدوي رعوي وزراعي ريفي تقليدي وتنوع أيضاً النسق الثقافي "العادات والتقاليد.." والنسق الاجتماعي "العائلة والقرابة" بين النسق البدوي والريفي. إن طابع النسق القرابي في العشيرة الريفية يستمده الفلاح من خلال علاقاته بالأرض الزراعية وحياة الاستقرار في الموقع، حيث أعطى الفلاح قيمة وأهمية للأرض وملكيتها التي تتوزع على شكل حصص على أفراد العشيرة الذكور بواسطة رؤساء العائلات لكي يستفيد منها جميع أفراد العائلة وتراعى تقاليد التماسك العائلي وحفظ النسب داخل الوحدة القرابية ليتم توزيع الملكية على الأعضاء وفق أسس وأعراف متبعة. كما يستمد البدوي نظامه الاجتماعي من أسلوب ونمط معيشته متنقلاً مع مواشيه وراء الماء والكلأ في البراري على شكل مجموعات محدودة من العشيرة وضمن وحدات قرابية كالعائلة الممتدة والأسرة (الأهل) فتكون أكثر تماساً من القبيلة واسعة الانتشار.

عشيرة القضاة*

ذكرت الروايات الشفوية بأن ثلاثة رجال ممن نجوا من حادثة الإمامية في الكرك

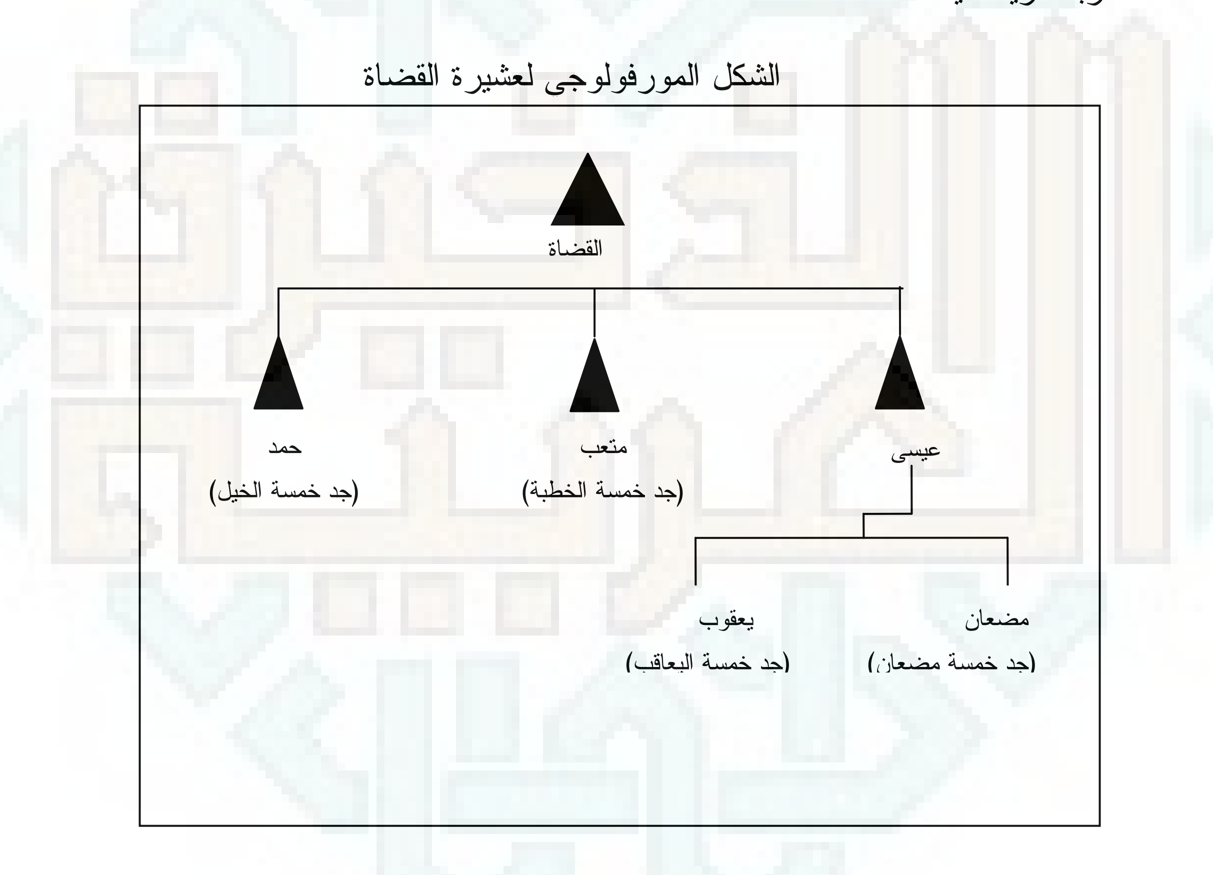
---

* معطيات الدراسات الميدانية في قرية محي-حزيران ١٩٩٣.

* ذكرت الرويات المستمدة من كبار السن في عشيرة القضاة أن الجد المؤسس للعشيرة اسمه أحمد النمر في زمن غير معروف على وجه التحديد هاجر من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية، ثم تنقل في بلاد الشام وتحالف من أحد الأغوات واستقر في فلسطين لفترة في منطقة نابلس حيث تحالف مع أحد الأغوات هناك انتقل بعدها إلى شرق الأردن واختار الكرك مكان دائم للسكنى، (محي، نيسان، ١٩٩٣).

ضموا إلى عشيرة الصرايرة بعد فترة غير معروفة على وجه التحديد، وفي فترة لاحقة أبدى مجموعة من القضاة المقيمة مع الصرايرة الرغبة في التجمع بأرض خاصة بهم والتخلص من وضعهم الاجتماعي " قوم بدون أرض" كما كان يطلق عليهم ذكر مبحوث من العشيرة، فكان على العشيرة أن تختار موطن اقامة دائم من بين المواقع المقترحة التالية: أم الرصاص، قرب مادبا، أبو ترابة في أعالي الموجب، خربة نخل، شرق المزار، خربة المريغة، شرق قرية الغوير، ثم قرية محي والتي اختيرت للاستقرار بعد استبعاد جميع المواقع المقترحة. ومبررات ذلك كما ذكر شيوخ العشيرة بسبب توفر مصادر المياه من برك وآبار قديمة في القرية وقربها من عيون الماء في وادي الحسا، وكونها تعتبر منطقة على " درب الشق" أي وقوعها على طرق العمران، كذلك تحيط بها المراعي الفسيحة وليس لها من مطالب من قبل الجماعات المجاورة، وتحتوي أيضاً على خربة أثرية قديمة.

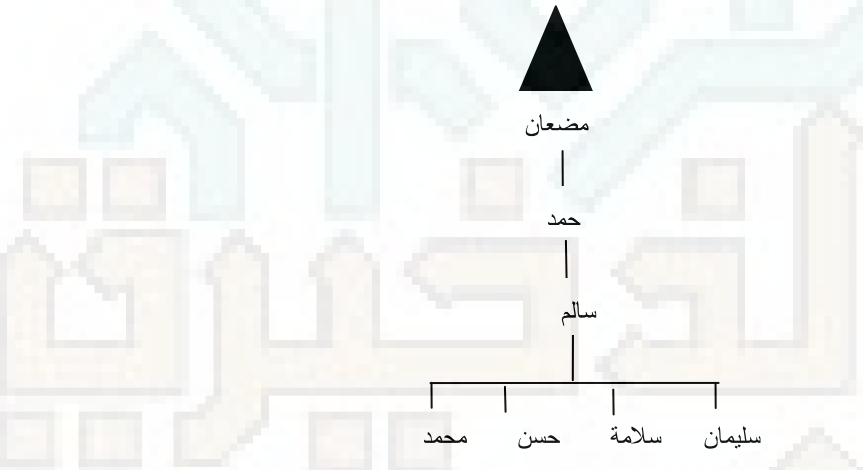
الشكل المورفولوجي لعشيرة القضاة



ذكر رواة القضاة أن شيوخهم الذين اختاروا محي هم التالية: حمد أبو طابونين وهو جد مجموعة (خمسة أبو الخيل)، ومتعب أخو عاقلة جد مجموعة (خمسة الخطبه)، عيسى أخو صالحة الذي انبثقت عنه مجموعة (خمسة المضاعين واليعاقب)*.

وذكر أن استقرار القضاة في محي بدأ باحدى عشرة عائلة، شاركت الحجايا بنصف أراضي القرية، ويبدو أن القضاة الأوائل استقروا في فترة سابقة لتاريخ وثيقة توزيع الأراضي (اذن الاقامة الصادر في حزيران ١٩١٩). واستناداً إلى تتبع شجرة تحدر الشيخ سليمان بن سالم القضاة الشخص الذي اعطي الأذن بالاقامة ومقارنته مع شجرة تحدره والوصول إلى الجدود التي تحدرت منهم عشيرة القضاة.





يقدم نسق قرابة خمسة مضعان توضيحاً بأن سليمان بن سالم بن حمد مضعان القضاة حفيد الجد المؤسس للخمسة مضعان وكما هو مؤكد من تاريخ وثيقة التفويض

---

* ذكر فردريك بيك بأن القضاء ينقسمون إلى أربعة فرق هي: المضاعين، الخيل، الخطبة، اليعاقبة، خ شرق الأردن، ص٥٠٣).

** المعلومات مستمدة من مقابلة مع عمر بن محمد بن سلمان القضاة شيخ عشيرة القضاة (عمره ٥٣ سنة) وحفيد الشيخ سليمان المفوض بأراضي محي، (محي، حزيران ١٩٩٣)، ملاحظة: من خلال الدراسات الميدانية لاحظنا أن أي عضو في العشيرة يستطيع أن يتتبع نسبة في خط الذكور إلى خمسة أجيال للوراء بشكل صحيح.

(حزيران ١٩١٩) تبين لنا بأن الجد مضعان عاش في حدود العقد الرابع من القـــرن التاسع عشر.

ورد في سجلات أراضي الكرك أنه ابتداءً من تشرين أول ١٩٢٣ تــم تفــويض أراضي محي المحلولة الأميرية المقيدة بدفتر المحلولات إلى سليمان بن سالم القضاة وجماعته بواقع ٢٤ حصة يدفع بدل المثل عن كل دونم عشرة قروش تدفع بالتقــسيط شرط عدم تعطيل الأرض عن الزراعة. وسوف نستعرض أرباب العــائلات التـــي حصلت على الحصص الأربعة والأربعين الواردة في قائمة التفويض. بذلك نــستطيع معرفة البناء الاجتماعي لعشيرة القضاة في محي.

تفويض حصتين إلى سليمان بن سالم وابنه سلامة بن سليمان، وابناء عــودة بــن إبراهيم مضعان، أبناء حمد جد الخيل، أبناء مزعل بن محمد اليعاقب، أبناء ســليمان بن حمد الخيل، أبناء رزق اليعاقب، أبناء عواد بن مفلح الخطبة، أبناء مطلق الخطبة، أبناء جعفر بن حمد الخيل. ثلاثة حصص إلى فارس وخلف وعطــاالله أبنـــاء علـــي البشابشة (وهؤلاء خمسة البشابشة التي قسمت الأرض مع عــشيرة القــضاة يقابلهـــا خمسة أخرى من البشابشة قسمت الأرض مع الحجايا وبذلك تكون البشابشة قد قسمت الأرض مع القضاة والحجايا كما سنرى لاحقاً). والمذكورين هنا هم أرباب عـــائلات عشيرة القضاة جميعهم تربطهم قرابة حقيقية كونهم متحدرين من الجدود ابناء الجــد المؤسس للقضاة، وكل جد من هؤلاء يُعَدّ بمثابة مؤسس لمجموعة قرابية متحدة مكونة بنية اجتماعية متحدة منبثقة من العشيرة الاساس، وكل فرد في الخمسة ينتــسب إلـــى عائلة ممتدة تعرف بعيال (فلان) أي جد الخمسة. وأرباب هذه العائلات أخوة وأبنـــاء عمومة لهم حقوق خاصة بحصصهم من الأرض والمساكن وآبــار المـــاء وتتميــز الخمسة بامكانية اعادة انقسامها إلى فروع في مرحلة لاحقة.

نظام القرابة للقضاة:

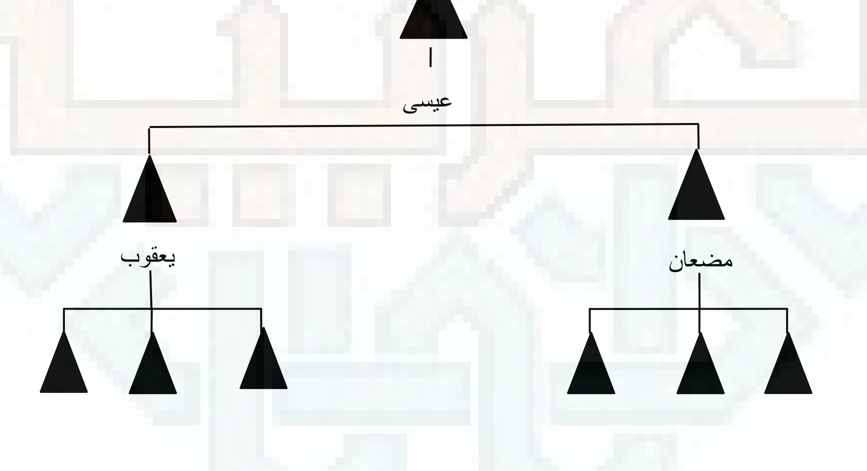
مجتمع عشيرة القضاة في محي وبفضل معيشتهم المشتركة معاً في حي خاص بهــم سواء أبان إقامتهم في القرية القديمة ولاحقاً في القرية الجديدة جعــل لهــم خـــصائص

مشتركة تجمعهم، أهمها وحدة العشيرة، فالمجموعة ينتمون إلى القضاة موزعين إلى وحدات قرابية (خمسات) وكل خمسة تنتسب إلى جد مؤسس تربطهم قرابة حقيقية (رابطة دم) والخمسة عبارة عن مجموعة من العائلات الممتدة أو الممتحدة يعيشون في بيوت متصلة متقاربة بنيت على حصة الأرض التي حصل عليها رب العائلة عند التفويض وتوزيع الحصص.

خمسات القضاة*:

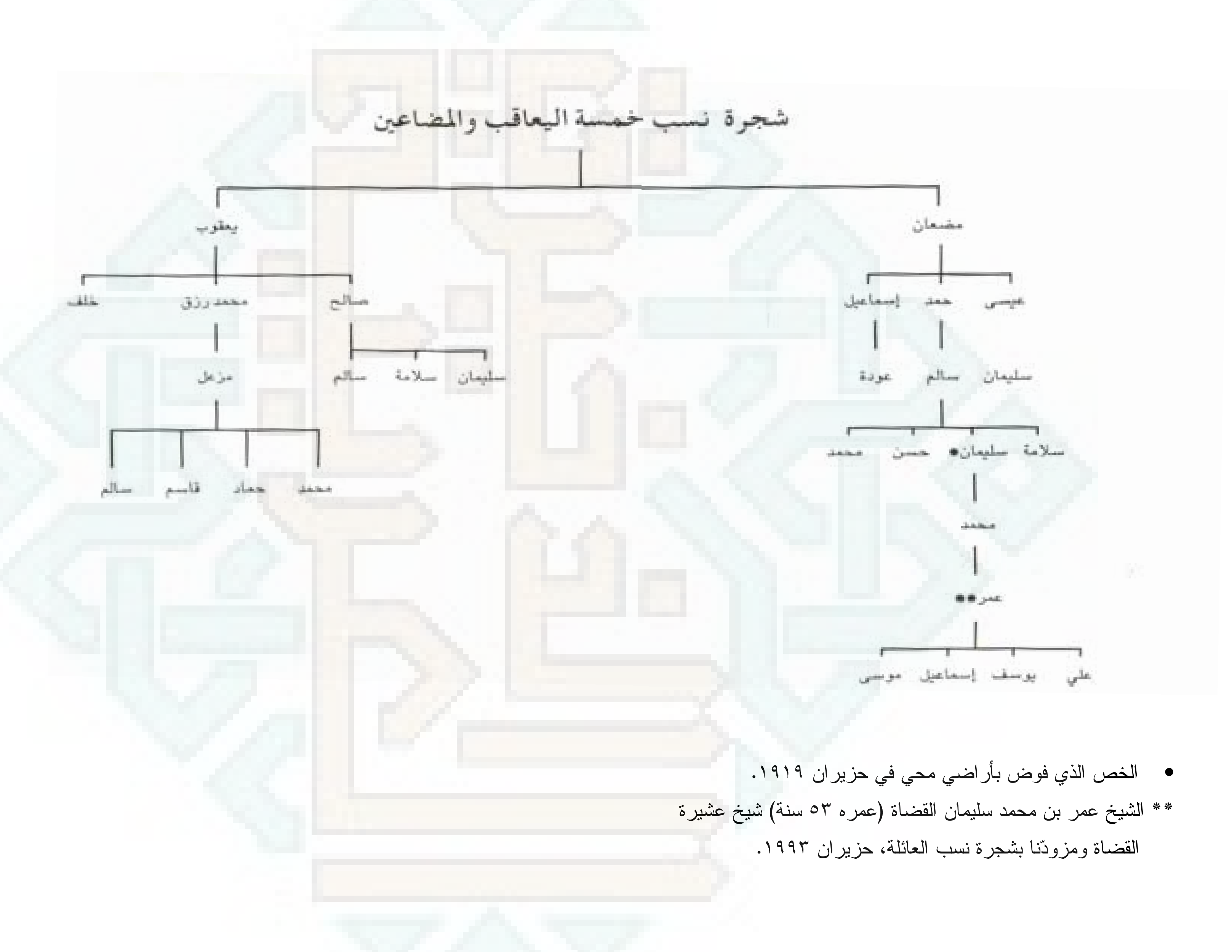
- المضاعين، يعرفوا محلياً بعيال مضعان بن عيسى القضاة، يتفرع عنهم عائلة السوالمة (عيال سالم)، عائلة العيساوية (عيال عيسى)، عيال عودة بن خليف.
- اليعاقب، يعرفوا محلياً بعيال يعقوب بن عيسى القضاة، يتفرع عنهم عائلة الصوالحة (عيال صالح)، وعائلة المزاعلة (عيال مزعل)، وهناك أخ ثالث لم يرزق بأبناء. ومن الجدير بالذكر أن مضعان ويعقوب أخوة اشقاء أبناء عيسى أخو صالحة القضاة، وهو يمثل انقسام الجماعة إلى فرعين تنتمي إلى الشقيقين اللذين تحدرا مباشرة من الجد المؤسس للخمسة.
- الخطبة، يعرفوا محلياً بعيال متعب الخطيب أخو عاقلة.
- الخيل، يعرفوا محلياً بعيال حمد.

شجرة نسب خمسة المضاعين واليعاقبة



---

* معطيات الدراسات الميدانية، محي، حزيران، ١٩٩٣.



- الخص الذي فوض بأراضي محي في حزيران ١٩١٩.

** الشيخ عمر بن محمد سليمان القضاة (عمره ٥٣ سنة) شيخ عشيرة القضاة ومزودّنا بشجرة نسب العائلة، حزيران ١٩٩٣.

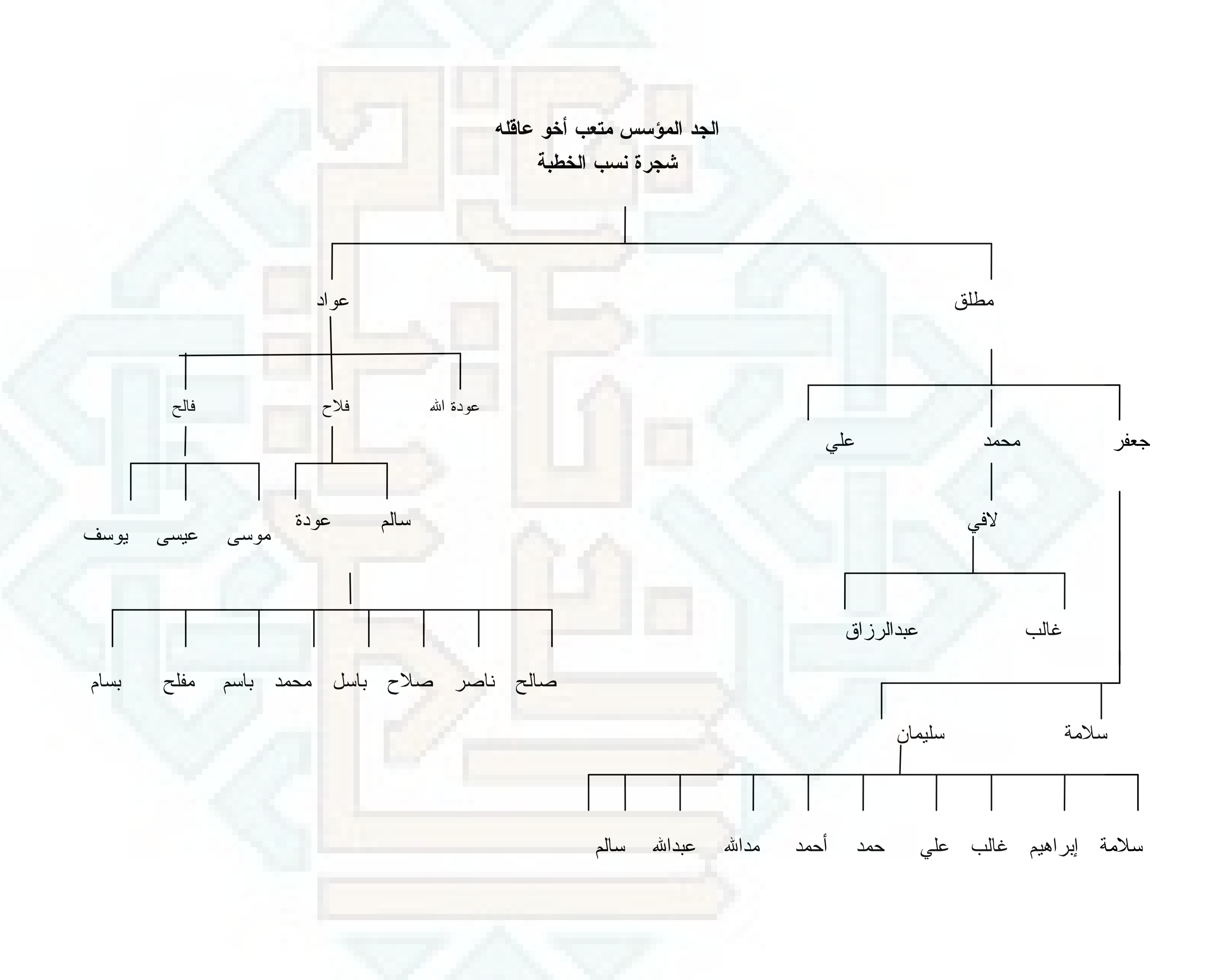
نقدم مجموعة من الرسوم البيانية لشجرات الأنساب للمجموعات القرابية المكونة لعشيرة القضاة جمعت المعلومات بواسطة الإخباريين كبار السن في العشيرة.

يلاحظ عند مستوى الجيل الثالث من عمر المجموعة (الخمسة) تشكلت وحدات قرابية عرفت بعيال (فلان) نسبة إلى رب العائلة (كعيال السالمية وعيسى وعودة والمزاعلة). وهذه المجموعة بدورها سوف تكون مستقبلاً أي بعد أربعة أجيال أو خمسة مستقلة بذاتها تتضمن المجموعة القرابية المسمية (بعيال نسبة إلى الجد المؤسس للعائلة) أي عدد من العائلات الممتدة وبالضرورة أن يكون عددها بعدد الأبناء الذكور المتحدرين من الجد المؤسس للمجموعة وهؤلاء هم بمثابة أرباب العائلات الممتدة.

بالرجوع إلى نسق عشيرة القضاة وبعد مراجعة قائمة أعضاء العشيرة الذين حصلوا على حصص الأراضي الموزعة على كامل أعضاء العشيرة وجدنا بأن ارباب العائلات الممتدة هم الذين وزعت عليهم أراضي قرية محي. مثال ذلك، عيال السالمية وجدهم سالم بن حمد مضعان القضاة ابنه سليمان يعتبر رب عائلة وهو الشيخ(٦) الذي فوضت له أراضي محي وابنه محمد وحفيده عمر الشيخ الحالي لعشيرة القضاة وله من الأبناء الذكور أربعة يقيمون معاً في منزل العائلة في الحي الجديد للقرية، فكل هؤلاء يشكلون مجموعة العائلة الممتدة للجد سليمان من خمسة السالميين (عيال سالم).

وأرباب العائلات الممتدة هم أول من بنوا بيوتاً ثابتة من الحجر والطين في قرية محي القديمة، ومن خلال الرجوع إلى سجلات أراضي الكرك نجد قائمة بأسماء الأشخاص المالكين لهذه البيوت، ومنهم: سليمان بن سالم، سالم بن مزعل، أبناء سلامة بن سالم، قاسم بن مزعل، خلف بن عودة، خليف بن عودة(٧).

ويمثل النموذج السابق طريقة اعادة انتاج الخمسة نفسها في مرحلة زمنية لاحقة من عمر العشيرة.


الجد المؤسس متعب أخو عاقله
شجرة نسب الخطبة
مطلق
عواد
جعفر
محمد
علي
لافي
غالب
عبدالرزاق
سلامة
سليمان
سلامة
إبراهيم
غالب
علي
حمد
أحمد
مدالله
عبدالله
سالم
عودة الله
فلاح
فالح
سالم
عودة
موسى
عيسى
يوسف
صالح
ناصر
صلاح
باسل
محمد
باسم
مفلح
بسام

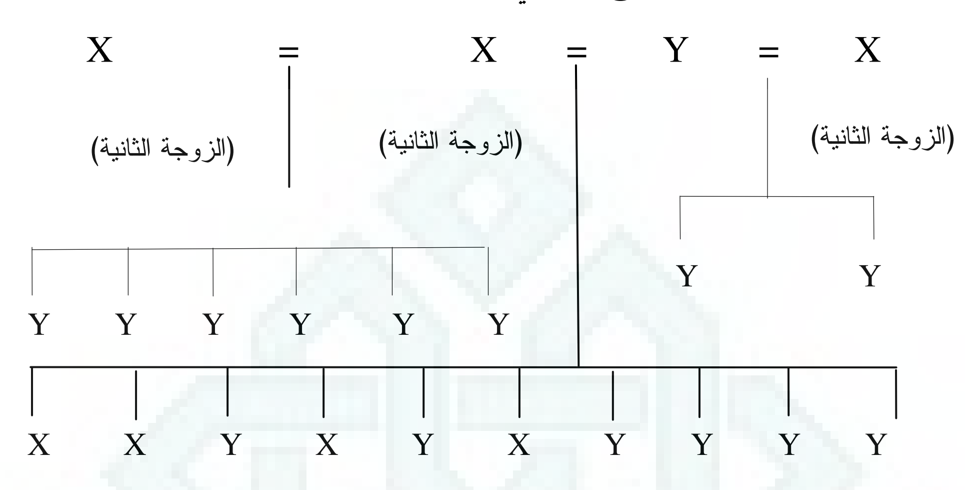
من خلال قراءة نماذج التسلسل القرابي للخمسات تتاكد ظاهرة المجتمعات الريفية التي تحرص على زيادة عدد فراد العائلة والرغبة في الانجاب تكون عادة مصحوبة بعلاقات مصاهرة وزواج بغير زوجة. وفي السابق كان الزواج الداخلي هو السائد في العشيرة فشاعت عادة الزواج من ابنة العم. وهذا ما عبّر عنه مزوّدنا من خمسة الخطبة أثناء الدراسات الميدانية، حيث قال:

"ان ذرية الفلاح أكثر من ذرية البدوي، لأن البدوي انسان متنقل يحرص على أن يكون متعه خفيفاً وقليلاً، لكنه يسعى إلى زيادة عدد رؤوس مواشيه. أما الفلاح فهو بالأرض مستقر مقيم ومعيل للأسرة ولحريم البيت ويكثر من الأبناء لأنهم بمثابة عزوة وزراع للأرض".

سليمان بن جعفر القضاة (٨١ سنة). (محي، أيار ١٩٩٣).

في المجتمع الريفي تعتبر العائلة أصغر وحدة اجتماعية وهي مكونة من الزوج والزوجة والأولاد ويحرص رب العائلة على زيادة عدد الأبناء الذكور للمشاركة في الإنتاج وتمويل العائلة وأحياناً تضم العائلة الأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأولادهم ويعيشون في سكن واحد حيث يكون الأب هو المسؤول الأول عن الأسرة ويشاركه الابن الأكبر في تحمل المسؤولية. ولتوضيح ذلك ندم نموذج عائلة سليمان بن جعفر القضاة.

النسق القرابي لعائلة سليمان بن جعفر*



حصل الزواج الأول عام ١٩٣٠ من بنت فلاح بن عواد ابنة عم الزوج وكانت تبلغ من العمر عشرين عاماً وانجبت ولدين.

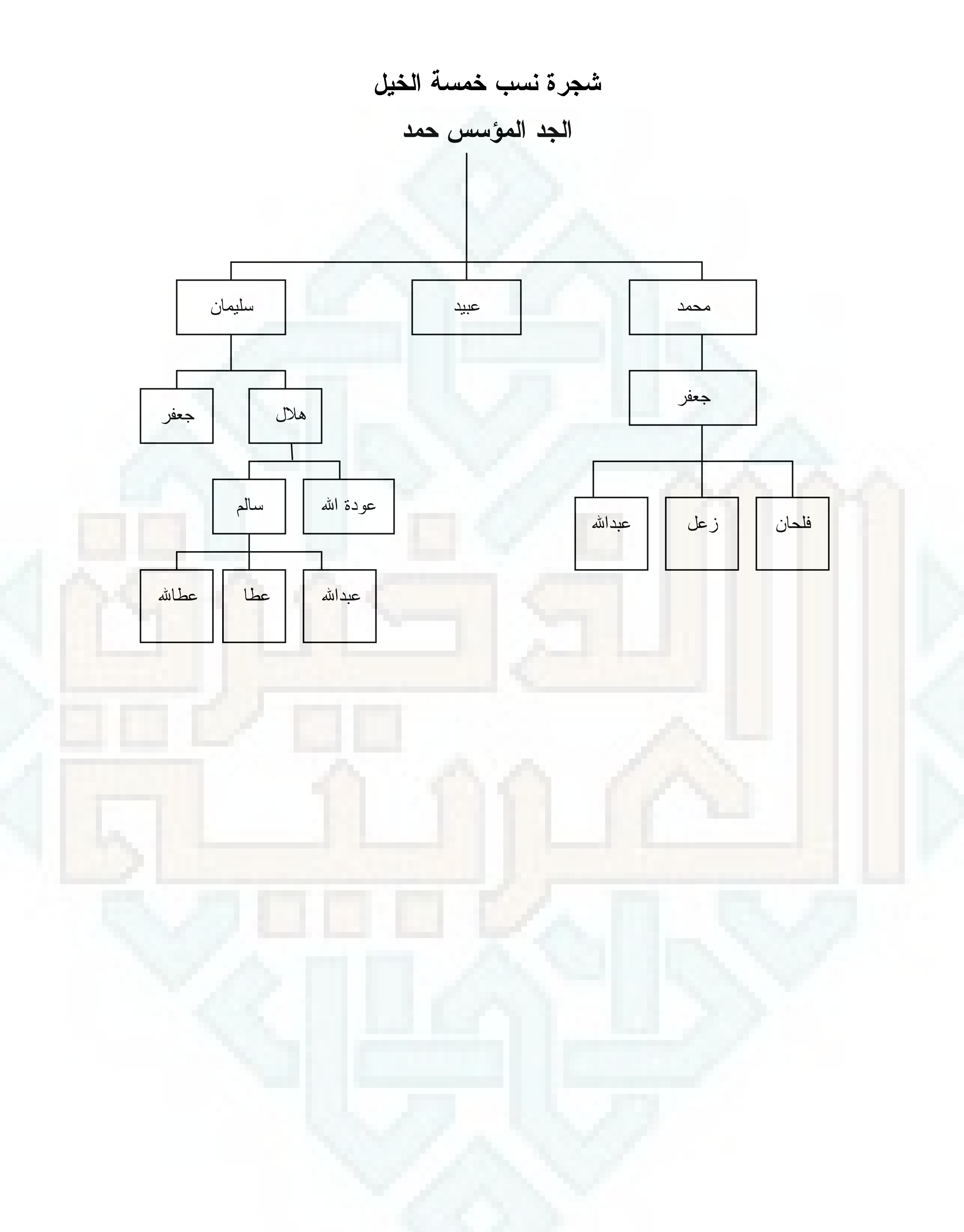
الزواج الثاني حصل عام ١٩٣٧ والزوجة من عشيرة العضايلة (الكرك) والدتها من عشيرة القضاة ويلاحظ هنا علاقة مصاهرة الأخوال. وكانت تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً عند الزواج وانجبت عشرة أبناء (ستة ذكور، وأربعة أناث).

أما الزواج الثالث، فقد حصل عام ١٩٧٩ حيث بلغ الزوج من العمر (٦٧ سنة) والزوجة من عشيرة القضاة. ويلاحظ هنا أن الزواج الداخلي تم عندما تقدم بالسن وكانت الزوجة تبلغ حينها (١٨ عاماً)، انجبت سبعة أبناء (أربة ذكور، وثلاثة إناث).

* جعفر بن مطلق حصل على حصة واحدة عند توزيع الأراضي على العشيرة، (سجل أراضي الكرك، ١٩٢٥، ١٩٣١، ص٢).

شجرة نسب خمسة الخيل

الجد المؤسس حمد



عشيرة البشابشة:

ذكرت المصادر الشفوية والكتابية أن البشابشة يعود نسبهم إلى عبدالله باشا النمـر من الإمامية. كلف جدهم عبدالله باشا من قبل العثمانيين بالقيـام علـى رأس حملـة عسكرية لتأمين سلامة طريق الحج الشامي، فتقدم عبر نابلس واحتلها وعـين ابنـه يوسف عليها عام ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م، واحتل الكرك وعين ابنه عثمان عليها (الـذي سوف يكون بمثابة شيخ البشابشة في الكرك)، ثم تابع تقدمه حتى تبوك*. وبعد مـوت عبدالله باشا النمر تمرد عليهم أهالي الكرك فاستنجدوا بأخيهم يوسف النمر في نابلس، فهب لمساعدتهم وتثبيتهم في الكرك حتى اخرجوا منها بعد اتفاق المجـالي والعمـرو ضدهم كما ذكرنا سابقاً.

سبق وإن ذكر بأن هاجر البشابشة من الكرك بعد حادثة الامامية، وذكر ان اثنـين من الناجين من تلك الحادثة رحلا إلى بيسان ثم انتقلوا شرقاً إلى منطقة سوف قـرب جرش، أثناء تواجدهم فيها انضم إليهم رجل من عشيرة الخزاعلة وهي فرع من قبيلة بني حسن ويدعى حمد علي الخزعلي، والذي تزوج اخت حسن عقلة البشابشة (أحـد جدود بشابشة الشمال) فتشكل بذلك مجموعة البشابشة الخزاعلة، وكان لأحد البشابشة طاحونة حبوب يلقب صاحبها بالمخدم، وذكر أن مناسبة هذه التسمية لعدم مـشاركته وخدمته أصحاب الحبوب اثناء العمل في المطحنة حين طلبوا منه ذلك فأجـاب أنـا ليست (بمخدم) حينها أطلق عليه هذا اللقب(٩). وحدث أن أحد المخادمة قتل رجلاً من عشيرة العتوم المحلية، وعلى أثر ذلك هاجر إلى الرمثا حيث استقروا فيهـا بـشكل نهائي**.

---

* ذكر محمد فلاح مختار البشابشة بأن أصل البشابشة من الجزيرة العربية وجدهم يـدعى النمـر، هاجروا إلى بلاد الشام وأثناء مرورهم في معان تخلف منهم فرع يعرف اليوم بالإمامية والـذين تابعوا سيرهم استقر بهم المطاف في الكرك.

** ذكر فردريك بيك " ان البشابشة هي فرقة من المخادمة من العشائر الرئيسة في الرمثـا كـانوا يقطنون في قرية سوف وهاجروا منها قبل مئة عام (من تاريخ رواية فردريك) لنزاع حدث بينهم وبين عشيرة العتوم فنزلوا إلى قرية الشجرة قبل الاستقرار في الرمثا". تـاريخ شـرق الأردن، ص٤٢٨.

النسق القرابي لعشيرة البشابشة:

"نحن البشابشة وبدو الحجايا كنا مواطنين بلا وطن، التقينا قرب عين الحسا واتفقنا على الاستقرار في محي وقسمنا الأرض مع البدو بالرغم من اننا فلاحين".

محمد فلاح البشابشة محي، نيسان ١٩٩٣م

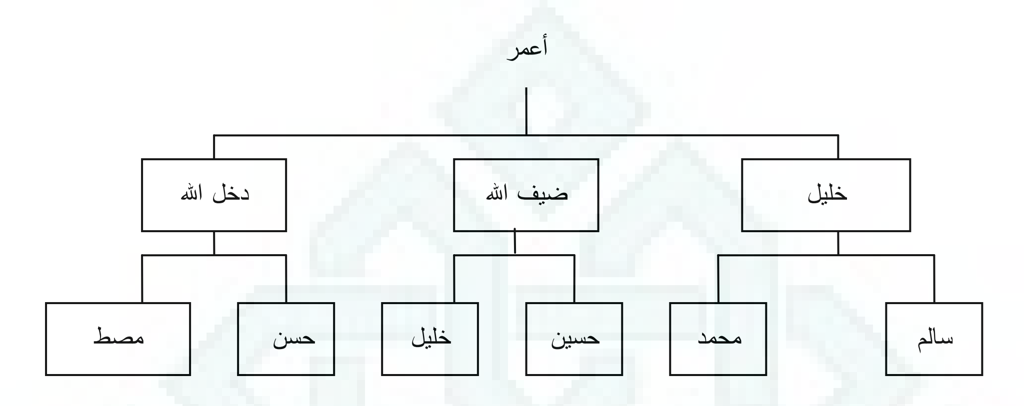
تحدر البشابشة في قرية محي-وكما ذكرنا سابقاً- من الجد أعمر الذي اتخذ من قلعة الحسا مركزاً لحاميته بدعم من الأتراك العثمانيين حيث اتفق من الحجايا للاقامة في محي.

وتتميز عشيرة البشابشة بانقسامها إلى مجموعيتن، مجموعة قسمت الأرض مع بدو الحجايا وأقامت إلى جوارهم، وأخرى قسمت الأرض مع عشيرة القضاة كما ذكر سابقاً. ومن الجدير بالذكر أن العشيرتين القضاة والبشابشة من أصل ريفي نشأ عن هذا الانقسام ظهور نمطين ثقافيين لعشيرة واحدة تربطها علاقة قرابية واحدة، النمط الأول بدوي-رعوي، والثاني ريفي-زراعي تقليدي. ويلاحظ أنه وبحكم الجوار والاقامة الدائمة مع البدو الحجايا تأثرت لهجة مجموعة البشابشة من النمط الثقافي البدوي بلهجة بدو الحجايا، والسبب في الانقسام ناتج عن الهجرة القسرية للعشيرة من موطنها الأصلي في الكرك وإقامتها في براري ومراعي البادية إلى جانب جماعة رعوية واتباع نمط الحياة الرعوية المتنقلة قبل الاستقرار النهائي في محي.

ان انقسام العشيرة إلى نمطين: بدوي وريفي بالرغم من القرابة الحقيقية التي تجمعهم له دلالة اجتماعية بحيث يؤكد على أن نسق القرابة بالأساس نسق اجتماعي ينظم علاقات المجتمع واستغلال المحيط (المراعي والمياه) للجماعات الحق في استغلال المصادر الطبيعية بغض النظر عن درجة القرابة التي تربط الأعضاء معاً وتنظيم الملكية والوراثة في نسق عصابي داخلي.

النسق المورفولوجي لعشيرة البشابشة

الجد المؤسس

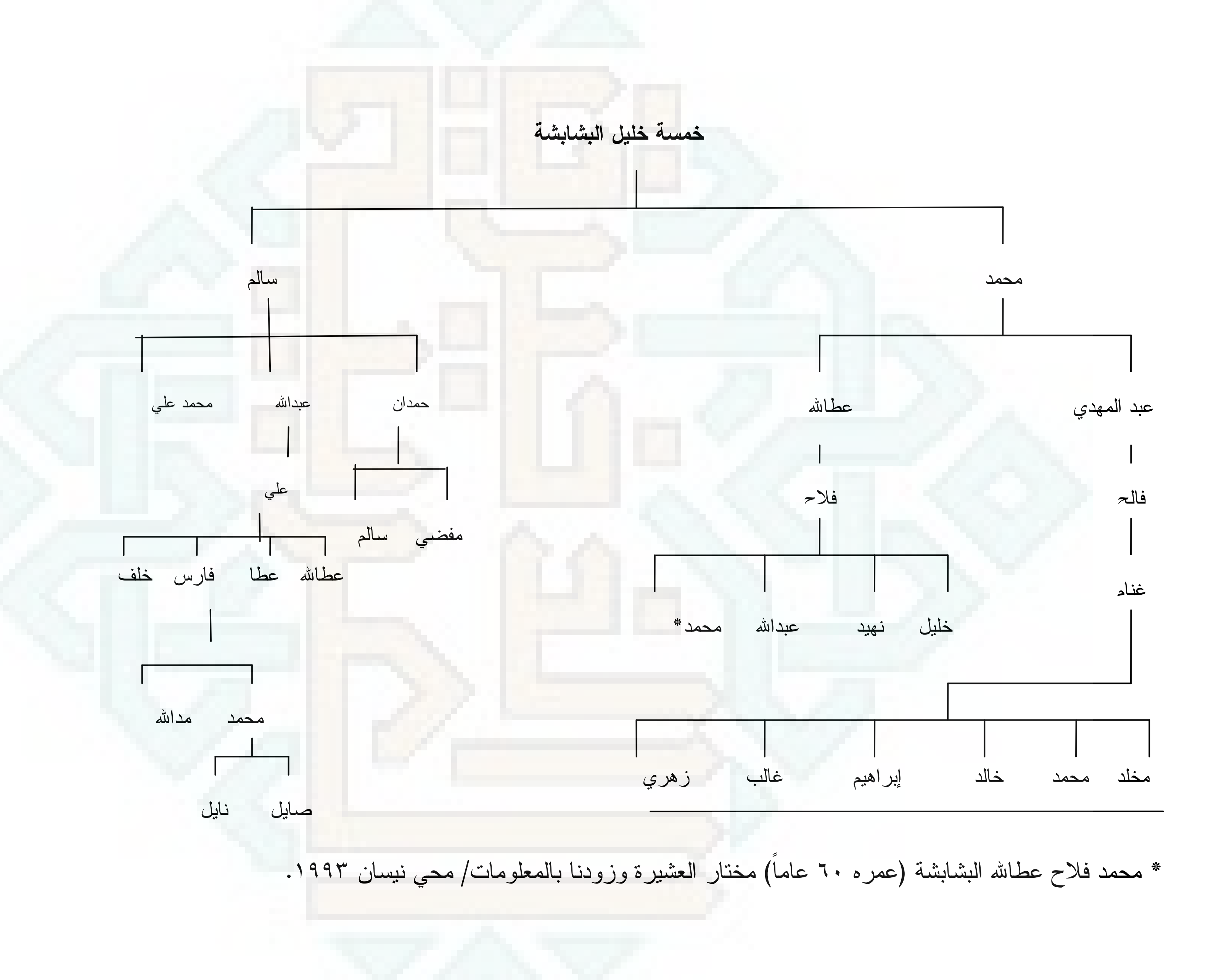


يلاحظ أن مجتمع البشابشة ينحدرون جميعاً من جد واحد مشترك خلال خط الذكور، حيث تربطهم قرابة حقيقية ومجموع العشيرة من سلالة الجد المؤسس (اعمر) وابنائه الثلاثة اخوة أشقاء (خليل، ضيف الله، دخل الله) وكل واحد منهم بمثابة جد المجموعة القرابية المستقلة التي تعرف بالخمسة (كخمسة خليل ، وخمسة ضيف الله، وخمسة دخل الله). وفي المراحل الأولى من عمر العشيرة وقبل تشكل مجموعات الخمسات* كانوا يشكلون مجموعة قرابية متحدة واحدة.

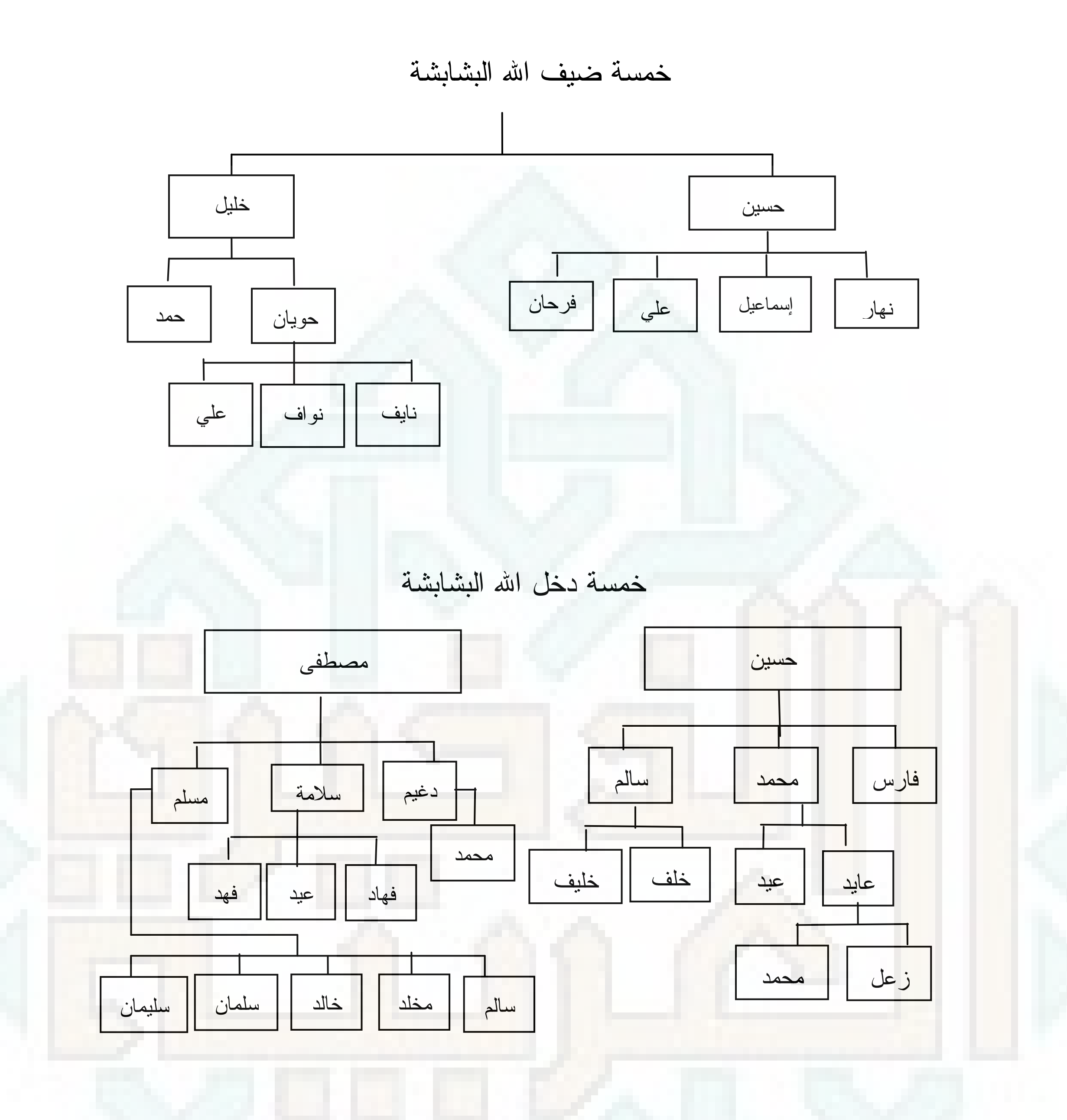
عند مستوى الجيل الثالث أصبح الأخوة وأحفاد رؤساء الخمسات الأخوة وأبناء العم بمثابة رؤساء عائلات انتظم متحدروهم في مجموعات قرابية تسمى (عيال) كعيال علي من سلالة خليل وحسين من سلالة ضيف الله ومصطفى من سلالة دخل الله. وعند هذا المستوى من عمر العشيرة حدثت عملية الانقسام الاجتماعي أي من داخل النسق القرابي الحقيقي انبثقت مجموعتان، الأولى بقيت ريفية إلى جوار عشيرة

* يلاحظ أن الخمسة منظومة قرابية من شروط تشكلها مرور خمسة أجيال أو ما يعرف العمر الزمني للعشيرة ، ويتكون من شعور جماعي لمجموعة المتحدرين وانضمامهم في نسق قرابي ينتمي للجد المؤسس للخمسة).

خمسة خليل البشابشة



* محمد فلاح عطاالله البشابشة (عمره ٦٠ عاماً) مختار العشيرة وزودنا بالمعلومات/ محي نيسان ١٩٩٣.


خمسة ضيف الله البشابشة
خليل
حسين
حمد
حويان
فرحان
علي
إسماعيل
نهار
علي
نواف
نايف
خمسة دخل الله البشابشة
مصطفى
حسين
مسلم
سلامة
دغيم
سالم
محمد
فارس
محمد
فهد
عيد
فهاد
خليف
خلف
عيد
عايد
محمد
زعل
سليمان
سلمان
خالد
مخلد
سالم

القضاة، والثانية انضمت للبدو الحجايا وحدث ذلك بمناسبة توزيع أراضي محي (تشرين أول ١٩٢٣، وهو بمثابة التاريخ الرسمي لظهور البشابشة في محي)، على شكل حصص على رؤساء عائلات العشائر الثلاثة (الحجايا، القضاة، البشابشة)، مجموعة عيال علي البشابشة من خمسة خليل أخذت حصتها من الأرض مع القضاة، أما مجموعة عيال حسين ومصطفى من خمسة ضيف الله ودخل الله أخذت حصتها من الأرض مع الحجايا.

ورد في سجل أراضي الكرك[١٠] (١٩٢٢-١٩٢٥) قائمة بعائلات البشابشة التي حصلت على حصتها من الأرض بواقع أربعة حصص من أربعة وأربعين حصة فوّض بها شيخ الحجايا غيث بن هداية موزعة كالتالي: حصة إلى سلامة ودغيم أبناء مصطفى بن دخل الله البشابشة، حصة إلى علي بن ضيف الله البشابشة، حصة إلى عبدالمهدي بن محمد بن خليل البشابشة، حصة إلى (محمد علي) بن سالم بن خليل البشابشة.

أما العائلات التي حصلت على حصصها من الأرض بواقع ثلاث حصص من أربعة وأربعين، حصة فوّض بها شيخ القضاة سلمان بن سالم القضاة، موزعة على ثلاث حصص إلى فارس وخلف وعطاالله أبناء علي بن عبدالله البشابشة[٦].

وبعد تقسيم الأراضي على أفراد العشيرة حدث التحول الحاسم في عملية الاستقرار حيث تحولوا من حالة التنقل إلى حالة الثبات في مساكن دائمة مبنية من الحجر والطين في محي القديمة في حي خاص بهم، وقد أظهرت الدراسات الميدانية بأن مجموع المساكن الثابتة التي تعود لعشيرة البشابشة موزعة كالتالي: بيت حويّان بن خليل، حمد بن خليل، نهار بن حسين، وفريح بن اسماعيل، فهاد بن سلامة، وأبناء فلاح البشابشة محمد وعبدالله وفهيد، وفالح بن عبدالمهدي، وأبناء حمدان البشابشة سالم ومصطفى، وأبناء علي البشابشة عطاالله وخلف.

ملكية الأراضي واستعمالاتها

"نحن بدو أصبح حالنا اليوم كالفلاحين نقيم في الأرض ونسعى لامتلاكها ونعمل على زراعتها ونبي عليها الدور.

"الشيخ عودة بن غيث، محي"

اهتمت الدراسات الانثربولوجية بدراسة أنماط ملكية الأراضي بكافة أنواعها سواء أكانت الملكيات حكومية أو جماعية أو فردية خاصة لمعرفة النسق الاقتصادي والاجتماعي، وتعد الأرض في المجتمعات الريفية من الناحية الاقتصادية أحد الأشكال لرأس المال إلى جانب قطعان الماشية، واستثمار الأرض يعتبر وسيلة ومعيشة وأحد أهم أدوات الإنتاج.

وبات من المسلم به أن القرى ومراكز العمران (قديماً وحديثاً) تنشأ على تلبية حاجاتهم المادية وشعورهم بانها حق طبيعي لهم، وهذا الحق نابع من فهمهم لطبيعة العلاقة مع الأرض بانها: " ارض الله الواسعة منها خلقنا وإليها المآب". (مفهوم وجداني في رأي جميع سكان الأرياف). أو بتشجيع من السلطة المركزية بهدف إشاعة العمران واستقرار الجماعات المتنقلة. وعلى كلتا الحالتين لا بد للسلطة من اتخاذ إجراءات التنظيم اتجاه السكان والأرض معاً. وذلك بتطبيق الأحكام الخاصة بالأراضي بشتى أنواعها حيث تتم عملية التنظيم على مراحل زمنية، وعادة يتخللها أشكال من العلاقة بين السكان مع الأرض تتخللها المنازعات والتسويات...(كما سنرى لاحقاً).

توزيع الأراضي على عشائر محي:

وفق قانون الأراضي العثماني الصدر سنة ١٨٥٨ للدولة الحق في املاكها، والأراضي ثلاثة أصناف: ميري أي أملاك الدولة، ومتروكة، وموات. ونظمت القوانين حق استعمال أراضي الدولة من قبل الأهالي وسكان القرى ما دام المستفيد

يستغل الأرض باستمرار دون انقطاع أكثر من ثلاث سنوات متتالية، وحق تفويضها منوط بمأمور الأراضي ويجب أن يتم تسجيلها في سجلات الأراضي الرسمية بموجب سندات بعد دفع الرسوم المترتبة عليها.

أراضي قرية محي من نوع ميري، تم تفويضها سنة ١٩١٩ في العهد الفيصلي حيث استمرت القوانين العثمانية وسجلاتها معمول بها لفترة من الوقت. وفوضت الأراضي إلى شيوخ عشائر محي من الحجايا والقضاة كملك خاص لهم كما ذكرنا سابقاً.

عملت حكومة شرق الأردن في مطلع عهدها بموجب القوانين السابقة وشجعت على الاستقرار وربط السكان بالأرض وتثبيت الملكية ونقلها من وضع (مشاع)* إلى وضع ملكية ثابتة بعد تسجيلها بأسماء المنتفعين وصرف سندات تمليك قانونية، هذه السياسة لم يكن معمولاً بها سابقاً**، حيث كانت في السابق تمنح الأراضي للمستفيدين بموجب سندات دون أن يعني ذلك ملكيتها ملكية صحيحة وكان ينقل حق تفويضها من الآباء إلى الأبناء وفق حقوق الإرث شرط عدم تركها دون استغلال، وبعد وفاة أصحابها دون ورثة تعود ملكيتها لدولة. وعرفت هذه الأراضي العائدة للدولة بالأراضي (المحلولة). ومعظم الأراضي التي تقع إلى الغرب من الخط الحديدي الحجازي من النوع (الميري) للدولة حق تفويضها للعشائر البدوية بهدف التشجيع على الاستقرار[١١].

بحثنا في فصل تاريخ الاستيطان والنسق الاجتماعي بداية الاستقرار في محي وطريقة توزيع الأراضي على عشائر القرية. ومن مراجعة سجلات أراضي الكرك***

---

* المشاع نظام ملكية الأرض المشتركة من قِبل مجموعة أفراد العشيرة أو مجموع سكان القرية، وهو نظام تقليدي ساد في قرى الشرق الأوسط والأدنى.

** طورت إمارة شرق الأردن قانون الأراضي عام ١٩٢١ أنشأت دائرة الأراضي، وفي عام ١٩٢٤ بدأت عملية تعيين الحدود للأراضي والقرى وتحديد أراضي الدولة، وفي عام ١٩٢٨ بدأت عملية مسح وفرز الأراضي بإدارة البريطاني مستر موفت، وفي عام ١٩٣٣ صدر قانون نسبة الأراضي، (انظر تقارير حكومة الانتداب عن شرق الأردن من١٩٣٥/١/١-١٩٣٥/١٢/٣١، إعداد د. محمد خريسات، الجامعة الأردنية، سنة ،ص ١٢٣).

***سجلات أراضي الكرك، دائمي وضبط الكرك، ١٩٢٢-١٩٢٥، ص١٧٣، ١٩٢٥-١٩٣١، ص٢.

استطعنا معرفة نظام الأراضي وطرق استخداماتها، حيث بدأ أول تسجيل لأراضي القرية في كانون ثاني سنة ١٩٢٥. ومن دراسة السجل استطعنا معرفة موقع وحدود القطع المفوضة ونوعها سواء كانت (سليخ) أي تلك التي سلخت من أراضي الدولة بقصد تفويضها إلى مجموعة كملك خاص، ونظام الميري (ملك الدولة) تثبت في السجل على الشكل التالي: أرض ميري محلولة تبلغ مساحتها (١١٧٤ دونم) مملوكة للأهالي بموجب تفويض مقابل دفع بدل المعلوم وهي مقيدة في سجل دفتر المحولات بناء على الإرادة السامية الصادرة عن مجلس شورى الحكومة العربية السورية/ دمشق بموجب التعليمات الصادرة عن مديرية تسجيل الأراضي المؤرخة في حزيران ١٩٢٢، وبعد اجراء التحقيقات القانونية بصحة التفويض وأسماء المستفيدين من الحصص ومصدق بموجب قرار مجلس ادارة المقاطعة (لواء الكرك) الصادر في حزيران ١٩٢٣ تم تفويض الأرض إلى شيخ عشيرة الحجايا غيث بن صالح الهدايات وجماعته المثبتة أسماؤهم في جدول اصحاب الحقوق على اعتبار أربعة وأربعين حصة يدفع بدل مثل مبلغ عشرة قروش عن كل دونم تدفع بالتقسيط خلال عشرة سنين اعتباراً من تشرين أول ١٩٢٣ شرط عدم جواز رهنها وتفويضها (تسجيلها في حالة البيع) قبل تأدية مستحقاتها.

وكذلك عدم تعطيلها عن الزراعة بنفس الطريقة تثبت الجزء الخاص بعشيرة القضاة في سجلات الأراضي التي تعود لنفس التاريخ*.

ثم توالت الإجراءات بشقيها الرسمي والعرفي لتنظيم ملكية الأراضي وتوزيعها على المستفيدين من أفراد العشائر المفوضة بالحصص.

أنواع الأراضي حسب استعمالاتها في محي:

- الأراضي المستخدمة لأغراض السكن وتقع في القرية القديمة وتعرف (بجدار القرية)**.

---

* سجلات أراضي الكرك/ دائمي وضبط الكرك ١٩٢٢-١٠٢٥، ص١٧٣، ١٩٢٥-١٩٣١، ص٢.

** الجدار عبارة عن حد القرية المحيط بها من كالسوار والمحيط بالنواة، ويشمل على احياء ومساكن العشائر والبيادر وآبار المياه والمقبرة، والجدر من صنف أراضي المملوكة..

الأراضي التي تقع بالقرية القديمة مباشرة شهدت توسعاً عمرانياً في الستينات مكونة قرية محي الجديدة، جميع القطع تقع داخل التنظيم مفروزة ومثبتة كملك خاص، أما الأراضي التي تقع خارج حدود القرية (خارج التنظيم) وبعيدة عن العمران فهي من النوع الميري واصطلح على تسميتها محلياً بأراضي الواجهات العشائرية*، بعض هذه الأراضي استغل في الزراعة أو مراعي طبيعية. وقد عمل شيوخ العشائر الثلاثة على توزيع الملكيات التي تشكلت منها القرية القديمة**.

وفي جدار القرية وزعت أراضي الجدر بين عشيرة القضاة والحجايا بموجب وثيقة وقعت بين الطرفين وحررت على الشكل التالي: "الحد الفاصل يبدأ من بئر حمد بن سلمان القضاة المحفور حديثاً يتصل بآخر جدار مهدم يقع جنوب شرق قطعة الشيخ غيث بن هداية وخط الحدود يمر المواقع التالية: جدار مهدم، ارض ذات جدران سلسلة حوض فالح البشابشة ماراً بمغارة ثم حدود أرض الجامع يتجه شرقاً وينتهي بحجرين، إن ما يقع جنوب هذا الحد خاص بالقضاة، أما ما يقع شماله خاص بالحجايا، لقد فوضحت الوثيقة متصرف لواء الكرك بإجراء اللازم وضعت بإشراف مأمور الزراعة ومأمور تسجيل الأراضي"***.

داخل حدود القرية أقامت كل عائلة مساكنها على القطعة المخصصة لها. والقطع داخل القرية محدودة المساحة بالمقارنة مع مساحة القطع المملوكة والتي تقع خارج

---

* واجهات العشائر، أي الأراضي التي تقع خارج نطاق حدود القرى وعشائر القرية من وجة عرفية تعتبرها العشائر خاضعة لنفوذهم نتيجة استخدامها كمجال حيوي سواء كمراعي أو ممرات (درب القرى ومكان تتردد عليه العشيرة) وتولد مع الأيام شعور لدى العشائر بأنها أحق من غيرها باستغلالها، سمحت الدولة بتفويضها أو تأجيرها أو بيعها للراغبين، وأراضي الواجهات كانت مسرح ومجال للنزاع التقليدي بين عشائر المنطقة.

** قرية محي القديمة عن مجموعة الحصص التي توزعت مناصفة بين الحجايا والقضاة، وأثناء عملية تنظيم الأراضي وتوزيع الملكيات على أحواض جراء التسوية الأراضي عام ١٩٤٨ استثنيت القرية القديمة من عملية المسح والتسوية وثبتت على الخرائط تحت اسم (حوض البلد).

*** يوجد نسخة عن هذه الوثيقة محفوظة لدى شيخ عشيرة القضاة في محي، محي، نيسان، ١٩٩٣.

جدار القرية القديمة وهي بالمقدار الذي يكفي لبناء مسكن العائلة* الذي يتقدمه فناء محاط بجدار له. وللمسكن وظائف متعددة فرضتها حاجة اقتصادية وأمنية حيث تبنى المساكن بشكل متراص يتخللها الأزقة الضيقة وكل مجموعة قرابية تقيم في مساكن متجاورة وكل عشيرة تحتل حي خاص بها يسمى بالعرف المحلي "مقعد العشيرة".

أراضي الزراعة الجافة والمراعي:

أما الأراضي التي تقع خارج حدود مساكن القرية القديمة مباشرة من جهة الشرق فهي من صنف الأراضي الأميرية والتي يسمح للسكان باستغلاها، فوزعت على المستفيدين بالتنسيق بين شيوخ العشائر. وذكر شيوخ القرية أثناء الدراسات الميدانية بأنهم وزعوا الأراضي فيما بينهم حسب الأعراف والتقاليد المتبعة بحيث خرجوا إلى الخلاء على ظهور الخيل وثبتوا شفوياً القطع وأصحابها بأسلوب هذه القطعة إلى فلان وتلك إلى آخر، وبهذا الأسلوب تم توزيع جميع الأراضي المحيطة بالقرية مناصفة وبنسب معلومة. وبنفس النسبة التي وزعت بها الأراضي المفوضة أي بوقع أربعة وأربعين حصة للقضاة ومثلها للحجايا، وبالرغم من ادعاء ملكية الناس للقطع في مرحلة معينة فأنها ملكية غير ثابتة لأنها خارج التنظيم وكونها أراضي أميرية تعود ملكيتها الحقيقة للدولة، لكنها تبقى محل ادعاء من قبل واضعي اليد اصحاب الحقوق العرفية من سكان القرية خصوصاً عند استغلالها.

تُعَدّ الأراضي الأميرية مجال نزاع بين العشائر، وذكر بأن عشيرة القضاة وزعت المساحات بين خمساتها بالتساوي سواء كانت الأراضي تقع داخل او خارج القرية. ولكن عند إجراء عملية الفرز والتسوية سجلت مساحات أكبر باسم الحجايا من تلك المسجلة باسم القضاة وذلك بحكم علاقة الحجايا التاريخية بالمنطقة على الرغم من أن

---

* عند إقامة المساكن الأولى في القرية سجلت بأسماء ملاكيها في سجلات الأراضي تحت صنف دوار أو عرصات، ثبتت حدودها ومساحتها وأصحاب الحقوق المالكين، ورد قائمة ببعض الدور في سجل أراضي الكرك/ دائمي وضبط الكرك، ١٩٢٥-١٩٣١، تاريخ ١٥ حزيران ١٩٢٥، ص٥.

عدد القضاة يفوق عدد الحجايا في محي كما ذكر مبحوث من القـضاة بـأنهم أبـدوا استعداداً على دفع بدل المثل في حال تفويضهم مساحات أكبر.

وقد ذكرنا سابقاً بأن الأراضي قد فوضت ووزعت على شكل حصص مقسمة على خمسات العشيرة بحيث تتناسب مساحة القطعة وحجم العائلة المستغلة وعدد أفرادهـا من الذكور ويحدد نصيب الفرد من خلال الانقسام الداخلي للعائلة في إطار الانحـدار السلالي المحصور في خط الذكور دون الإناث*.

ومع مرور فترة من الوقت أثناء إجراءات عمليات التسوية والفرز ١٩٩٣-١٩٤٨ سجلت الحصص بأسماء مالكيها وأعطي بها سندات تمليـك** لاصـحاب الحقـوق وأصبحت ملك خاص بموجب طريقة وضع اليد***. وأثناء التوسع العمراني على أثر زيادة عدد سكان القرية وزيادة عدد المجموعة القرابية وبقاء حجم ملكية العائلة ثابتـاً انتقل جزء من سكان القرية القديمة إلى قرية محي الجديدة ابتداءً من مطلع الـستينات

---

* تتم عملية انتقال الملكية عن طريق الوراثة، والميراث يحصر في خط الذكور دون الاناث بالرغم من أن الشرع (القانون الإسلامي) يضمن حق الأنثى في الأرض ولكن الأعراف السائدة حرمـت الأنثى وفضلت حصر الملكية في نطاق العائلة الأبوية. ومن هنا جاء تفضيل الزواج الداخلي بابنة العم لأن ابن العم له حق من الحصة لتحدره من جد مشترك ويتقاسم الأخوة وأبناء العمومة علـى نحو متساوي من الحصص العائدة للجد، أما إذا تزوجت المرأة من خارج العشيرة. وبحكم انتقالها إلى عائلة الزوج ساد الأجزاء العرفي بأن لا تطالب بحقها من الأرث ويمكن لها أن تحصل على مبلغ من المال أو عدد من رؤوس الماشية إرضاء لها عن طيب خاطر.

** مصطلح خانة (الخانة تعني عائلة في العرف العثماني) أو سهم أو حصة، نموذج تصرف صادر في آب ١٩٤١ خاص بسالم بن مزعل القضاة، وعبد بن مقبل القضاة أوض حـوض العطـوس والمساحة ٢٩٤٢ دونم و٧٦٠ متر بعد تعين الحدود يعتبر هذا الحوض مـشاع لعمـوم عـشيرة القضاة، وعند تطبيق الحدود في سند التصرف على الأرض وجـدت مطابقـة لـسند التفـويض الصادر في حزيران ١٩٢٥.

*** اتبعت الطريقة في استغلال الأراضي المحيطة بقرية كثربا (تقع غرب هضبة الكرك)، انظـر كثربا قرية أردنية، د. عبدالعزيز محمود ود. أحمد العموش-دراسة فـي الأصـالة والمعاصـرة ١٩٩٣، جامعة مؤتة، ص٨٦-٨٧.

حيث بينت المساكن الحديثة وشقت الطرق على أطراف الحدود الجنوبيـة الـشرقية والشمالية الشرقية للقرية القديمة بموجب قانون تسوية الأراضي لسنة ١٩٥٢ أصدرت دائرة الأراضي خرائط التسوية وزعت عليها القطع والأحواض وكل حـوض اتخـذ اسماً. والخريطة تتكون من عدد من اللوحات*، وكل لوحة تأخذ رقماً، والقطعة المثبتة تأخذ رقماً وسجلت الملكيات بأسماء أصحابها في جدول حقوق الأراضـي المفـروزة ويحدد بالجدول مساحة القطعة وقيمة الأرض ويشار إذا كان فيها بناء أو بئر ماء.

تنظيم محيط القرية:

إن الأراضي التي تقع خارج حدود التنظيم والبعيدة عن محـيط القريـة وخـارج نطاق العمران تعتبر من الناحية القانونية ملكاً للدولة (ميري) وتعرف بالعرف المحلي بأراضي واجهات العشائر. وهذه الأراضي تعتبر مجالاً حيوياً ومراعي طبيعية لعموم عشائر المنطقة. وتتميز محي باتساع مساحتها خصوصاً في الجهة الشرقية حيث تمتد لتصل سكة حديد الخط الحجازي ويحق لأفراد العشائر من الناحية العرفية حرث هذه الأراضي واستصلاحها وزراعتها وغالباً ما استغلتا الأراضي التي تقع إلى الغـرب من القرية بزراعتها بالحبوب البعل (قمح وشعير) وتزرع القطع بالتنـاوب ويطلـق عليها اسم أراضي (مفتلح).

وبسبب عدم وضوح ملكية هذه الأراضي وحدودها على اعتبار أن الدولـة هـي الجهة القانونية التي لها حق التصرف بها والدولة من الناحية العملية لا تمـانع مـن استصلاح الأراضي الأميرية وقد أصدرت في عام ١٩٢٩ قانونـاً يـسمح بتـأجير الأراضي الأميرية وتنظيم أراضي البور(١٢)، أي غير المستغلة والتي تقـع خـارج نطاق العمران وبموجبه باعت الدولة الأراضي الصالحة للزراعة أو قامـت بتـأجير بعضها على المستفيدين الذين لهم الحق بالمطالبة بتفويضهم بها إذا أحيوا ٧٥% مـن مساحتها، وكان ذلك سائداً في الأراضي القريبة من العمران، أمـا تلـك الأراضـي

---

* توزعت ملكيات القرية على ثمانية عشرة لوحة.

البعيدة فكانت مجال ادعاء العشائر بأحقيتها التفويض بها، والسبب الذي أثار النزاعات حول الأرض، وقد تطلب ذلك ضرورة تطبيق القوانين الرسمية والتقاليد العرفية الخاصة بتنظيم العلاقة بين الإنسان والأرض وبين الجماعات السكانية بعضهم ببعض. وتعد نزاعات الأراضي ظاهرة شائعة في حياة مجتمعات الريف والبوادي في المشرق العربي وذلك بسبب طبيعة النشاط الاقتصادي الذي عماده الزراعة التقليدية وتربية المواشي. فالتنافس على الموارد الطبيعية (الأراضي، المراعي، مصادر المياه) سمة من سمات العلاقات الاجتماعية-الاقتصادية، وهنا تبرز أهمية الوجاهة العشائرية فإذا كانت طريقة تقسيم الأراضي تتبع الإجراءات القانونية والعرفية تحل الخلافات على أساس تقسيم جديد ترضى فيه جميع الأطراف المتنازعة عليها.

وإذا استفحل الخلاف على الأرض بين العشائر فإنه يؤدي غالباً إلى قطع العلاقات داخل شبكة العلاقات التقليدية المتبادلة بين العشائر ويؤدي ذلك إلى ظهور تحالفات عشائرية أو تبدل في التحالفات أو تعزيز تحالفات تقليدية قديمة.

وظاهرة انقسام عشائر هضبة الكرك إلى حلفين تقليديين، حلف الغرابا، وحلف الشراقا، ما هو إلا نتيجة من نتائج التنافس والسيطرة على الأرض بين العشائر.

ومن نتائج الدراسات الميدانية للقرية، والبحث في السجلات الرسمية تبين بأن النزاع على الأراضي لا يتسبب عنه نتائج مؤذية يصعب حلها.

والخلاف عادة لا يمس عائلة واحدة بل تُعَدُّ العشيرة مجموعةً معنية بالنزاع، أما إذا كان النزاع داخل العشيرة الواحدة بين فرعين فيتدخل فرع ثالث لحل الخلاف، أما إذا كان النزاع داخل الفرع الواحد فيتدخل أقرب الفروع مع جهود الشيخ لحل ذلك الخلاف. ومعظم الأراضي المحلولة (الأميرية) والتي تقع إلى الشرق من محي تعتبر في محل نزاع تقليدي بين عشيرتي القضاة والحجايا* إضافة إلى عشيرة النعيمات المقيمة في محيط القطرانة.

---

* أظهرت نتائج الدراسات الميدانية في القرية سلسلة من النزاعات ومطالب حقوق في الأراضي بين الحجايا والقضاة كان ذلك في عام ١٩٣٦ على أثر تطبيق سياسة إدارة إمارة شرق الأردن المشجعة لاستقرار البدو ففوضت مساحات كبيرة من الأراضي لبدو الحجايا الشيء الذي جعل من الفلاحين القضاة بأن

واحياناً يتسع النزاع ليشمل عشائر من خارج قرية محي. وقد ذكرت وثائق ادعاءات بأن العشائر الكركية المراد هنا عشائر الطراونة والصرايرة والنوايسة والقطاونة وجميعها تقطن مجموعة القرى التي تقع جنوب شرق هضبة الكرك وواجهاتها الشرقية المجاورة لحدود أراضي محي من الجهة الغربية.

نقدم هنا مثال حول طبيعة العلاقات بين القضاة والحجايا وطريقة تسويتهم للنزاع على الأراضي، فمن خلال وثيقة تسوية نزاع تقسيم الأراضي المحلولة (الأميرية) التي تقع خارج التنظيم والمؤرخة في آب ١٩٤٤.

الفريق الأول: عن الحجايا الشيخ غيث بن هداية وآخرين ممثلين عن خمسة العليين والشتويين والمحموديين الحجايا.

الفريق الثاني: عن القضاة الشيخ محمد بن سلمان القضاة وآخرين ممثلي خمسات القضاة.

القضية: تقسيم الأرض المحلولة، حوض رجم ناصر ورجم شوهر التابعة للقرية مساحة الارض بواقع ثلاث حصص، حصتان للعليين والمحموديين من الجحايا مناصفة وحصة لعشيرة القضاة وتعين الحدود الفاصلة بين أراضي الحجايا والقضاة.

بموجبه تم تعيين لجنة التحكيم (من مأمور الزراعة والأراضي وآخرين) وبعد الكشف على المواقع المختلف عليها وبعد الرجوع للقرارات السابقة ودراستها والاستماع لإدعاء الطرفين تقرر أن يحصل الفريق الثاني (القضاة) على قطعة من حوض شوهر ورجم ناصر (اتفق على حدودها) وما تبقى من الحوضين تعطى للحجايا مناصفة بين خمسة العليين والمحموديين *.

يحتجوا لدى الإدارة، وقد ذكر أحد أفراد القضاة أنهم اضطروا لشراء البارود استعداداً للدفاع عن حقوقهم وبالنتيجة سوى النزاع وحصل اتفاق على توزيع جديد مناصفة، وفي عام ١٩٤٩ تجدد الصراع وطرحت مشكلة الواجهات الشرقية على أثر تسوية ١٩٤٨ تجدد النزاع في عام ١٩٥٦ أيضاً بسبب أراضي الواجهات الشرقية نفسها.

* الوثيقة الأصلية كتبت بخط اليد ومحفوظة لدى شيخ عشيرة القضاة، محي، نيسان، ١٩٩٣.

أما فيما يتعلق بعلاقة عشائر محي مع باقي عشائر المنطقة من خارج القرية في موضوع الأراض، فبتاريخ تشرين ثاني ١٩٦٥ تم تشكيل لجنة تسوية النزاع على الأراضي بين عدد من عشائر الكرك وعشائر قرية محي بالإضافة لعشيرة النعيمات.

أطراف النزاع:

فريق عشائر الكرك يتكون من عشائر الطراونة والصرايرة والنوايسة والقطاونة، وبالمقابل عشائر محي القضاة والحجايا بالإضافة إلى النعيمات (يلاحظ أن النعيمات من خارج محي لكنها غير محسوبة مع عشائر الكرك).

تمت الإجراءات بأن قدم الجميع ادعاءاتهم بخصوص الأراضي المحلولة التي تمتد من شرق محي حتى سكة الحديد، وشكلت لجنة لمعاينة الأراضي مكونة من مأمور تسجيل أراضي وقائد منطقة الكرك والشيخ معارك المجالي، ويرأسها متصرف لواء الكرك، وبعد معاينة الأراضي المحروثة غير المحروثة تبين بأن الأراضي المحروثة استصلحت من قبل جميع الأطراف، وأقر الجميع بأن الأراضي المتنازع عليها من أملاك الدولة (ميري) ويطالبون بامتلاكها وزراعتها.

وبما أن الأراضي أراض دولة توصي اللجنة بأن تقوم دائرة الأراضي بعملية مسوحات بحيث يتم توزيعها على المستحقين من العشائر طبقاً للقوانين المتبعة واعتبار وادي الأبيض حتى سكة الحديد شرقاً الحد الطبيعي والفاصل بين الأراضي الخاصة بالعشائر الكركية والأراضي الخاصة بالحجايا والقضاة والنعيمات على اعتبار أن الأراضي التي تقع شمال وادي الأبيض بمثابة واجهة الأراضي المملوكة للعشائر الكركية.

أما الأراضي التي تقع إلى الجنوب من الوادي الأبيض فهي واجهة الأراضي المملوكة لعشائر الحجايا والقضاة والنعيمات، لذا توصي اللجنة بأن يسمح لكل طرف من العشائر المتنازعة بالتصرف في الأراضي الواقعة كل في واجهته، على أن يكون الحد الفاصل بينهما الوادي الأبيض ويعوّض كل طرف الطرف الآخر عن تلك

الأراضي التي استصلحتها في غير واجهته وذلك بدفع مبلغ (٥٠٠ فلس) عــن كــل دونم تم حرثه.

وأوضحت اللجنة كذلك على اعتبار أن الأراضي التي تقع شرق الخــط الحديــدي الحجازي من أملاك الدولة يحظر على الجميع دون أســتثناء حراثتهــا واعتبارهــا مراعي مشاع فقط.

أما الآبار أينما كانت فتعتبر ملكاً صريحاً للأشخاص الذين حفروها أو استصلحوها ويخصص لكل بئر مساحة ستة دونمات تحيط به تعد حرماً له.

يصادق على هذه القرارات مدير أراضي الكرك وتتم عملية الاستــصلاح بــإذن منه*.



* الوثائق محفوظة في ديوان وثائق الكرك ودائرة الكرك، ويوجد صورة عن هذه الوثائق محفوظة لدى شيخ عشيرة القضاة، محي، نيسان، ١٩٩٣.

الهوامش

(١) وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر، دمشق، سنة ١٩٨٣، ص٦١٢-٦١٧.

(٢) محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء، ذكر سابقاً، ص٢٥٠.

(٣) Musil Alois, Arabia Petraea III Ethnologische Reiseberich Wien 1908 P, 60.

(٤) خليل رفعت الحوراني، ماض الكرك وحاضره (١٩١٠) تحقيق محمد سالم الطراونة، منشورات جامعة مؤتة، لجنة التراث، ١٩٩٤، ص٢١.

(٥) سجلات أراضي الكرك-دفتر خاقاني مخصوص، دائمي ضبط الكرك ١٩٢٥-١٩٣١ ص٢-٣. "محفوظ في دائرة الأراضي والمساحة عمان".

(٦) سلمان بولص، خمسة أعوام في شرق الأردن، مطبعة القديس بولص، مريصا ٢٩، ١٩، ص٢١.

(٧) فاروق نواف السريحين، تاريخ مدينة الرمثا ولوائها دراسة تاريخية اقتصادية انثروبولوجية، ط١، د.م.ن، عمان ١٩٨٥، ص٢٤٣. انظر ايضاً: احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٨، الجزء الأول، ص ٦٩-٧٠.

(٨) فاروق نواف السريحين، ذكر سابقاً، ص٢٤٦.

(٩) سجلات أراضي الكرك، دفتر خاقاني مخصوص، دائمي ضبط الكرك، ١٩٢٢-١٩٢٥، سجل ١٩٢٥، ص١٧٣.

(١٠) نفس المصدر، تاريخ السجل حزيران، ١٩٢٥، ص٢.

(١١) سليمان موسى، إمارة شرق الأردن، نشأتها وتطورها في ربع قرن، لجنة تاريخ الأردن، عمان ١٩٨٩، ص٣٠٠.

(١٢) محمد خريسات، تقارير حكومة الانتداب عن شرق الأردن، منذ كانون ثاني ١٩٣٥، وحتى كانون ثاني ١٩٣٨، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص١٣.

الفصل الرابع

نمط الإنتاج الرعوي*

* أعد هذا الفصل د. عبد العزيز محمود.



نمط الإنتاج الرعوي

تحققت شروط البيئة الرعوية في الأراضي التي تقع إلى الشرق من حواف هضبة الكرك والتي تقع في نطاق المنطقة الهامشية شبه الجافة والتي لا تزيد أمطارها عن ٢٤٠ملم، والتي تعد مراع طبيعية مثالية تحتوي أنواعاً مختلفة من الأعشاب الرعوية التي تأقلمت حسب ظروف المناخ والتربة والسطح.

وتحقق كذلك الشرط الاجتماعي-الاقتصادي لتطور نمط الإنتاج الرعوي في منطقة محي، فمجتمع هذه القرية من ناحية البناء الاجتماعي مركب من نمطين اجتماعيين بدوي-ريفي متعايشين في بيئة ذات تقاليد رعوية راسخة على مرّ العصور التاريخية ومستمرة حتى يومنا هذا. وظاهرة ممارسة الفلاحين لنمط الإنتاج الرعوي والذي عماده تربية الماشية (الأغنام والماعز) على نطاق واسع في قرية محي من قبَل (عشيرتي القضاة والبشابشة) بسبب التقاليد التاريخية السابقة لإقامتهم في محي، ففي أثناء إقامتهم في بيئتهم الريفية الأصلية في هضبة الكرك قبل هجرتهم إلى محي كانوا يمارسون نمطي الإنتاج الزراعي التقليدي وتربية الماشية معاً تجاوباً مع ظروف الهضبة ومناخها شبه الجاف الذي ساعد السكان على ممارسة الزراعة التقليدية، وهذه الزراعة كانت خاضعة لرحمة الظروف المناخية المتقلبة التي تؤدي إلى تفاوت الإنتاج من موسم لآخر. السبب الذي جعل الزرّاع يقتنون المواشي لتأمين متطلباتهم من الغذاء، لذا مارس السكان النمطين معاً (تربية الماشية والزراعة). ومن الجدير بالذكر أن سكان هضبة الكرك من أصول بدوية استقرت على مراحل وفي فترات تاريخية متلاحقة-كما ذكرنا سابقاً.

في سياق التطور الطبيعي وتجاوباً لجملة الشروط الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية انخرط الفلاحون الزرّاع في حياة الرعي فأصبحت سمة طاغية على نمط معيشتهم خصوصاً أبان إقامتهم الدائمة في المناطق الرعوية. منذ أن قَدِم القضاة

والبشابشة إلى بيئة محي الرعوية على أثر هجرتهم القسرية من الكرك موطنهم الأصلي -كما ذكرنا في فصل تاريخ العشائر- فإن اختيارهم لمحي لم يكن بمحض الصدفة، ولكن تم الاختيار بعد تنقلهم في عدة مناطق وبيئات ريفية -رعوية مختلفة كمناطق شمال الكرك، وسهول شيحان (منطقة قريفلا)، وأراضي شرق المزار إثناء إقامتهم إلى جوار عشائر الصرايرة حتى كان اختيارهم النهائي للإقامة الدائمة في محي مع نهاية القرن الماضي، هذا يعني اختيارهم لحياة الرعي وتربية الماشية إلى جانب ممارسة زراعة الحبوب على نطاق ضيق حسب ما تسمح به الظروف الطبيعية وبطرق تقليدية. إنّ هذا الأسلوب من نمط الإنتاج المركب لم يكن طارئاً على المجموعة، فقد مارسها المواطنون قبلاً سواء أثناء تجوالهم في المناطق أو عندما كانوا في موطنهم الأصلي الكرك.

نستدل مما سبق من تاريخ عشيرة البشابشة وطريقة خروجهم من قلعة الحسا مكان إقامتهم المؤقت إلى البرية المحيطة بعد اتفاقهم مع بدو الحجايا على التعاون معاً والاشتغال في الرعي وتربية الماشية*، إلى أن انتهى بهم المقام للاستقرار الدائم في محي مع الحجايا، والنتيجة الأكيدة التي ترتب عن الاستقرار وتنظيم المكان إلى ممارسة الزراعة التقليدية المتنقلة سواء كان المستقرون من أصول ريفية أو بدوية.

ونذكر بهذه المناسبة ما صرّح به أحد شيوخ الحجايا حيث جاء على لسان أحدهم:" نحن بدو أصبح حالنا اليوم كالفلاحين ونسكن الدور ونقيم في الأرض ونسعى لامتلاكها ونعمل على زراعتها"**.

وقد مارس سكان محي زراعة الحبوب (القمح والشعير) بطرق تقليدية وبأسلوب متنقل حسب طبيعة وموقع الأرض ومدى تلقيها للمطر على نطاق محدود بمقدار ما تسمح به ظروف البيئة ومناخها، ولهذه العوامل مجتمعة جاءت العلاقة مع الأرض مختلفة عن تلك العلاقة التي عرفتها المجتمعات الزراعية في الهضبة حيث سعى الفلاحون إلى امتلاك الأراضي التي تقع قرب العيون وداخل حدود القرى وزراعتها

---

* انظر تاريخ عشيرة البشابشة، ص

** معطيات الدراسات الميدانية، مقابلة مع السيد خلف سلمان الحجايا، (محي اب ١٩٩٣).

الدائمة بالأشجار المثمرة كالزيتون والتين والتفاحيات والكرزيات، واستغلال الطرق الكفيلة بتشكيل الملكيات الخاصة وإتباع أساليب متعددة من طرق الاستغلال (المباشر، المزراعة، المرابعة).

لكن شروط العلاقة مع الأرض في البيئة الرعوية مختلفة فهي من وجهة نظر المجتمع الرعوي تُعَدّ مراعي طبيعية شاسعة جافة، ويستدل على ذلك من نظرة مجتمع محي إلى منطقتهم بأنها بلاد مشاريق، أراضيها واسعة عزيزة الماء، والجيد منها يزرع بالتناوب، وظلّ اهتمامهم دائماً موجهاً إلى المناطق التي تحتوي على ما تحتوي من مصادر الماء والأعشاب الرعوية وهي بالتالي وجهتهم في الرحلة الرعوية (النجعة). أما الأراضي القريبة من نواة القرية، فقد عملوا على استخدامها والتوسع العمراني فيها على أثر زيادة أفراد العائلة وزيادة عدد رؤوس القطيع بالنتيجة تجذرت العلاقة مع الأرض على اعتبارها رأس مال إلى جانب القطيع.

تقاليد تربية الماشية، وحرفة الرعي:

ساد نمط الإنتاج الرعوي في البادية الشرقية لفترة طويلة دون أن يطرأ عليه أي تغير حتى مطلع الستينات. وظاهرة الثبات السابقة أملتها شروط متعددة، فعلى الصعيد الاجتماعي-الاقتصادي اتسم النمو المعيشي بالبساطة الذي عماده الزراعة-وتربية الماشية ولتجانس المجموعة نجدها تمارس نفس العمل بهدف إنتاج وتوفير الغذاء للاكتفاء الذاتي. وإتباع أسلوب التعاون داخل المجموعة القرابية وكما أن ملكية القطيع والأرض والمساكن محصورة في نطاق العائلة.

هذا النمط من علاقات الإنتاج جاء ملائماً للظروف المناخية والبيئية الجافة وشبه الجافة، وبطبيعة تطور قوى الإنتاج التي بقيت رهينة الشروط الطبيعية وموسمية مصادر المياه وانحباس المطر لفترات، وبالتالي فقر المراعي وهي جملة عوامل فرضت قيوداً على نمو القطيع ولم تسمح بتحقيق فائض إنتاجي، ومواسم الجفاف المتلاحقة جعلت الرعاة يتطلعون دائماً إلى السماء متكلين على رحمة الظروف المناخية وتراهم متنقلين بالبراري.

أسلوب المعيشة في مثل هذه الشروط تطلب قدراً من التعاون الاجتماعي الداخلي

للتغلب على قساوة البيئة كالانتقال معاً وراء الماء والكلأ وتحضير مصادر الميــاه*. وأوجدت نوعاً من الملكية المشاعية في المراعي والماء والنــار ومــشتقات الألبــان خصوصاً في سنوات الجفاف، والمشاركة في معالجة القطعان وجز الصوف وعمــل النساء الجماعي في جلب الماء من الأودية والينابيع**.

بدأت عوامل التغير الاجتماعي في المجتمعات الرعوية على أثر تــدخل الــسلطة المركزية***بتنظيم مجتمع واقتصار الأرياف والبوادي حين طرحت مشاريع تــوطين البدو، وشجعت زيادة إنتاج الثروة الحيوانية لسدِّ حاجة السكان من اللحــوم الحمــراء ومشتقات الألبان، تحول نمط الإنتاج الرعوي من أسلوب تــأمين الغــذاء المنزلــي والاكتفاء الذاتي إلى نمط إنتاجي تجاري ترتب على ذلك تخصص بعــض المــربين الممولين في تربية الماشية وتوظيف رأس المال وزيادة عدد القطيع واعتمــاده علــى مصادر غذاء إلى درجة الإشباع. وللتغلب على هذه المشكلة تدخلت الدولة ونظمــت سياسة عملية التموين، فقامت باستيراد منتوجات الثروة الحيوانيــة لتغطيــة حاجــة السوق، وعملت على تأمين الأعلاف المحضرة محلياً أو المستوردة بــسعر خــاص لتغطية متطلبات مربي الماشية، وتشجيع إنشاء الجمعيات.

---

* كان الرعاة يختارون (طور) انهدام صخري في بطن أرض منخفضة يتم حفــره جيــداً وتــشييده بمــادة الجبص (التراب الأبيض) ويترك ليمتلئ بماء المطر، الدراسات الميدانية، محي، حزيران، ١٩٩٣.

** ذكرت نساء القرية بأنهن كن يجلبن الماء على ظهور الدواب من عيون وادي الحسا وآبار منطقة صليلة وصلول (ذكر بأنه يوجد أكثر من مائتي بئر ماء في تلك المنطقة)، وكان الرعاة يردون ماء بركة مضيبيع والمعرفة القريبة من القرية، محي، نيسان ١٩٩٣.

*** طرحت مشاريع التنمية منذ أوائل الستينات وفق جدول زمني (الخطة الخمــسية للتنميــة الاقتــصادية ١٩٦٢-١٩٦٧، وبرنامج السنوات السبع ٦٤-٧٠، وخطة التنمية الثلاثية ٧٣-٧٥ وخطة التنمية الخمسية الأولى ٧٦-٨٠، والثانية ٨١-٨٥، والثالثة ٨٦-١٩٩٠).

تربية الماشية بين الثبات والتطور

اجمعت معطيات الدارسات الميدانية في محي أن تربية الماشية تقليد اجتماعي موروث ومستمر حتى أيامنا هذه، ونمط الإنتاج الرعوي فيه مرّ في مراحل من التطور حتى أصبح مصدر الدخل الرئيسي لسكان القرية في الوقت التي تراجعت فيه تربية الماشية في مناطق أخرى كانت بالماضي تشتهر بتقاليد تربية الماشية.

مراحل تطور نمط الإنتاج الرعوي في محي:

-مرحلة ما قبل الخمسينات:

أظهرت سجلات تعدد المواشي* (لقضاء الكرك) لسنوات ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ١٩٥٢، قائمة بأسماء مربي الماشية من عشائر محي. لكل عشيرة (الحجايا والقضاة) جدول ثبت فيه أسماء المربين ونوع المواشي وعددها وقيمة رسوم التسجيل وتاريخ التفتيش.

تعداد قطيع عشيرة القضاة لعام ١٩٣٨ في شهر شباط بلغ (٧٠٢) رأس، موزعة كالتالي: ٦٢٤ ضان، ٨٢ ماعز، وجاء في تعداد عام ١٩٤٨ في شهر نيسان ما مجموعه من الضان والماعز (٧ ماعز، ٧٨ ضان). وهنا يلاحظ الفرق الشاسع بين الإحصائيتين إذ من المفترض توقع زيادة يجب أن تكون ملحوظة بعد عشر سنوات من تاريخ الإحصاء الأول. ومن الضروري لفت النظر إلى أن تعداد عام ١٩٣٨ حصل في شهر شباط أي في فترة تكون فيها القطعان في الحظائر داخل القرية. أما تعداد عام ١٩٤٨ فقد حصل في شهر نيسان في فترة خروج الرعاة بالقطعان للنجعة، ذكرت السجلات قائمة بأسماء المالكين المربين مثل محمد بن سليمان القضاة (١٤٩ رأساً) عطاالله بن سلامة القضاة (١٢٠ رأساً)، جعفر بن مطلق القضاة (٤٧ رأساً)، سليمان بن سلامة القضاة (٦٦ رأساً).

---

* سجلات تعداد المواشي، محفوظة في مديريةناحية الكرك، للسنوات المذكورة، (محفوظة في أرشيف لجنة التراث/جامعة مؤتة).

أما السجلات الخاصة بعشيرة الحجايا والتي تعود لعام ١٩٥٠ جاء في تعداد شهر آذار أن مجموع ما تملكه العشيرة (٣٠٩) رأس، ومن الجدير بالذكر أن التعداد جرى في الفترة التي تكون به القطعان خارج القرية. ومعروف عن بدو الحجايا انتشارهم لفترة أطول وإلى مناطق أبعد في النجعة. ونذكر من المربين المالكين الشيخ غيث بن صالح الهدايات، وعودة بن غيث الهدايات، ومحمد بن حسين الهيايسة.

ومن أهم تقاليد تربية المواشي في تلك الفترة خروج الرعاة بالقطعان للنجعة، سعياً وراء الماء والكلأ وتأمين غذاء كاف للقطيع. وتعرف الرحلة محلياً (بالتشريق)، وهناك تقاليد وأعراف تنظم عملية الرحلة التي تعدّ مظهراً اقتصادياً-اجتماعياً وهي ظاهرة عرفتها المجتمعات الرعوية والريفية على السواء. والنجعة سمة من سمات نمط الإنتاج الرعوي في محي، تبدأ رحلة التشريق في مطلع شهر آذار من كل عام ويبقى في القرية المسنون والحراس. وأول ما يستغل كمرحلة أولى المراعي الطبيعية المنتشرة في الأراضي الشرقية الممتدة من حدود محي الشرقية حتى سكة الحديد الحجازية ثم ما تلبث أن تتوغل الجماعات شرقاً. وكانت تصل في بعض المراسم حتى حدود شمال الجزيرة العربية.

ينتقل المجموع قطعان الجمال (الحمير والبغال) والخيول محملة بالأمتعة وبيوت الشعر والأدوات المستخدمة كالمعالف وقساطل الماء ومقصات معدنية لجز صوف الضان وقص شعر الماعز والأجراس والأدوات المنزلية. حيث يعتمد الجميع يومياً للرحيل عن القرية، فيجتمعون على شكل جماعات قرابية حسب خمسات العشائر والجوار، وعند والوصول إلى موضع الرعي، تنصب بيوت الشعر، وتبنى المراح وهي عبارة عن سلسلة من الحجارة والحطب والأشواك تستخدم كمأوى وزرائب للمواشي.

وإبان الإقامة في المرعى يسرح الرعاة بقطعانهم منذ الصباح الباكر، ويحرصون على عدم الابتعاد عن مصادر المياه أكثر من مسيرة ٤ ساعات يختارون المناطق الخصبة والغنية بالأعشاب الرعوية كالشيخ Artemisiablerba، والقيصوم Achilleamilt Folium والرمث Haloxvulon Salicornicum ، والروث Salsolaver

Miculata، والعضو Halaxylouana، والعجرم Anabasisa Setifere.

وتُعَدُّ المراعي مشاعاً يحق للجميع الانتفاع بها، وتعود القطعان للمجامع مع الغروب فتحشر المواشي في المراح. وتستمر النجعة حتى نهاية شهر أيار مع مطلع الصيف تبدأ مرحلة العودة من المراعي الشرقية وعلى مراحل، فينتقل المجموع بقطعانهم ومعداتهم وجهتهم حقوق الحبوب المحصودة التي تنتشر في هضبة الكرك وسهول المزار غربي محي، فيطلق على هذه المرحلة (تغريب) في بعض المواسم كانت تنتقل القطعان إلى مناطق شمال الكرك وسهول شيحان وأحياناً تصل النجعة حتى سهول جرش وإربد* . ثم تبدأ رحلة العودة إلى القرية مع نهاية الصيف بحيث يكون جميع السكان من مطلع شهر تشرين أول قبل حلول فصل الشتاء مقيمين في بيوت الحجر والطين التي صممت لتؤدي الوظائف والمتطلبات وحاجات العائلة الاقتصادية والاجتماعية حيث تحتوي على مخازن وأماكن خاصة لإيواء المواشي (القطيع) وباحة فسيحة وبئر ماء فتكيف المسكن التقليدي مع نمط الإنتاج الرعوي وتربية الماشية.

والاعتناء بالقطيع والقيام برحلة التشريق كان يعتبر نشاطاً اقتصادياً اجتماعياً يقوم به مربو الماشية نمطاً معيشياً تقليدياً طبيعياً (تبادل تجاري بسيط في موسم الربيع، وموسم الحصاد وبين الرعاة وسكان القرى المجاورة).

وقد اعتمدت قرية محي في تطورها الاقتصادي حتى نهاية الخمسينات على مقوماتها الذاتية معتمدة على تربية الماشية خلال العقود الأربعة الأولى من عمرها. كانت محي تؤمن لنفسها نوعاً من الاكتفاء الذاتي من الإنتاج الرعوي التقليدي قبل أن يتحول إلى نمط تربية إنتاجية تجارية، شهدت مرحلة التطوير ابتداء من مطلع السبعينات.

---

* معطيات الدراسات الميدانية –محي، آب ١٩٩٣م، إبان مطلع الحصاد حصل نوع من التعاون بين فلاحي القرى المزارعين والجماعات الرعوية، فكان يسمح للقطيع الاستفادة من الزرع المحصود لأن فيه تجديد لنشاط الأرض (تخليصها من الأعشاب وتسميدها) وإجراء تبادل، حيث يشتري أصحاب المواشي حاجتهم من الحبوب مقابل بيعهم للمواشي ومنتوجات الألبان، تنتج عن هذه العلاقة الجديدة انتعاش لنمط الإنتاج الرعوي الزراعي وهو بعكس العلاقة السابقة القائمة على النزاع والغزو وفرض " الخاوة".

وتُعَدُّ سنوات الستينات فترة انتقالية في حرفة الرعي ما بين النمط التقليدي والنمط الإنتاجي-التجاري.

عُرِفَ عن محي ثبات واستمرارية حرفة تربية الماشية فيها وتطورها ويستدل على ذلك من مراجعة سجلات احصاء المواشي التي تعود للخمسينات، فنجد أن المربين تتكرر أسماؤهم في سجلات تعداد المواشي التي تعود لمطلع التسعينات، نستخلص بأن الحرفة في تطور وتنتقل من جيل الآباء إلى جيل الأبناء بالتوارث. ومن خلال معطيات الدراسات الميدانية أظهرت النتائج بأن عدداً كبيراً من أرباب العائلات ملاكي المواشي* وحجم ملكيتهم من القطيع.

ومع مطلع السبعينات طرأ تغير في أسلوب حرفة الرعي في المنطقة، وتجاوباً مع التطورات على اعتبار أنها نمط انتاجيٌ تجاريٌ من مظاهر التحول قدوم متعهدي إنتاج الأجبان إلى مراعي محي وتكلفهم بشراء جميع منتوج الحليب وتحويله إلى جبنة بيضاء مغلية محفوظة في عبوات جاهزة للتسويق.

واستمرت تقاليد تربية الماشية في محي بتطور مضطرد بسبب رسوخ تقاليد الرعوية، وتوفر الشروط البيئية التي تحتم ممارسة نمط الإنتاج الرعوي في الوقت الذي بدأت فيه مع مطلع الستينات تتناقص الثروة الحيوانية في بعض المناطق مثل قرى وقصبات هضبة الكرك، وانصراف الرعاة إلى ممارسة أنماط إنتاجية أخرى كالزراعة والانخراط بالوظائف، والهجرة للعمل المأجور في المدن، والتطور الثقافي الذي جعل من المربين لا يستسيغون تربية الماشية في أماكن السكن والاهتمام

---

* مجموعة من مربو الماشية من عشائر القرية الثلاث وحجم ملكية كل مربي: خلف غيث هداية الحجايا ينملك حوالي ١١٠٠ رأس، عواد غيث هداية الحجايا يملك ٥٠٠ رأس، دحيلان غيث هداية الحجايا ٣٠٠رأس، غنام فالح البشابشة ٣٠٠ رأس، بشير البشابشة ٣٠٠ رأس، عبدالله قاسم القضاة ٦٠٠ رأس، سلامة جعفر القضاة ٦٠٠ رأس، ومن أكبر ملاكي المواشي في القرية خلف غيث صالح هداية الحجايا. (مجموع ما تملكه مجموعة عيال غيث الحجايا حوالي ٢٥٠٠ رأس، محي-آب ١٩٩٣). ومن الجدير بالذكر بأن الأرقام التي ترد في السجلات الرسمية تقل عن الأرقام التي يقدمها المربون أنفسهم، محي - آب ١٩٩٣م.

بالتعليم وانصراف الأبناء عن ممارسة الرعي، وبسبب سياسة المجالس البلدية أيضاً التي تحد من انتشار المواشي في حدود البلديات.

وللوقوف على بداية التحول في أسلوب تربية الماشية نقدّم المثال التالي من محي. جاء على لسان أحد المبحوثين في القرية، قال: "في عام ١٩٧٥ كنت أملك مائة رأس من الضان اعتمد عليها وأسرتي في معيشتي، وبعد أن حصلت على وظيفة في دائرة الآثار-حارس آثار- بعت القطيع وبنيت مسكناً حديثاً لأن الحياة المدنية لا تتلاءم وحياة تربية الماشية والرعي، ولكن متطلبات الحياة أصبحت أكثر تعقيداً وتحقيقها أصبح أصعب"*.

واستخدم المربون الآلات والمعدات** لخدمة القطيع، واقتناء السيارات الشاحنة لنقل القطيع إلى الأمكنة الملائمة، واستخدموا صهاريج الماء، واستخدموا أيضاً الرعاة المأجورين وكانت تدفع أتعابهم نقداً، وأصبح الاعتماد بشكل أساسي على الأعلاف المحضرة غذاءً للمواشي بدل الاعتماد وبشكل كلي على المرعى الطبيعي كما كان سابقاً.

وقد واكب تطور الثروة الحيوانية في محي خلال السبعينات والثمانينات تطور قطاع الخدمات فيها وكانت البداية مع انتقال السكان من القرية القديمة إلى الأحياء السكنية الجديدة في مطلع الستينات واستخدام المساكن التقليدية الأولى أماكن ملائمة تأوي إليها الماشية، وشقت الطرق المعبدة مع مطلع السبعينات ممل سهل حركة السيارات، وزودت القرية بالماء عبر الأنابيب مع منتصف السبعينات، وفي مطلع الثمانينات زودت بالكهرباء. وأبّان هذه الفترة تحول عدد من سكان القرية المؤهلين للعمل في قطاع الخدمات والجيش والعمل في مناجم فوسفات الحسا والأبيض، مما

---

* مقابلة مع جمال سليمان القضاة، محي-حزيران ١٩٩٣م.

** أظهرت نتائج التحقيق بأن من بين أربعين من مربي للمواشي يملك خمسة وثلاثين منهم آليات من نوع بك آب وصهريج وتراكتور والبعض يملك أكثر من آلية. مجموع الآليات لدى هؤلاء بلغت ٤٨ آلية مختلفة الأنواع، أحد المربين يملك ١٢٠٠ رأس ومسكن من أربعة مخازن بالإضافة إلى أربع سيارات نقل متوسطة وصهريج ماء وتراكتور. وآخر يملك ٦٧٥ رأس لديه سيارة بك آب، وصهريج ماء، وتراكتور، (محي، آب ١٩٩٣).

ساعد على الفرز والتخصص في قطاعات الإنتاج المحلية علــى اعتبــار أن تربيــة الماشية أصبح نمطاً إنتاجياً تطلب ذلك من المربين السعي لزيادة عدد القطيــع علــى اعتباره ثروة ورأسُ مال ومجالاً للتخصص، وتمّ ربط اقتصاد القرية بقطاع الإنتــاج في المحافظة وباقي أسواق المدن.

لتوضيح ذلك نكتفي بعرض الوقائع الإحصائية لتطور الثروة الحيوانية في القريــة وواقعها في مطلع التسعينات وهي مؤشرات على مدى تطور الحثيث في نمط الإنتاج الرعوي*.

بلغ عدد المواشي في محي وفق آخر احصاء أجرته دائرة الاحــصاءات العامــة بموجب برنامج التعداد العام للثروة الحيوانية في تشرين أول ١٩٩١، كالتالي:

الضان	الماعز	المجموع**
١١,٣٩٦	٣٢٨٢	١٤٦٧٨

كما أظهرت القوائم أسماء المالكين المربين ممن يملكون من عشرة رؤوس حتــى أربعمائة وخمسين رأساً من الماشية، إذا بلغ عددهم (١٠٦) مربي***، مائــة وســتة مربين.

ولنا أن نقدر حجم وأهمية ثروة القرية إذا حسبنا أن عدد ســكان محــي بموجــب إحصاء تشرين أول ١٩٩٢ بلغ (٢٥٥٢) نسمة، وعدد الأســر فيهــا (٤١٧) أســرة (معدل عدد أفراد الأسرة ٦ أفراد) إذا وزعنا الثروة الإجمالية من المواشي على أسر

---

* ليست لدينا معطيات احصائية لحجم الثروة الحيوانية في عقدي السبعينات والثمانينات لكن لنــا أن نقــدر حجم التطور الحاصل عند عرض الثروة الحيوانية في محي عام ١٩٩١م.

** على مستوى لواء المزار (احصائية تشرين أول ١٩٩١) بلغ عدد رؤوس الــضأن (٤٢٧٧٩) والمــاعز (٢٢١٨٣) وعدد المربين (١٠٢٠)، أما مجموع الضأن والماعز على مستوى المملكة لنفس التاريخ بلــغ (٣,٥٨٢٠٦٧) رأس، ومجموع المربين بلغ (٤٤٢٢٣) ونماذج حصر الحيازات التعــداد العــام للثــروة الحيوانية محفوظة لدى مديرية لواء المزار.

*** السجلات تحتوي فقط على المالكين الذين أحضروا مواشيهم في مراكز القريــة، وهنــاك عــدد مــن المربين أجروا التعداد في أماكن انتشارهم مع القطيع خارج القرية.

القرية فيكون نصيب كل أسرة (٣٥) رأساً، وهذا الرقم بحد ذاته ثــروة ورأس مــال اضافي*.

التغيير الذي طرأ على تقاليد تربية المواشي في فترة التطور:

أظهرت نتائج الدراسات الميدانية في محي مدى التغير في قطاع حرفة الرعــي، ذكر أحد المبحوثين من الحجايا بأن والده كان يملك من المواشي (١٢٠) رأساً مــن الضان وستة من الإبل، عندما يحين موسم التشريق (النجعة) في شهر آذار كان يقدم سكن العائلة إلى امرأة من القضاة دون أجرة ويبقى الابن الأكبر مع والدته لأنه طالب في المدرسة والبقية تخرج بالمواشي إلى المراعي، وتقيم العائلة في مــسكن مؤقــت، والمواشي تبقى مع راع بالأجرة، وقد زاد عدد القطيع إلى (٣٠٠) رأس. ومنذ مطلع عام الثمانين بدأ يأتي إلى القرية رعاة من منطقة دير الزور في شرق سورية لخدمــة القطيع مقابل راتب شهري مقداره ثمانون ديناراً شهرياً، يبقى أحدهم لمدة عام ويأخذ إجازة سنوية لمدة شهر يعمل مكانه راع بديل لحين عودته.

ومربٍ آخر يعمل لديه راعيان، الأول من نفس القرية من الحجايا، والثــاني مــن منطقة شرق سورية. الراعي المحلي يعمل وفق التقاليد القديمة التي كانــت متبعــة، حيث يأخذ عن كل عشرة رؤوس (عابورة) أي نعجة بلغت السنة الأولى من عمرها، أو خاروف بحيث إذ حصل عليها من كل مائة رأس وذلك بعد قضاء سنة في عمله، ويأخذ أيضاً كسوة وهي عبارة عن عباءة وأحذية ومؤونة ويؤمن بالمنام فــي مكــان خاص به ضمن مسكن العائلة. يحشر الراعي في زريبة مساحتها ٤,٥×٤م وتــزداد المساحة كلما زاد عدد الرؤوس ويرافقه في تجواله كلب أو كلبــان وحمــار لحمــل

---

* لتقدير حجم الثروة وعائد الدخل من تربية المواشي، نقدم المعطيات التالية: يبلغ سعر النعجــة مــن٢-٤ سنوات (١٢٠) ديناراً وسعر الكبش ٣ سنوات (١٤٠) ديناراً. لقد ذكر أحد المربين بأنــه يملــك (١٥٠) رأساً من بينهم (١٢٠) نعجة أعطت في موسم ربيع ١٩٩٣ من المواليد ٨٠ رأساً نصفهم ذكور والنصف الثاني إناث، فكان حاصل ناتج القطيع من الإيراد ٢٤٠٠ ديناراً، حيث متوسط ســعر الــرأس بلــغ (٨٠ ديناراً)، وبذلك يكون رأسمال كامل القطيع (١٥٠ رأساً) بالوحدة النقدية يساوي (١٢٠٠٠) دينار.

الأمتعة أحياناً يلجأ مجموعة من المربين إلى إسناد رعاية مواشيهم إلى راع يدفعون أجرته بالاشتراك بينهم كل حسب عدد مواشيه*.

كانت أغلب وجهة الحجايا في النجعة تكون إمّا إلى مناطق محي جنوب أو جنوب غرب محي حيث ينابيع وآبار منطقة صليلا وصلول إلى الجنوب من محي توجد قرية الحامدية** وهي على بعد (٩) كم من محي، وسبب التسمية نسبة إلى عشيرة المحمودين الحجايا سكان القرية الأوائل، وحتى عام ١٩٧٥ كانت تُعَدُّ مكان تجمع العائلات الهيايسة والبطنات والزواهرة والعودين من فرع العليين الحجايا كانوا يسكنون في بيوت الشعر ويقيمون قرب آبار المياه.

تأسست مدرسة ابتدائية عند التجمع فقرر السكان الاستفادة من خدمات التعليم وعدم مغادرة المكان وبدئ من ذلك التاريخ ببناء مساكن حديثة ثابتة، حيث أصبحت الحامدية اليوم تضمن ثلاثون عائلة وتحتوي على أثنين وأربعين مسكناً***.

أما أراضي القرية فهي قسم مفروز منذ عام ١٩٨٦، والقسم الآخر أراضي دولة (مشاع)، ويعتمد سكانها في معيشتهم على تربية الماشية والعمل المأجور في مناجم فوسفات الحسا والأبيض.

قبل عشر سنوات كان الرعاة يعتنون بتربية الأبل وكانت نجعتهم في فصل الربيع إلى مراعي البادية الشرقية (تشريق)، أما في فصل الصيف فيتوجهون إلى حقوق هضبة الكرك (تغريب)، وفي السنوات الماضية كانوا في بعض المواسم يرحلون مع القطعان شمالاً حتى وادي جرش.

ومن مظاهر التغيرات التي طرأت على طريقة النجعة، نقدّم هذه المعلومات

---

* المعطيات للدراسات الميدانية في القرية-محي، حزيران ١٩٩٣م.

** بلغ عدد المواشي في قرية الحامدية وفقد تعداد المواشي في تشرين أول ١٩٩١، (١٩٥٩) ضأن، و(١٠٧٢) رأس ماعز.

*** نتائج الدراسات الميدانية في القرية، المعلومات مستمدة من مختار القرية محمد حمد محمد الهيايسة العمر ٦٥ عاماً، الحامدية ١٩٩٣/٤/٤٦.

المستمدة من أحد مربي المواشي في محي، حيث ذكر:" **كان الوالد يملك (٣٠٠) رأساً من المواشي، أغلبه ضان، وكنا نملك بيت شعر (مروبع) أي يتكون من أربعة حجرات، وآخر بنفس الحجم مخصص لإيواء المواشي، ونمتلك إلى جانب القطيع عدد من الجمال والخيل والبغال، وقد اشترى الوالد ناقة لأداء فريضة الحج، وبعد عدة سنين توالدت الناقة وازداد العدد واستخدمت الابل في النقل، وبعد وفاة الوالد قسمنا أنا وأخي المواشي مناصفة فأصبحت أملك مائة رأس من الضان. تطعم في الشتاء من محصول زراعة الحبوب المخزون في المساكن القديمة، وفي نهاية شهر آذار نخرج مع القطيع إلى محيط القرية في حالة إذا كان الموسم جيداً وتوفرت الأعشاب وتعود للقرية مع بداية شهر أيلول**".

وأضاف: "في (نهاية السبعينات) كنا نبقى في المراعي طوال مواسم الربيع والصيف والخريف، أما منذ عشر سنوات يعود الجميع إلى القرية في نهاية شهر آب مع بداية الدوام المدرسي ليتسنى للطلاب الالتحاق إلى مدارسهم. وفي موسم الحصاد كانت ترعى المواشي ترعى في الحقل المحصود وتجمع القش والحبوب كأعلاف تخزن لفصل الشتاء، وفي السابق كان لكل مربٍ الحق في رعي المحصول إلا أنه وابتداءً من عام ١٩٧٥ ظهرت بيع عادة الحقل المحصود بمبلغ دينارين للدونم الواحد إضافة إلى تقديم هدية إلى صاحب الحقل وهي عبارة عن كمية من السمن البلدي أو خروف أضحية للعيد*.

وفي بعض المواسم كان يشترى محصول القمح والشعير قبل أن يحصد وهذا يكون في حالة فشل الموسم بسبب الجفاف، حيث يبادر مربو الماشية بالسعي لشراء حقوق زراعة الحبوب في مطلع شهر آذار، فيباع الدونم المزروع بمبلغ (٦) دنانير كمراعي ترعاها المواشي. ولوحظ أن جميع الحقوق التي تقع إلى الغرب من محي استغلت كمراعي قبل حصد المحصول خلال موسمي ٩٣-١٩٩٤ لجفاف الموسم بسبب قلة الأمطار*.

ومن المعدات الحديثة لحرفة الرعي يمتلك أصحاب المواشي التي تزيد قطعانهم عن المائتي رأس بالإضافة إلى بيت الشعر وتراكتور ومقطورته وسيارة نقل** (بيك آب)

---

* معطيات الدراسات الميدانية، مقابلة مع سلامة جعفر القضاة، محي ١٩٩٣/٥/١٠م.

** معطيات الدراسة الميدانية لمحيط قرية محي، أيار ١٩٩٤، وحزيران ١٩٩٤.

وتنك ماء ومضخة ماء ومعالف وأحواض ماء. وتستخدم السيارات في نقل القطيع إلى خارج حدود القرية*. بدخول الآلة تغير برنامج النجعة بحيث يستطيع المربي نقل مواشيه متى شاء وإلى أي مكان يريده، ومع ذلك تم المحافظة على نفس حركة القطيع وذلك للاستفادة من المراعي ودورتها الطبيعية لسد العجز الحاصل في كمية الأعلاف المخصصة للقطيع وتخفيض كلفة غذاء المواشي.

لقد صمم المسكن الحديث لمربي المواشي بشكل يسمح بتأدية خدمات حرفة الرعي حيث يقوم البناء على تسوية تحتوي على دهاليز وحجرات تستخدم لإيواء المواشي. ويحتوي المسكن على باحة فسيحة يفتح بها باب واسع يسمح بدخول المعدات إلى داخل الباحة ويحوي أيضاً على مخازن لحفظ الأعلاف، التي تنقل بواسطة سيارة بك آب إلى مكان رعي القطيع عند منتصف النهار، وتوضع الأعلاف داخل مواعين وتوزع إلى جانبها قساطل الماء، تقدم وجبة واحدة للقطيع السارح في المرعى، يستريح بعدها القطيع لمدة ساعتين، ثم ينتشر من جديد في المرعى وتعود لمكان جمعها عند الغروب. أما القطيع المقيم في المراح أي في المكان الذي تحشر فيه المواشي فيقدم له وجبة أعلاف الساعة السابعة صباحاً وأخرى عند الساعة السابعة مساءً.

بهدف تطوير الثروة الحيوانية عملت الدولة على توفير الأعلاف سواء من السوق المحلي أو المستورد وبالسعر المدعوم للمربين بموجب بطاقات خاصة توزّع على المربين، ورغم ذلك بقيت مشكلة نقص الأعلاف غير محلولة وذلك لعدم كفاية العلف المدعوم، إن ازدياد الطلب على الأعلاف جاء نتيجة طول فترة تغذية الأغنام، وبسبب تكرار الجفاف وتدهور الغطاء النباتي للمراعي الطبيعية لم يكفي المرعى حاجة القطعان.

---

* سمحت السلطات المختصة لمربي المواشي اقتناء سيارة نقل تحمل رقم سعودي غير مجمركة مقابل إصدار تصريح من قيادة شرطة البادية في عمان لمدة سنة معفاة من الرسوم شرط أن تعمل في نطاق المراعي والبادية، ولا يسمح بدخولها إلى المدن إلا بتصريح خاص، وقد راجت تجارة هذا النوع من السيارات في المناطق الرعوية.

نقدم تجربة أحد مربي الماشية في محي لتوضيح المشاكل التي تواجهها هذه الحرفة" يمتلك المربي ثلاثمائة رأس من الماشية وحاصل على بطاقة تزود بالأعلاف، ويتبع طريقتين لتوفير الغذاء للقطيع: الطريقة الأولى يعتمد فيها على الرعي الطبيعي خصوصاً في المواسم الخصبة حيث يكون المرعى جيداً وبهذا يخفف من الكمية المطلوبة من الأعلاف المحضرة، والموسم الجيد يسمح للقطيع الاعتماد على الرعي الطبيعي لمدة شهرين دون حاجة للأعلاف لكن لا بد من توفير الماء. ومن الجدير بالذكر أن عملية تزويد القطيع بالماء عملية مستمرة طول العام. والطريقة الثانية بتوفير الأعلاف المحضرة وفق المخصصات التي تحددها بطاقة التموين بالسعر المدعوم من المواد العلفية التالية للشعير، سيرجوم (كسر الذره)، نخالة، وذلك وفق الأسعار التالية (لموسم آب ١٩٩٣):

سعر الطن الواحد من الشعير المدعوم ٦٥ ديناراً.

سعر الطن الواحد من النخالة المدعوم ٤٢ ديناراً.

سعر الطن الواحد من الشعير بالسوق الحرة ٩٠ ديناراً.

سعر الطن الواحد من النخالة بالسوق الحر ٦٠ ديناراً.

ويحصل المربي على الأعلاف بالسعر المدعوم حسب آخر إحصائية لمواشيه التي أجريت في عام ١٩٩١، حيث يحصل على ٣ طن من الشعير، و٧٥٠ كغم من مادة النخالة، وبسبب الزيادة الطبيعية لعدد المواشي غير المحسوبة في البطاقة (يقدر المربون الزيادة السنوية على القطيع بنسبة ٢٥%)، لسد العجز يلجأ المربي إلى شراء الأعلاف بسعر السوق الحر حيث يحتاج لتغطية النقص إلى ٢ طن من الشعير وطن واحد من النخالة*.

بالإضافة إلى الاعتماد على ما خُزن من محصول الحبوب من حاصلات القرى المجاورة في المواسم الجيدة ويؤمن من حاجته بالحصول على ٥٠% من كمية الأعلاف من الصنف المدعوم و٥٠% من الأعلاف من السوق الحرة.

---

* معطيات الدراسة الميدانية، محي، آب ١٩٩٣م.

نتيجة مشكلة توزيع الأعلاف فقد ظهر سوق للمضاربة وتجارة الأعــلاف، فمــن المعروف أن مديرية الأعلاف تجري احصائية مرة واحدة كل ثلاث أو أربع سنوات وفي هذه الأثناء يزداد عدد رؤوس المواشي عند بعض المربين والبعض منهم يلجــأ للتخلص من القطيع إمّا بسبب نقص الأعلاف أو عن طريق البيع والتجــارة الــشيء الذي يجعل لدى البعض بطاقات تموينية تتضمن عدداً معيناً من المواشي وفي الواقع لا يملك المربي هذا العدد والعكس صحيح، أي يملك المربي اعداداً من المواشي تفوق ما هو مثبت في البطاقة التموينية مما يسمح لغير المالكين الحصول على مخصصاتهم من الأعلاف بالسعر المدعوم فيطرحونه من جديد في السوق الحر، فيضطر المربون المالكون لسد العجز إلى شراء الكميات المطروحة في السوق بالسعر الحر *.

وحلاً لهذه المشكلة يقترح المربون إجراء احصاء دوري دقيق يأخذ بعين الاعتبار الزيادة الطبيعية على القطيع، أو تعويم الأسعار وطرح كامل الكمية إلى السوق الحر حيث تخضع المادة إلى عاملي العرض والطلب فتهبط بذلك أسعار أعــلاف الــسوق الحرة، فيتعدل ميزان العجز في الكمية وبالتالي تنتهي ظاهرة الاتجار بالأعلاف.

العناية الصحية بالقطيع

نتيجة الممارسة الطويلة والخبرة في تربية المواشي، أصبح للمربي والراعي درايةً جيدة في تشخيص ومعالجة القطيع. وكان إلى وقت قريب يستعمل في العلاج طــرق العناية الصحيحة التقليدية كالكي بالنار والقص. ويحَّضر العلاج مــن مستحــضرات الأعشاب الرعوية. وهذه الوسائل والمواد تستخدم أحياناً في علاج الإنسان والحيــوان على السواء، ومن قِبل نفس الأشخاص حيث برز بعــض العــارفين بفنــون الطــب التقليدي.

ومن أمراض المواشي التي كانت شائعة مرض (الجعام) أي الاسهال، يعالج بمزج محلول قشر الرمان ومادة الشبّه والماء المملح المغلي، مرض (الــشهقة) أي ضــيق تنفس الحيوان وإخراج مخاط من الفم والأنف، مرض (الجدرة) أي حصبة المواشــي

---

* أحياناً يلجأ بعض المربين عند إجراء الإحصاء إلى ضم قطيع آخر إلى مجموعته لزيــادة عــدد الماشية وبالتالي للحصول على كمية أعلاف أكبر.

للعلاج تقطر عيون الحيوان ببول البقر، مرض (الجرب) وانتشار البثور حول أنــف وفم الحيوان وتعالج بمادة القطران، ومرض (الكزة) أثناء البرد القارس للعلاج يغلــى السمن ويسقى للحيوان لإدخال الدفء لمعدته، الكسور تعالج بوضــع تجبيــره مــن القصب وقطع القماش المبللة وتربط بخيط صوف.

حول مشاكل العناية الصحية للقطيع ذكر أحد المربين في محي: "منذ فترة زمنيــة قريبة بسبب الاعتماد على الأعلاف المحضرة زادت مشاكل المواشي الصحية وزادت مخاطر تلوث البيئة عليها".

تأكيداً على ما ذكر لقد ورد تحقيق في أحد الصحف المحلية اليومية عــن معانــاة الرعاة في مراعي منطقة سد السلطاني وهي منطقة يسكنها الحجايا وتقع إلى الــشرق من قرية محي، بسبب تلوث الأعشاب القريبة من مخلفات مناجم الفوسفات بدت على المواشي التي تأكل من العشب أعراض تساقط الأسنان.

ونتيجة لتعقيد مشكلة العناية الصحية بالقطيع يتطلب مــن الراعــي والمربــي أن يكونوا ملمين ببعض مفاهيم البيطرة ومعالجة الحيوان من الأمراض المنتــشرة فــي المنطقة وهي: الحمى، الجدري، الديدان المعوية، الالتهاب الرئوي، الاسهالات. وأثناء البحث شرح المبحوث لنا كيفية المعالجة وعرض بعض عينات من العقــاقير التــي تستخدم في حالة الديدان المعوية يعطى (telvet 10)، وكذلك (ouitelmin 19) يعطــى كسائل أو حبوب تذاب في حالة الإسهال أيضاً يعطى (dioclean)*.

بعض الحالات يتم نقلها بواسطة سيارة بك أب إلى مركز بيطرة المزار، وكإجراء وقائي يعمد المربي إلى عزل الحالات وتعطى العقاقير المشتراه من صيدليات البيطرة ويمكن للمربي الخبير من تشخيص المرض قبل مراجعة مركز البيطرة، والبعض ما زال يستخدم طرق العلاج والعقاقير التقليدية وفي الحالات الميئوس منها يلجأ المربون لذبح الحيوان نحراً وتركه مكانه، بهدف منع تسرب الحالات المرضية إلى الاستهلاك البشري. وذكر المبحوث أحياناً يصاب ١٠% من القطيع بأعراض مختلفة كل شــهر. وبسبب المواد كيمياوية المضافة إلى الأعلاف المحضرة يلاحظ إصابة كبد المواليــد

---

* معطيات الدراسة الميدانية في القرية، محي، ١٦/٨/١٩٩٣م.

من صغار الماعز (الفطمان) بالرغم من انها لا تعلف وعلل سبب ذلــك بــأن الأم هي المصابة أصلاً.

الإنتاج:

تعتبر تربية الماشية عنصراً رئيساً في اقتصاد المجتمعــات الرعويــة والريفيــة وغايتها تأمين مصدر الرزق والغذاء للسكان، وعائداتها بمثابة ثروة اقتصادية يــولى مربو الأغنام عناية فائقة بها أكثر من الماعز، لأن الأغنام تعطي انتاجاً من مــشتقات الألبان أكثر من الماعز والماشية وسيلة تبادل تجاري سواء من حيث بيــع الــرؤوس كسلعة أو بيع مشتقات الألبان من الزبدة والسمن البلدي وكذلك صوف الأغنام، ولهذا شاع القول الشعبي المأثور "الغنم سلاسل الذهب"*.

وفي مطلع الصيف يبدأ موسم تلقيح المواشي (التعشير) تستمر العملية خلال شهر حزيران وحتى مطلع تموز. يكون القطيع اثناءها فــي المراعــي أو فــي الحقــول المحصودة ويتكفل عدد من الفحول الذكور بالقطيع ويخصص فحــل لكــل عــشرين رأساً، وبعد خمسة أشهر من فترة (العشار) تضع الحوامل فــي نهايــة كــانون أول ومطلع كانون ثاني حيث تكون المواشي في هذه الفترة داخل الحظــائر فــي القريــة وتعلف مما خزن من تبن والشعير من غلال الحصاد(٦).

ويقوم الراعي والمربي بمساعدة حالات الولادة حيث يشعل الحطب داخل الحظائر ويساعد المولود وينفخ في فمه ليساعده على التنفس ويدخل الدفء إلى جوفه(٧).

وبعض النعاج تلقى عناية خاصة من الناحية الصحية والغذائية وتحــضر لتــضع مرتين في خلال العام وفي هذه الحالة يبدأ موسم العشار في شهر أيار وتضع النعجة في شهر تشرين ثاني ثم تبدأ مرحلة العشار الثانية في نهاية شهر كانون أول وتــضع

---

* يعتني الرعاة بالمواشي فيضفي عليها سمات محببة وتربط في أعناقها أجراس ويعزف الرعاة علــى الناي للقطيع أثناء انتشاره في المراعي ويطلق عليها الأسماء الوصفية الدالة مــن أســماء الأغنــام (الشعلاء) بيضاء الرأس، (دعماء) سوداء الرأس والرقبة، (درعا) حمراء الرأس، أما أسماء المــاعز (حوياء) بيضاء الأذنين)، (صبحا) بيضاء الوجه.

في شهر أيار عندما تضع النعجة مرتين (ولادة رجعية) لا يمكن لها أن تسرح فتبقى في الحظائر وتعلف جيداً في مكانها. ذكر أحد المربين في القرية بأنه يملك مائتي رأس بلغت الزيادة الطبيعية على القطيع في موسم كانون الثاني ١٩٩٣ ستين رأساً نتيجة العناية بالمواشي من الناحية الصحية والغذائية*. وغالباً ما تكون نسبة ولادات الإناث مناصفة مع الذكور ويطلق على الحملان الصغيرة من الضان اسم (طلي) والماعز يطلق عليها اسم (سخل). وترضع الأغنام وليدها لمدة سبعين يوماً وهي المدة اللازمة ليتمكن الوليد من رعي الأعشاب، بعدها تفصل الصغار في حظائر خاصة وتعلف وتعزل عن أمهاتها تمهيداً لفطامها والاحتفاظ بالحليب في الضروع، تسمى المواليد في هذه الفترة (فطمان) حيث يبدأ موسم الربيع ويستعد الرعاة للخروج بالقطيع إلى المراعي وتنشط تجارة المواشي فتنتقل الذكور منها بسيارات النقل إلى (سوق الحلال) الذي يعقد في نهاية شهر أيار في بلدة سحاب (جنوب شرق عمان) حيث التجمع التقليدي للمجتمعات الرعوية في البادية الوسطى الشرقية**، ويحتفظ بالإناث لزيادة القطيع، وكثيراً ما يأتي التجار من خارج القرية لشراء منتوجات مشتقات الألبان والمواشي وتوريدها إلى أسواق ومسالخ المدن القريبة لتباع لاستهلاك السوق المحلي.

يبدأ موسم تحضير مشتقات الحليب بعد سبعين يوماً من وضع الولادات الجديدة، أي في شهر آذار خلال الفترة ما بين آذار ونهاية حزيران تعتبر فترة نشاط إنتاجي يشارك فيه كل عناصر المجتمع الرعوي وتبدأ عملية تصنيع وتجارة منتوجات المواشي.

يعتبر إنتاج الحليب أحد أهم الوظائف المهمة للأغنام ليس بسبب كون النعجة حيوان لبون ولكن لضرورة نمو المواليد والمحافظة على النوع(٨).

حليب المواشي:

يجمع الحليب على دورتين، مرة في الصباح، وأخرى في المساء، وتحضر الأواني اللازمة للحليب المكونة من وعاء خشبي يسمى (روري) أو صفيحة معدنية تسمى

---

* معطيات الدراسة الميدانية في القرية، محي، آب، ١٩٩٣م.

**معطيات الدراسة الميدانية في القرية، محي، آب، ١٩٩٣م.

(محلاب) يؤتى بحبل طويل فيه عدد من العرى (حلقات) متباعدة يسمى (ربق) تـولج هذه العرى في رؤوس النعاج وتظل النعاج محجوزة فيه على شكل صفوف متراصة ثم تقوم النساء والرعاة بحلبها، ومرحلة الإنتاج الغزير من الحليب تكون في الأسبوع الثالث من بدء الإنتاج ويبقى حتى الأسبوع الثاني عشر بعـد الـولادة. وفـي حالـة تحضير المنتوج في المنزل، يجمع المنتوج في (سعون) من الجلد يضاف إليه خميرة لبن (روية) ثم يترك لمدة ٢٤ ساعة في مكان دافىء وجاف ليروب الحليب ويـصبح لبناً ثم تخض في سعون كبيرة (قرقعة)* تصنع محلياً، و(القرقعـة) لا تحمـل علـى منصب جلد أثناء الخض بعكس السعن بل تلقى على الأرض وهي عبارة عن تجميـع جلد ثلاث رؤوس تخاط معاً ويترك في أعلاها فتحة على شكل جـراب، والقرقعـة توجد بأحجام مختلفة حسب عدد وحجم قطع الجلد المكونـة لهـا، فمنهـا الـصغيرة والوسطى والكبيرة. الصغيرة تستوعب ثلاث تنكات حليب، والتنكة تعتبر وحدة قياس تساوي ١٨ كغم حليب. يضاف إلى اللبن ماء بارد نقي بنسبة ٣:٢ أي لكـل ثـلاث تنكات لبن تنكتين ماء، تبدأ النساء بخض القرقعة في الصباح الباكر وقت البرودة ومن حين لآخر يسكب الماء البارد على القرقعة للحصول على زبدة مكثفة، تستمر عمليـة الخض لمدة ثلاث ساعات، بعد ذلك تستخرج الزبدة البيضاء على شكل كتل توضـع في اناء ويبقى اللبن الخاثر ويسمى (مخيض) تعطي ٤ تنكات لبن مـضاف إليهـا ٢ تنكة ماء ٤ كغم زبدة والباقي مخيض يصنع منه اللبن الجاف (جميد).

تحضير الزبدة:

تذوّب الزبدة على نار هادئة ثم يضاف إليها (جريشة) القمح وخليط مـن الكـركم الأصفر يسمى حوائج السمن[٩]. تبقى لمدة مناسبة لتذاب وتتحول إلى (سمن) بلـدي،

---

* أثناء الدراسات الميدانية في محي شاهدنا عملية خض اللبن في (قرقعة) جرت عملية التحـضير في غرفة فسيحة تستخدم كمستودع ولتصنيع المنتوجات الألبان، قامت بعملية الخض زوجتا مربي الماشية، في باحة المسكن نشرت تحت أشعة الشمس قطع الجبن (الجميد) على ألواح من الخشب صممت خصيصاً لذلك، (محي، أيار ١٩٩٣م).

يسكب السمن في وعاء وتبقى الجريشة في قعر الإناء تسمى (قشدة)، والغرض من إضافة الجريشة كي تصفي السمن وتخلصه من الشوائب والحموضه.

بلغ سعر تنكة السمن البلدي الصافي في موسم الربيع ١٩٩٣ مائة دينار وقبل عشرين عاماً كانت التنكة تساوي ١٢ دينار فقط. وإذا كان الموسم جيداً فإن مائة رأس من المواشي تنتج عشر تنكات من السمن.

لبن جميد:

بعد فصل الزبدة عن اللبن المخيض يوضع في إناء على نار فيتكاثف اللبن وينفصل عنه سائل اصفر سمى (المصل) ويحرص أن لا يحرك اللبن وهو على نار بعد عزل المصل عن اللبن يسمى (جبجب)[١٠]، وهو لبن مكثف يضاف اليه الملح ويعجن باليد داخل إناء واسع حتى يتماسك ثم يقطع باليد على شكل كتل بحجم قبضة اليد يسمى (دمس). وذكر بأنه كانت النساء في الماضي تجعل القطع على شكل حيوانات أو أهرامات توضع القطع فوق بسطات من الخشب أو مفارش البسط وتترك في الشمس لتجف والحبات تبقى منشورة في الشمس لمدة ١٢ يوماً تجمع خلالها وتنشر ثلاث مرات. وقطعة الجميد تزن نصف كغم أحياناً وكل سبعة قطع وزنها ثلاثة كغم تقريباُ، وكل خمس تنكات من لبن المخيض تنتج ٢٥ قطعة جميد. وقد بلغ ثمن الكيلوغرام الواحد في موسم الربيع ١٣ عشرة دنانير.

ومن المنتوجات الهامة للمواشي الصوف وشعر الماعز، ومع نهاية شهر أيار قبل بدء موسم الحر (القيظ) يبدأ بقص شعر الماعز وجز الصوف الماشية[١١].

وتجري عملية الجز عند المساء بعد حلب المواشي أو في الصباح الباكر قبل الخروج للمرعى ويقوم بذلك الراعي مستخدماً مقصات معدنية صنعت خصيصاً. وينتج كل رأس ٣ كغم صوف، وفي السابق نشطت حرفة النسيج اليدوي فكانت النساء تصنع من الصوف وشعر الماعز (شق) لبيوت الشعر و(عدول) أي أكياس وحبال ومفارش وبسط ومنذ نهاية السبيعينات تقريباً اختفت هذه الحرفة من القرية[١٢].

وأصبح المنتوج يباع بسعر دينار واحد للكيلو غرام الواحد ويشتري بثمنه شعير وعلف للمواشي، صوف النعجة الكبيرة يسمى (جزة)، أما صوف الخروف فيسمى (عقة).

الجبّان:

الجبان هو الحرفي الذي يقوم بصناعة الجبنة بأسلوب تقليدي كشكل من أشكال الصناعات الغذائية داخل مجبن متنقل بكل معداته. وتقام المجابن في مراعي البادية بين تجمعات الرعاة وقرب انتشار قطعان الماشية. والجبان نمط إنتاجي تنظمة علاقات تبادل تجاري بين صاحب معمل الأجبان وبين مربي الماشية، أحياناً يختار الجبّان التنقل مع مربي الماشية شريطة أن يملك المربي أكثر من خمسمائة رأس من المواشي، أو يتعاقد مع عدد من المربين المنتشرين في المرعى على توريد (تزويد) الحليب إلى المعمل، يتفق الجبان مع المربي بأن يورد المربي جميع منتوج الحليب للجبان مقابل ثمن نقدي وبدوره يقوم بتصنيعه إلى جبنة ويعرض المنتوج على تجار الجملة لمنتوجات الألبان في المدن. وخلال دراساتنا الميدانية في محيط قرية محي كان يوجد في موسم ربيع ١٩٩٣ جبّان يقيم في المراعي التي تقع إلى الغرب من محي. وقد ذكر ذلك الجبّان* "بأنه يقيم في الموقع منذ مطلع شهر نيسان وانه مرتبط بمربي الماشية يشرق حيث يشرقون ويغرب حيث يغربون".

المعدات اللازمة لمعمل الجبّان هي: خيمة، وسيلة نقل-بك اب-مفارش خشب مع حوامل، وعاء ماء مرجل، غاز طهي كبير، أكياس ملح خشن، عمّال مساعدون مع أدوات اقامتهم. ويفضل الجبان الإقامة بالقرب من المربين الذين يملكون أعداداً كبيرة من المواشي.

---

* مقابلة مع الجبان أحمد الديسي، ٤٧ عاماً، مقيم في عمان، أصله من أبو ديس بلدة تقع إلى الشرق من مدينة القدس، عائلته كانت في موطنها الأصلي تعمل في تصنيع الأجبان في منطقة عرب التعامرة والسواحرة والرعوية.

يبدأ عمل معمل الجبان ابتداءً من مطلع شهر آذار وحتى نهاية حزيران، وينتقل في المراعي ثلاث مرات في الموسم في كل مرة يمضي حوالي شهر في نفس الموقع، ويقيم الجبّان إلى جانب مربي يملك قطيعاً من أربعمائة رأس من الماشية من عشيرة النعيمات من منطقة القطرانة. وطاقة استيعاب المعمل من الحليب يومياً ٦٠٠ كغم، ما يورد له من الحليب يومياً ما بين ٤٥٠-٥٤٠ كغم وتورد الكمية على دورتين واحدة في الصباح وأخرى المساء.

تستخدم وحدة الحساب كمية الحليب تسمى (باي) تتسع لثلاثة كغم حليب ومن شروط الحليب أن يكون فقط حليب نعاج ويجب أن يكون طازجاً.

والمربي بدوره يحصل على ثمن الحليب بسعر ٤٠ قرشاً للكيلوغرام الواحد.

طريقة صنع الجبنة:

يبدأ بتصفية الحليب من الشوائب بواسطة قطعة قماش -شاش أبيض- ثم يسخن في وعاء خاص لدرجة حرارة دافئة ثم توزع على عدد من الأوعية، كل وعاء يستوعب ٥ كغم، يضاف إليه كاس محلول خميرة الجبن مستحضر صناعياً، وبعد عشرين دقيقة يصبح الحليب جامداً (جبن)، ثم يوضع في طبق خشن قياس (٦٠×٨٠سم) كل طبق يتسع لخمسة عشر كغم حليب مجبن، يغطى الطبق بقطعة قماش مسامية، يكبس المحتوى بثقل مائتين كغم لمدة ساعة حتى يصفى من الماء ثم يقطع قطع صغيرة مربعة ثم يغلى بالماء ويجفف ويخزن في أوعية مصممة لاستيعاب ١٢ كغم جبنة (تنكة) ويضاف إليها الماء المغلي والملح ويصبح بعد ذلك جاهزاً للتوزيع والبيع.

المقادير:

كل (٦٠) ستين كغم حليب يُعطى ستة عشر كغم جبنة مغلية، وفي الموسم الجيد يعطى عشرين كغم جبنة مغلية. وينتج المعمل في اليوم حوالي ١٥٠ كغم جبنة. وقد بلغ سعر تنكة الجبنة سعة ١٢ كغم في موسم ربيع ١٩٩٣ مبلغ ٢٢ ديناراً ويتم

تصريف المنتوج إلى تجار أجبان الجملة في أسواق عمان والزرقاء والكرك وبعض التجار إلى معمل الأجبان لشراء المنتوج بسعر خاص في موسم آيار-حزيران من عام ١٩٩٤. وقد أقام الجبّان نفسه وفي الموقع نفسه التي يقيم فيه مربي مواشي من عشيرة بني صخر يملك قطيعاً من ألف رأس قدم من قرب مادبا إلى منطقة محي بسبب فقر المراعي في منطقة جنوب شرق عمان*.



* معطيات الدراسة الميدانية في محيط القرية، محي، ١٦حزيران ١٩٩٤م.

الهوامش

(١) يحتل الإنتاج الحيواني المركز الثاني بعد الإنتاج الزراعي من حيث تقديمه للغذاء ويستغل ما نسبته ٣٥% من إجمالي الإنتاج الزراعي في الأردن على أثر زيادة متطلبات السكان وتحسين مستوى الدخل أصبح الأردن يعاني من نقص في المنتوجات الحيوانية، في حين كان الإنتاج المحلي يسد حاجة الاستهلاك حتى مطلع السبيعنات، وكان الحل لتغطية الاستيراد من السوق الخارجي. (الموسوعة الأردنية، فصل التاريخ والإنسان، ص٨٥، ٨٦).

(٢) سجلات تعداد المواشي، محفوظة في مديرية ناحية الكرك، (المزار–الكرك)، انظر فصل الأعشاب.

(٣) درست هذه الظاهرة من قِبَل د. ميشيل بيفرس، انظر: قرية عيمة، محافظة الطفيلة (دراسة حالة قرية في جنوب الكرك، ترجمة د. عبد العزيز محمود، منشورات لجنة التراث، جامعة مؤتة، ١٩٩٤، ص٢٦.

(٤) سجلات دائرة الأحوال المدنية والجوازات، عمان، ٤ تشرين ثاني ١٩٩٢م.

(٥) تحقيق مصور (السلطاني القرية والسد)، جريدة الدستور، الخميس ٩٤/٦/٣٠، ص٢٣.

(٦) د. عبدالعزيز محمود، ود.أحمد العموش، قرية أردنية، ذكر سابقاً، ص٩٩.

(٧) محمد طاهات، تقاليد تربية الحلال، ذكر سابقاً، ص٦٥.

(٨) د. زهير الحلبي، د. جلال القيسي، انتاج الأغنام والماعز، جامعة الموصل، العراق، (ب،ت)، ص٢٥.

(٩) القسوس، نجيب سليمان، ملامح من التراث، ذكر سابقاً، ص٦٨.

(١٠) المصدر السابق، ص٦٨.

(١١) د. عبدالعزيز محمود، ود. أحمد العموش، كثربا قرية أردنية، ص٦٩، انظر ايضاً القسوس، نجيب، ملامح من التراث، ذكر سابقاً ص.

(١٢) انظر بيفرس، ميشيل، قرية عيمة–محافظة الطفيلة، دراسة حالة قرية في جنوب الأردن، ترجمة د. عبدالعزيز محمود عن الفرنسية، لجنة التراث، جامعة مؤتة، ١٩٩٣، ص٢٦.



الفصل الخامس

النسق الثقافي*

* أعد هذا الفصل الدكتور أحمد العموش.



مقدمة:

الثقافة القروية تمثل كل ما أنتجه الإنسان القــروي (الريفــي) بجانبيــه المــادي والمعنوي، بقصد تلبية احتياجاته المعيشية وإشباعها. وتعبّر عن اســتجابة الإنــسان للبيئة الاجتماعية والطبيعية وذلك بقصد التكيّف مع الواقــع. وثقافــة مجتمــع مــن المجتمعات تشمل أيضاً البناء الكامل من الأفكار والمعتقــدات والأخــلاق والقــوانين واللغة، كما تشمل أيضاً جميع الأدوات والأسلحة والآلات وغيرها من المخترعــات التي يستخدمها الناس كي يتلاءموا مع حياتهم على هذا الكوكب[١]. ولهذا فإن الثقافــة بشكل عام هي شيء ذهني ونتاج عقول الناس[٢].

ويرى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا أن المجتمع القروي Village Society مرَّ بتغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية بــسبب تغيُّــر البنــى والهياكــل الاجتماعيــة وخصوصاً تحول النسق الاجتماعي من نسق تقليدي إلى نسق معاصر. ويتضح هــذا التحول في القيم القروية المتغيرة مثل تغير عادات الزواج، ومراسيمه وشكل الأسرة وتربية الطفل والطقوس المتعلقة بالمعتقد الشعبي واستخدام الأدوات المادية، وكــذلك نسق الأفكار العام كتحول الاتجاهات والميول الفردية والعادات الاجتماعية.

ويتمحور النسق الثقافي في القرية حول الأمور الآتية:

- الأسرة والقرابة، وتشمل الأسرة الممتدة وتحولها.
- نظام الزواج، ويشمل مراسيم الزواج وتربية والعلاقات الزواجيــة والــزواج بين العشائر داخل القرية والعلاقات الأسرية.
- الولادة.
- الوفاة.
- الدين الشعبي.
- نعوت القرابة.
- الضيافة.
- بيت الشعر

- الألعاب.
- قص الأثر.
- الطب الشعبي.
- وجبات الطعام وأنواع الخبز.
- اللباس.
- أسماء الماشية.
- القهوة العربية.
- الأمثال والتعابير الشعبية.
- الشعر والقصائد.

الأسرة والقرابة:

- تحول الأسرة الممتدة:

الأسرة الممتدة Extended Family هي الأسرة التي تتكون من ثلاثة أجيال الزوج والزوجة وأولادهم المتزوجين والعازبين، وأولاد أبنائهم المتزوجين وبعض الأقارب الذين يعيشون ويأكلون في بيت واحد والمتميزة بشبكة واسعة من العلاقات والالتزامات المتبادلة[٣].

وبينت نتائج المقابلات إلى سيادة نمط الأسرة الممتدة في القرية حتى أوائل السبعينات من هذا القرن. فقد أفاد أكثر من ٤٥ مخبراً ومخبرة من كبار السن والمعمرين في القرية بأنهم لم يذكروا أن أحداً من أهالي محي تزوج واستقل وشكل أسرة نووية في الأربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن. وذكر هؤلاء المخبرون إلى أن ظاهرة استقلال الأبناء شيءٌ جديدٌ في القرية وأكدوا أنها بدأت منذ خمسة وعشرين عاماً في القرية. ويطلق هؤلاء المخبرون على ظاهرة استقلال الأبناء عن الآباء مصطلح "يطلع ولد فلان بدار لحاله" بمعنى أنه يستقل في منزل خاص به خراج بيت أهله.

وعند سؤال هؤلاء المخبرين عن رأيهم في ظاهرة استقلال الأبناء عن الآباء أيّد هذه الظاهرة (٤٠) أربعين مخبراً ومخبرة وعدُّوها شيئاً طبيعياً نتيجة تطور الحياة،ويقول أحدهم "بنات اليوم ما تقبل تعيش مع أحد. والولد حتى يضل كاسب رضى أبوه وأمه أحسن يطلع بدار لحاله". في حين عَدَّ (٤) أربعة مخبرين ظاهرة استقلال الأبناء عن الآباء خروجاً عن طاعة الآباء والعادات والتقاليد التي ساد عليها آباؤهم. وتؤيد هذه المقابلات ظاهرة استقلال الأسرة النووية.

وأظهرت المقابلات أن هنالك عوامل مختلفة تكمن وراء سيادة نمط الأسرة الممتدة منها نمط الإنتاج الرعوي والزراعي الذي كان يتطلب أعداداً كبيرة من الأفراد للقيام بالأعمال الزراعية وتربية الماشية، بالإضافة إلى طبيعية القيم والعادات السائدة التي تتعلق بالسلطة الأبوية المتمثلة بأب العائلة الأكبر. وأشارت المقابلات إلى أن جميع الأبناء المتزوجين وغير المتزوجين بالإضافة إلى البنات غير المتزوجات يقدّمون الولاء والطاعة للأب أو صاحب البيت.

أشارت القابلات أن الأب هو الذي يقرر متى يتزوج الأبناء الذكور وممن يتزوجون، بل موعد الزواج ومكان الزواج أيضاً. وأشارت المقابلات إلى أن الأبناء لا يجرؤن على مصارحة الأب برغبتهم بالزواج. وينطبق هذا على البنات ناحية الزواج.

وأظهرت المقابلات مع كبار السن أن ظهور الملكية الخاصة ولا سيما ملكية الأراضي ساعدت على تراجع سيادة الأسرة الممتدة وظهور الأسرة النووية في القرية.

وبتحول نمط الانتاج الرعوي والزراعي وانتشار التعليم بين الأجيال الجديدة (أجيال الأبناء والبنات) تراجعت السلطة الأبوية في القرية، وهذا بدوره ساعد على تلاشي نمط الأسرة الممتدة. وأكدت المقابلات مع كبار السن أن الأسرة الممتدة في القرية بدأت تتلاشى منذ أوائل السبعينيات، وبدأت الأسرة النووية تأخذ دورها في القرية. وبينت المقابلات مع كبار السن أن الأبناء والبنات في الوقت المعاصر أصبحت لهم الحرية في الاستقلال وفي اختيار شريك الحياة، وكذلك في بناء بيوت

مستقلة بعيدة عن أسرهم.

وتتفق نتائج المقابلات حول سيادة الأسرة النووية وتلاشي النمط الممتد في القرية مع الدراسات السابقة حول المجتمع الأردني. فقد أكدت دراسة الزغل سيادة نمط الأسرة النووية في المجتمع الأردني(٤).

-الزواج:

يعد الزواج ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ويرجع ذلك إلى اختلاف صوره وعناصره ونظمه بدرجة واضحة تصل إلى درجة التناقض، وبالرغم من بساطة التكنولوجيا في المجتمعات البدائية إلا أننا نلحظ تعقد ظاهرة الزواج فيها(٥). أي أن الزواج أساس تكوين الأسرة، وهو نظام من أهم النظم الاجتماعية وأخطرها شأناً في حياة الأفراد والمجتمعات(٦). ويعبّر الزواج عن العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة ويتم دائماً وفق أوضاع يقرّها المجتمع، وفي حدود يرسمها ويعينها، ويفرض على الأفراد الالتزام بها، ومن يخرج عليها يكون هدفاً للعقاب الذي ينص عليه العرف والقانون(٧).

ومن خلال المقابلات التي أجريت مع كبار السن والمخبرين في القرية تبين أنّ الزواج اتسم بسمات عديدة. وتجلّت تلك السمات بالزواج المبكر والزواج الداخلي Endogamy وزواج البدل ورخص المهور وتعدّد الزوجات. ولا شك أن هنالك أسباباً اجتماعية واقتصادية وراء تلك الخصائص، فزواج الفتيات المبكر كان لدوافع اقتصادية. ودلّت المقابلات الشخصية مع كبار السن أن الدافع الرئيسي وراء الزواج المبكر في الماضي هو بسبب مشاركة الزوجة في الأعمال الزراعية والاهتمام برعاية المواشي وتربيتها وخصوصاً الأغنام والماعز. وتقول إحدى المخبرات تجاوز عمرها سبعين عاماً "الواحد قبل يجوز بنته بكير مشان تساعد جوزها على المعيشة ومشان سترتها".

ودلّت المقابلات الشخصية أن عمر الزواج في الماضي للرجل كان بين ١٥-١٩ سنة، حيث دلّت (٢٢) أثنتان وعشرون مقابلةً مع معمرين تراوحت أعمارهم بين ٦٠-٧٥ سنة أن زوجاتهم كان بين ١٥-١٩ سنة، أما بالنسبة للنساء فقد دلت المقابلات أن عمر زوجاتهم حين الزواج كان أقل من أعمارهم، وقد تراوحت بين ١٣-١٧ سنة تقريباً.

ويعدُّ الزواج المبكر من خصائص المجتمع الريفي الأردني بشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام. ولقد قرر القانون العثماني أن عمر الزواج للفتاة يجب أن يكـــون تسع سنوات على الأقل، ولكن المقبول حسب التقاليد هو سن البلوغ، أي بين ١٢–١٣ سنة[٨]. وبينت الدراسات التي أجريت حول الريف العربي بـــشكل عـــام، أن عمـــر الزواج في بداية هذا القرن حتى بداية الستينيات من هذا القرن أقل من ٢١ ســـنة[٩]. وتبين من دراسة بروثر وذياب أن معدل سن الزواج للمرأة فـــي المنطقـــة العربيـــة تراوح بين ١٤–١٨ سنة في بداية هذا القرن، في حين تراوح بين ١٧–٢١ سنة قبل عام ١٩٦٠. أما بالنسبة للرجل فقد تراوح معدل عمر الزواج بين ٢١–٣٠ سنة فـــي الثلاثينات من هذا القرن، وبين ٢٤–٣٠ في الستينات من هذا القرن[١٠].

ويمكن القول إن عمر الزواج في القرية قد ارتفع بشكل ملحوظ بسبب التغيـــرات الاجتماعية والاقتصادية التي أصابت البنى والهياكل الاجتماعية، حيث دلت المقابلات مع (٢٤) أسرة نووية على أن عمر الزواج بالنسبة للأزواج كان بين ٢٢–٢٨ ســـنة، و١٥–٢١ سنة بالنسبة للزوجات. أشارت المقابلات أن أعمار أرباب تلك الأسر اقـــل من ٥٥ سنة.

ودلّت اتجاهات أبناء تلك الأسر غير المتزوجين على أن عمر الـــزواج المفـــضل للأبناء هو ٣٠ سنة و٢٤ سنة بالنسبة للفتيات. وقد بلغ مجموع أبناء تلك العينـــة ٤٥ شاباً وفتاة. وهذا مؤشر ايجابي يدل على الوعي لدى أبناء الأســـر النوويـــة بأهميـــة الزواج المتأخر نسبياً. ولعل هذا يعود لانتشار التعليم بين أبناء الأسر النوويـــة فـــي القرية.

والسمة الثانية هي الزواج الداخلي حيث أشـــارت المقـــابلات مـــع كبـــار الـــسن والمعمرين في القرية أن غالبية حالات الزواج حصلت داخل العشيرة أو العائلة وهذا يسمى بزواج بنت العم ويعود لأسباب مختلفة مثل أن بنت العم تقّدر أحوال ابن عمّها وظروفه وتراعيها، وكذلك لتجنب الخلافات العائلية مع الغرباء. ويعتقد أهالي القريـــة كذلك أن مهر بنت العم أقل من الغريبة (من خارج القرية والعشيرة).

ودلّت المقابلات مع كبار السن على أن الزواج الداخلي يرتبط بزواج البدل (نكاح الشغار) في القرية. وأشارت المقابلات إلى أن زواج البدل كان سائداً في القرية، وهذا بدوره يسهل الزواج من الناحية المادية. ويقول أحد كبار السن (الذي تزوج بنت عمه بديلة): "تزوجت بنت عمي بديلة (وبالمقابل تزوج ابن عمه اخته) لأن بنت العم يقدر الظرف اللي كان صعب على الناس قبل وبنت العم تصبر وتعيش على الخبز والميه (الماء)، مهي مثل الغريبة (ويقصد النساء من خارج القرية) اللي بدها مهر ومصاريف وزيارات الواحد كان ما يقدر عليها وكان عندنا مثل يقول: من طين بلادك حط على أخدادك (ويعني أن بنت العم أحسن من الغريبة)".

ودلّت المقابلات على أن الزواج الخارجي Exogamy في القرية في الماضي وحتى بداية السبعينيات من هذا القرن اقتصر على الميسورين وكبار الملاكين مثل الشيخ والمختار. وأشارت المقابلات إلى أن الزواج الخارجي كان يتم مع عائلات ذات سمعة اجتماعية ومكانة مرموقة. ومثال ذلك أن يتزوج ابن الشيخ فتاة من عشيرة خارج القرية ويكون والدها شيخاً أيضاً أو صاحب مكانة اجتماعية مهمة، وذا شأن في المنطقة.

وأظهرت نتائج المقابلات على أن الشباب في الوقت المعاصر يتجهون نحو الزواج الخارجي لأسباب اجتماعية واقتصادية وأحياناً صحية نتيجة انتشار التعليم والوعي.

والسمة الثالثة للزواج هي تعدد الزوجات في الماضي. ويعود تعدد الزوجات لأسباب اجتماعية واقتصادية، تكمن في طبيعة نمط الإنتاج الزراعي والرعوي، والذي ساعد على تعدد الزوجات. بالإضافة إلى الرغبة في كثرة الذكور ومشاركة الأهل في تقسيم العمل ولا سيما الأعمال التي تتطلب جهداً ومشقة.

وبيّنت نتائج المقابلات إلى أن تعدد الزوجات في الوقت الحاضر تراجع لأسباب متعددة منها تغير نمط الإنتاج من زراعي ورعوي إلى نمط خدمي وتجاري مرتبط بالمجتمع الخارجي، وكذلك انتشار التعليم والوعي لدى أبناء القرية، وتغير القيم

المرتبطة بأنماط الانتاج السابقة وظهور قيم اجتماعية جديدة، وكذلك تحول الأسرة من ممتدة إلى نووية. وتقول إحدى الفتيات المتعلمات واصفة نهاية هذه الظاهرة وتلاشيها: "لم يعد هنالك مُسَوِّغ أن الشاب المتعلم يتزوج أكثر من واحدة، فمتطلبات الحياة اليوم أكثر من الماضي وخاصة الاقتصادية. فالأبناء لهم مصاريف مثل التعليم والصحة والرعاية وهي مكلفة وخاصة إذا فكرت العائلة بإرسال أبنائها إلى الجامعة. وحتى الزوجة لا تقبل أن زوجها يتزوج بأخرى. اعتقد أن مبررات تعدد الزوجات قد اختفت ليس على مستوى قريتنا بل على مستوى كل القرى المجاورة والمجتمع الأردني".

ودلت نتائج المقابلات مع ٣٥ أسرة إلى أن عدد المتزوجين بأكثر من واحدة بلغ حالتين وكان جميعهم بسبب الرغبة في زيادة الأبناء الذكور.

ويمكن القول إن ظاهرة تعدد الزوجات قد تلاشت لأسباب تتصل بطبيعة نمط الإنتاج السائد وانتشار الوعي والتعليم لدى أبناء القرية وبناتها في الوقت المعاصر.

مراسيم الزواج وترتيبه:

تعدُّ مراسيم الزواج من الجوانب المهمة في حياة القروي. وتتخذ مظاهر اجتماعية عدّة، وترتبط هذه المظاهر بالعادات الاجتماعية المروثة. وأشارت (٣٥) مقابلة مع كبار السن والمعمرين على أن مراسيم الزواج وترتيباته تمرّ بالمراحل التالية:

الصفاح: ويقوم أهالي العريس بجمع وجهاء القرية وخصوصاً الوجهاء مثل المختار ويذهبون إلى بيت والد العريس ويكون في استقبالهم والد العريس وأقاربه وخصوصاً الوجهاء وأصحاب المكانة الاجتماعية في القرية. وبعد السماح لهم بالجلوس يقوم والد العروس تقديم القهوة إلى وجيه الجاهة (الرجل الأكبر مكانة) ويأخذ هذا الوجيه فنجان القهوة ويضعه على الأرض ويقول: " ما نشرب قهوتك غير تعطينا إلي أجينا بيه". وإذا وافق أبو العروس يقول: "اشرب قهوتك وابشر بلّي (الذي) جيت بيه". ممن ممشاك لمفاك" (وتعني حتى ساعة وصول الجاهة).

وفي هذه الحالة تكون القهوة العربية السادة قد بردت ويقوم والد العروس وينـــادي ابنه أو أي شخص من أقارب العروس ويقول: "جدد القهوة". بمعنى تغيير الفنجان.

يقول أحد المعمرين والبالغ من العمر ٦٨ سنة واصفاً عملية الصفاح:

"تذهب لطلب العروس حنا ووجه عربنا (المختار أو الشيخ) وبعد ما نصل ونـــسلم على أهل العروس، يقوم أبوها بصب القهوة للجاهة، ويضع وجيه الجاهـــة الفنجـــان على الأرض. ويقول بصوت عالي: بدنا بنتك يا أبو فلان إلى فلان علـــى ســـنة الله ورسوله. ويقول ابو العروس: ابشر، ترى اجتكم هدية وحياكم الله ورسوله والله منتم (لستم) وجه فشل، اشرب قهوتك وحياكم الله. والجاهة قبل كانت تجي على اجر ثابتة. ويكون فيه اتفاق بين أهل العروس والعريس.

وبعد شرب القهوة تقوم الجاهة بقراءة الفاتحة علامة على بـــدء مراســـيم العقـــد كخطوة أولى. ويحددون يوماً وعادة يكون بعد أسبوع لكتابة الكتاب. ويقول أحد كبار السن: "تروح الجاهة ويقروا الفاتحة...فاتحة الرحمن ويعدوا المهر ويعقـــدوا العقـــد وتصبح العروس على سنة الله ورسوله".

وأشارت المقابلات إلى أن فترة الخطوبة في الزمن الماضي لا تدوم طويلاً ودلت نتائج المقابلات على أن فترة الخطبة تراوحت ما بين شهر وستة شهور. وفي خـــلال هذه المدة فإن العريس لا يشاهد العروس ولا يجتمع بها. ويقول أحدهم "الواحـــد مـــا يقدر يحكي مع بنت عمه (خطيبته)، وما كان فيه مجال مثل اليوم الواحد يقعـــد عنـــد أهل خطيبته. وكانت الناس تحكي على الرجل الذي يشوف خطيبته أو يجلس معهـــا. والذي اختار لي زوجتي وهي بنت عمي والدي...الواحد ما يقدر يقول ودي أتجـــوز واللي يحدد الزواج هو الوالد".

الجهاز: يقوم أهل العروس بإعداد ما تحتاجه العروس من لباس وأثـــاث. وتقـــوم أم العروس بشراء الصوف من القرية. وتجمع نساء القرية ولا سيما المعمـــرات قبـــل زواج العروس بأسبوعين لغسل صوف الغنم. وبعد ذلك يتم عمل فـــراش الـــصوف

والملاحف. وأشارت المقابلات إلى أن عدد فرشات الصوف تراوحت في الماضي بين ٥-١٠ فرشات من الصوف، و٤-٦ ملاحف ومِفْرَش من السجاد وصندوق خشب تضع العروس فيه ملابسها. وعادة ترتبط مكانة العروس بكمية الجهاز الذي تخرجه إلى بيت العريس.

الغزة: وتعني الغزة بدء عملية الاستعداد للزواج. ويقوم والد العريس ببناء بيت الشعر ورفع العلم ويسمى البيرق. ويكون البيرق في الأغلب أبيض. وأشارت المقابلات إلى أن الغزة تبدأ في العادة يوم الاثنين بالنسبة لعشيرة القضاة، ويوم الثلاثاء بالنسبة لعشيرة الحجايا (البدو).

وتقول احدى المعمرات في القرية واصفة عملية الغزة:

"أبو العريس يغز الراية ليلة الاثنين. ويظل ربعه (جماعته) يغنوا وينشو حلو (توزيع الحلوى) من ليلة الاثنين وحتى ليلة الجمعة. ويعزم أبو العريس قرايبه ورَبْعُه واللي حواليه. ويرسل ولده ويعزم أهالي القرية. الزعلان قبل الرضيان، ويقول العزام"أبوي يسلم عليكم والليلة ترى عندنا غزة لخوي" "س" (الأخ) وجيرة الله عليكم أبوي يقول تجوا وتشاركوا فرحنا". ويقول المعزوم الله لا ينكد عليكم وحنا نجي بدون عزيمة. والناس قبل كانت تشارك بعضها وهي زعلانة من بعض".

وخلال مدة (الغزة) يشارك جميع أهالي أهل العريس هذه المناسبة. وتعد الغزة من وسائل التضامن والتفاعل الاجتماعي في القرية. وتمثل الغزة طقساً اجتماعياً Social Rite يشارك فيه الجميع ويعبّرون عن فرحتهم الكبرى. وقد أكد علماء الاجتماع الديني على أهمية الطقوس ودورها في التماسك وأحياء الروح الاجتماعية. فقد أكد دوركايم أهمية الطقوس في خلق روح تضامنية في المجتمعات الأولية[١١].

وأكد العموش وعبدالعزيز في دراستهم حول قرية كثربا دور الطقوس في تضامن أفراده[١٢]. وتتطابق نتائج هذه الدراسة حول أهمية الطقوس في خلق روح التماسك مع دراسة دوركايم ودراسة العموش وعبدالعزيز السابقة.

القطار: ويعني القطار، إحضار العروس من بيت أهلها إلى بيت العريس.

وفي الماضي كان أهل العريس وأقاربهم يجهزون الخيل والإبل لإحضار العروس، وعند وصول القطار يكون والد العروس قد أعدّ غداء للمشاركين في القطار ويتكون هذا الغذاء من المنسف. ويتناول الضيوف الغذاء ويشربون الشاي والقهوة. ويطلق بعد الغذاء العيارات النارية تعبيراً عن حالة الفرح والسرور. بعد ذلك يستأذن أهل العريس من والد العروس بالسماح لهم بالمغادرة وأخذ العروس. ويقوم والد العريس باخراج العروس وتسمى هذه "قوامة العروس". وعادة ما يقوم والد العروس بتقديم مبلغ من المال أمام الحاضرين إلى العروس ويسمى هذا المبلغ "نقوط". وبنفس الوقت يقوم أقارب العروس من الرجال والنساء بالنقوط أمام الحاضرين.

وبعد خروج العروس من منزل أهلها يشكر أهل العريس أهل العروس على حُسن الضيافة والاستقبال وتقول النساء عند خروج العروس "كثر الله خيركم يخلف عليكم كثر الله الخير". وهي تعبيرٌ عن الشكر والامتنان لأهل العروس وأقاربها.

وبعد مغادرة العروس بيت أهلها وقبل وصولها إلى بيت العريس يقوم أقارب العريس وأصدقائه بعزومة المشاركين في القطار جميعاً من أحل إقامة مأدبة غذاء أخرى. وعادة ما يقوم هذا الشخص بإعداد وجبة الغذاء قبل وصول القطار. وعند وصوله ينادي بأعلى صوته ويقول "جيرة الله ترى غداكم صاير واتلموا على القوم". وتعدّ عزومة القطار احتراماً وتقديراً للعريس وأهله. ويقول أحد كبار السن:

"بعد ما يمشي القطار وقبل وصوله إلى بيت العريس يقوم أول مجاور للعريس بعزم القطار ويغذيهم (يعمل وجبة غداء). وهذا إذا كانت العروس داخل القرية. وإذا كانت من خارج القرية تتعزم على الطريق أكثر من مرة. الناس قبل تعرف بعضها ولها واجبات عند بعض. اليوم شغلة العزايم خفت ومهي مثل قبل. شغل الناس اليوم كثر، وما حدا فاضي، كل واحد في رزقه وشغله".

وتؤكد المقابلات تلاشي ظاهرة عزومة القطار. وأفادت تلك المقابلات انها تنحصر في شخص في أقارب العريس والذي تربطهم بالعريس رابطة دموية قريبة. وتكمن

أسباب تراجع هذه الظاهرة إلى ارتفاع تكاليف عزومة القطـــار وكــذلك تغيــر القــيم والاتجاهات المرتبطة بهذه الظاهرة.

تسعة الخال: وهو أن يقوم خال العروس بطلب مبلغ من المال من أهل العريس، ويقوم عادة والد العريس بدفع المبلغ المطلوب لخال العروس. وبنفس الوقت يقوم خال العروس بدفع هذا المبلغ وتقديمه هدية إلى العروس. وأشارت المقابلات إلى أن ظــاهرة تــسعة الخال في القرية قد تلاشت وأصبحت شيئاً من الماضي.

-جيرة ابن العم: أشارت المقابلات إلى أن ظاهرة جيرة ابن العم تقوم على ان يمنــع ابن العم بنت عمه من الزواج. وعادة تكون في الزواج الخارجي. ويقول المثل الــسائد "ابن العم ينزل عن الفرس". ويقوم ابن العم بالتقدم إلى والد العريس برغبته مــن بنــت عمه. ويطلق أهالي القرية على هذه العملية "الجيرة" وتعني ان يمنــع ابــن العــم مــن استمرار زواج بنت عمه. ويقول ابن العم لعمه "ترى يا عمي بنتك مجبورة لي على سنة الله ورسوله". وهنا لا يستطيع العم منع ابن عمها.

وعادة يتدخل أهالي القرية والوجهاء عند ابن العم والطلب منه بالتراجع عن موقفــه في الجيرة. وأشارت المقابلات إلى أن معظم الحالات التي حدثت فيها الجيرة لم يــستمر زواج العروس من الغريب. وهنا يتقدم ابن العم للزواج من بنت عمه وبنفس الإجراءات السابقة.

وبينت المقابلات تراجع هذه الظاهرة في القرية، وذلك لانتشار التعليم وكذلك حصول الفتاة على قدر من الحرية يسمح لها باختيار من ترى انه شريك الحياة المناسب.

الدخلة: بعد وصول القطار إلى بيت أهل العريس يقوم الحضور ويستمرون فيه حتــى منتصف الليل. وبعد ذلك يسمح للعريس بالدخول إلى بيت العروس. وتعد الدخلــة بــدء الحياة الزوجية.

المقطوطة: يقوم أهل العريس بعد الدخلة بذبح رأس من الغــنم أو المــاعز وتــسمى (حلية). وتقدم الحلية للعروسين والضيوف والذين أتوا للمباركة ومشاركة الأفراح مــن خارج القرية. وأشارت المقابلات إلى استمرار هذه العادة في الوقت الحالي.

صبحية العريس: وهو أن يقوم أحد أصدقاء العريس بإعداد وجبة فطور في بيته. وعادة يتفق هذا الصديق مع العريس بأسبوع على هذا الموعد. ويقوم صديق العريس بإخبار جميع الشبان أن هناك وجبة فطور (صبحية للعريس) في منزله. وعادة يلبي جميع الشبان هذه العزيمة.

أما بالنسبة للعروس فقد أفادت المقابلات إلى أن أم العروس تقوم بإعداد صبحية العروس وهي وجبة فطور وعادة تكون من الدجاج البلدي ومطبوخة بالسمن البلدي.

القرى: وهو أن يقوم والد العريس بذبح الذبايح وإعداد وجبة غداء لجميع المدعوين يوم الجمعة وبعد أداء الصلاة. وقبل الغداء يقوم المدعوون بتقديم مبلغ من المال يسمى "النقوط" إلى العريس. وأشارت المقابلات إلى أن النقوط يساوي مقدار من المبلغ الذي قدمه العريس في مناسبات سابقة. ويقول أحد المخبرين حول قيمة النقوط المقدم" ألي قدمته للناس يجيك"، بمعنى بقدر ما تقدم نقوطاً للآخرين تحصل عليه واللي بالقدر تطلعه المغرافة".

وبعد الانتهاء من القرى يذهب العريس إلى منزله ويقدم التهاني إلى العريس. ويجتمع حوله الأهل والأصدقاء. ويقدم الشاي والقهوة وفي المساء العشاء للحضور.

وأشارت المقابلات إلى أن العروس لا تخرج من بيتها خلال الأيام الثلاثة الأولى. وتسمى ثلاثة العروس. وخلال تلك الفترة يقدّم والد العريس ووالدته وأهله الطعام والقهوة والشاي في بيت العريس.

السبوع: بعد أسبوع من الزواج يقوم العريس بدعوة أصدقائه وأقربائه وكذلك أهل العروس للغداء. وعادة يكون يوم الخميس الذي يلي يوم القرى. وبعد الغداء يحق للعروس الخروج من بيت العريس وزيارة الجيران وكذلك أقارب العريس. وبهذا تبدأ الحياة الزوجية بصورتها الطبيعية المعتادة.

وأشارت نتائج المقابلات إلى أن مراسيم الزواج العامة في القرية في الوقت الحالي لم تتغير. وبينت المقابلات استمرارية عملية الصفاح والغزة والقطار والقرى.

وأظهرت المقابلات أن هنالك تغيرات في بعض القيم المتصلة بمراسيم الزواج وعاداته مثل اختفاء جيرة ابن العم وعزومة القطار وتسعة الخال.

ومن مظاهر التغير في القيم المتصلة بالزواج كذلك ظاهرة مقابلة العروس والتعرف عليها. فقد أفادت المقابلات أن الشاب في الماضي كان لا يعرف خطيبته أو العروس إلا يوم الدخلة والزواج. أما في الوقت الحاضر فقد بينت نتائج المقابلات تغير هذه العادة. ويكمن ذلك في انتشار التعليم والوعي بأهمية تعارف الزوجين قبل الزواج. ويصف أحد المبوحثين زواجه في الماضي، ويقول:

"قبل لا يوجد تعارف بين العريس والعروس. ولا يعرفوا بعضهم حتى ولو كانوا قرايب. اليوم العريس يقابل خطيبته ويتعرف عليها ويقدر يجلس معها ويشوفها (يراها)".

ويضيف هذا المبحوث أن ابنه الأكبر قد تزوج من عشيرة ثانية من خارج القرية والذي اختار العروس هو الابن وليس الأب كما كان سائداً في الماضي.

ومن مظاهر التغير الذي أصاب الزواج اختفاء زواج البدل. ويعود ذلك إلى ظهور الأسرة النووية والاستقلالية في اتخاذ القرار بالنسبة للأولاد والبنات. وأشارت المقابلات إلى أن انتشار التعليم وحصول المرأة على حقوقها مثل الحق في اختيار الزواج ساعد على اختفاء زواج البدل.

ويقول أحد كبار السن "زواج البدل كان موجود قبل واليوم الناس بطلت...اليوم ما أحد يمون أو يغصب (يجبر أو يكره) حدى على الزواج". ويقول أحد المبحوثين كذلك " زوجتي بديلة. وزواج البدل مربوط ومرهون إذا وحدة من النسوان زعلت لازم الثانية تزعل حتى لو ما كان فيه مشاكل بينها وبين زوجها. حتى المهر والمؤجل يكون مثل بعض... والله الزواج هذا فيه ظلم للطرفين لأنه كانت أحياناً تزعل زوجتي وتروح على أهلها يوم يصير سوء تفاهم بيننا. تزعل اختي وتجي لعندنا. لكن اليوم تغيرت الحياة وتغير زواج البدل والناس تعلمت. وزواج البدل كان جهل عن

الناس...اليوم الحياة أفضل، في وعي عند الناس...وكل واحد يختار الذي يناسبه".

وشارك فريق البحث في حضور مراسيم زواج إحدى الفتيات والبالغة من العمر ١٨ سنة في القرية وشاهد عملية الغزة والقطار والقرى. وعند سؤال العروس عن اختيار العريس اجابت بأنها هي التي اختارته بنفسها وأن أحداً لم يجبرها على ذلك. وأشارت العروس إلى أن العريس سيسمح لها بمتابعة الدراسة في جامعة مؤتة وأنها راضية عن زواجها. وكذلك تمت مقابلة الفريق للعريس وأشار إلى أنه هو الذي اختار العروس ولم يلعب الأهل أي دور في عملية الاختيار. وعند سؤاله هل سيسكن في بيت منفصل، أجاب أن الحياة تتطلب اليوم الاستقلال وقال أنه سيحافظ على علاقة طيبة مع أهله على الرغم من استقلاليته.

-العلاقات الزوجية داخل القرية:

اتسمت علاقة الزوج بالزوجة في الماضي بالتسلط والظلم واستخدام القوة أحياناً. وأشارت المقابلات مع بعض المعمرات في القرية إلى أن أزواجهن استخدموا الضرب في حالة وقوعهن في أخطاء وعدم القيام بالواجب البيتي أو في الحقل أو التقصير فيهما. مثل عدم الاهتمام بالحصاد وعدم جلب الماشية.

ودلت المقابلات مع المعمرات على أن الزوجة في الماضي تبقى في حالة شك وخوف حتى تنجب ذكراً. ويعود شك الزوجة وخوفها إلى احتمال أن يتزوج عليها الزوج أمراه ثانية ولا سيما في حال عدم إنجاب الذكور. وأشارت بعض المعمرات إلى أن الشك والخوف قد يستمر حتى في حالة إنجاب الذكور.

وبيّنت المقابلات إن طبيعة العلاقات الزوجية قد تغيرت في الوقت الحالي لأسباب كثيرة منها انتشار التعليم وكذلك خفّت حدة التسلط والقوة المستخدمة من قبل الزوج.

وأشارت (١٥) مقابلة مع زوجات تزوجن حديثاً بعد عام ١٩٨٠ إلى أن (١٤) زوجة خلال ١٤ سنة لم تتعرض للضرب أو الاهانة من قِبَل الزوج ولم يسبق أن خرجت من بيت زوجها إلى بيت أهلها بسبب الشجار والخلافات الزوجية. وأشارت

تلك الزوجات إلى أن الخلافات الزوجية تحل عن طريق التفاهم بين الزوجين. ولم يسبق أن أهل الزوجة أو أهل الزوج قد تدخلوا لحل تلك الخلافات. وبينت نتائج المقابلات مع نفس الزوجات أن الذي يساعد على التفاهم في الوقت الحالي هو تخلي الرجل (الزوج) عن سلطته التقليدية مثل الضرب والاستبداد بالرأي. وأشارت الزوجات كذلك إلى أن زواجهن لم يكن بالأكراه وقد ساهمن في اختيار شريك الحياة. وقالت احداهن:" نَحُلّ مشاكلنا الداخلية عن طريق التفاهم والمحبة الزوجية. واليوم الزوجة هي سيدة البيت وبيدها شؤون البيت".

وبينت المقابلات أن ظهور الأسرة النووية في الوقت الحالي ساعد في تحسين طبيعة العلاقة الزواجية القائمة على المحبة والود بين الزوجين. ودلت المقابلات على أن الأزواج يستقلون في مساكن خاصة بهم بعيدين عن أسرهم. وأن استقلال الأسرة الزوجية يساعد على عدم تدخل الآخرين وخصوصاً أهل الزوج والزوجة في الشؤون الداخلية للأسرة. وأشارت الزوجات إلى أن المشاكل تبدأ في الأسرة عندما يتدخل أهل الزوج في شؤونهم الخاصة.

وأشارت مقابلة واحدة إلى أن الزوج يستخدم الضرب. وأفادت تلك الزوجة إن هذا يعود لأن زوجها غير متعلم وعاطل عن العمل.

ودلّت المقابلات على أن طبيعة العلاقات الزواجية عند كل من القضاة والحجايا لا تختلف. ففي الماضي أشارت المقابلات إلى أن علاقة الرجل بالمرأة اتسمت بالتسلط عند الطرفين، ولكن مع استقلال الأسر الزواجية وظهور المدارس وانتشار التعليم ووسائل الأعلام مثل الراديو والتلفزيون تراجعت حدة التسلط عند الرجل.

-الزواج داخل القرية:

أشارت الملاحظات والمقابلات الشخصية المتعمقة على أن مراسيم الزواج وأنواع بشكل عام لا تختلف عند عشيرة الحجايا عنها عند عشيرة القضاة والبشابشة. وبينت نتائج المقابلات ان الاختلاف يكمن في بعض التعابير والمصطلحات عند العشيرتين،

مثال على ذلك يقول الحجايا "الفاردة" في حين يقول عنها القضاة "القطار". وكذلك بدء مراسيم الزواج يقول عنه القضاة "النصة: أو "الغزة" في حين يستخدم الحجايا لبدء مراسيم الزواج مصطلح "الشرة". وعادة تبدأ الغزة عند القضاة يوم الأثنين في حين تبدأ مراسيم الشرة عند الحجايا مساء يوم الثلاثاء. وكذلك هنالك اختلاف في القصائد والأغاني، فالحجايا يغنون القصائد البدوية، في حين يغني القضاة الأغاني ذات الطابع القروي والريفي وبعضها مستمد من الحياة المعاصرة.

ودلّت المقابلات الشخصية على أن الحجايا لا يزوجون بناتهم إلى عشيرة القضاة. في حين يزوج القضاة بناتهم إلى عشيرة الحجايا. وبينت نتائج المقابلات أنه وقع ٤٥ حالة زواج منذ بداية هذا القرن حتى يومنا هذا كانت من طرف القضاة إلى الحجايا في حين سجلت حالة زواج واحدة من الحجايا إلى القضاة. وأشارت المقابلات إلى أن حالة الزواج هذه كانت لمرأة لا تنجب.

ودلت نتائج المقابلات على أن طبيعة القيم السائدة تمنع الزواج بين القضاة والحجايا. وبينت المقابلات على أن طبيعة القيم البدوية تمنع البدوي من أن يزوج ابنته من الفلاح المستقر رغم حالة الاستقرار التي يتمتع بها الحجايا منذ أوائل السبعينيات. وتقول إحدى المعمرات من القضاة "احنا نعطي الحجايا وهم ما يعطونا من قبل لليوم...البدوي يحسب حاله احسن من الفلاح وحتى البدوية ما تقبل الفلاح لو كان شيخ ربعه".

يقول كذلك أحد كبار عشيرة من القضاة حول طبيعة العلاقة الزوجية بين عشيرته وعشيرة الحجايا: "القضاة أعطوا الحجايا بناتهم، وحوالي أربعين من بناتنا مع عيال القضاة وهم اعطونا بس وحدة. وحتى اللي اعطونا اياها ما تلف (لا تنجب). واللي خلى الحجايا يسكنوا ويصيروا أهل دور وفلاحين مثلنا البنات اللي تجوزوهن من القضاة".

وأشارت نتائج المقابلات أنّ من أسباب استقرار الحجايا هو زواج الحجايا من القضاة. وبينت المقابلات أن من شروط زواج الفتاة من القضاة هو الاقامة داخل

القرية وعدم الرحيل مع زوجها. وهذا الشرط يطلبه والد الفتاة عندما يتقدم لها شـــاب من الحجايا. ودلت المقابلات على أن زواج القضاة الخارجي يتم مع عشائر ليــست ذات بدوي مثل عشائر الصرايرة التي تسكن القرى المجاورة.

وبيّنت المقابلات ان حالات زواج الحجايا من القضاة كانت جميع فئات الحجايـــا. وأشارت نتائج المقابلات إلى أن الشيخ عودة غيث ابن هداية تزوج ثماني زوجـــات وكانت الزوجة الثامنة من عشيرة القضاة. وهذا يدل علـــى أنّ زواج الحجايـــا مـــن القضاة وصل إلى الشيخ عودة والذي يمثل أعلى مرتبة ومكانة اجتماعية عند الحجايا.

وأشارت المقابلات إلى أن عائلات الحجايا التي تربطها رابطة زواج مع عــشيرة القضاة تتزاور يومياً وبدون رسميات أو حواجز. ودلت المقــابلات كــذلك علـــى أن العائلات الأخرى التي لا تربطها رابطة زواج ومصاهرة مع القضاة لا تتزاور يومياً ويقتصر التزاور فقط في المناسبات العامة مثل الزواج والوفاة.

وبينت المقابلات إلى أن العامل الرئيسي الذي يكمن وراء عدم اعطـــاء الحجايـــا بناتهم إلى القضاة هو اعتقادهم بأن البدوي يتصف بالشهامة والشجاعة وعلاقته دائماً بالصحراء وبيت الشعر وكذلك أن القرية تحدُّ من حرية البدوي الـــذي تعَــدُّ البدايـــة موطنه. ويمكن القول إن هذا الدافع يمثل حاجزاً نفسياً اجتماعياً تكون خلال العقـــود الماضية سبب غياب الدولة ومؤسساتها.

-العلاقات الأسرية

أشارت المقابلات إلى أن التزاور بين عائلات الحجايا والقضاة والبشابشة لا يتم إلا في المناسبات العامة مثل حالات الزواج والوفاة والولادة. وبينت المقابلات مع مجموعة من زوجات أرباب الأسر من عشيرة القضاة أن أزواجهن (أرباب الأسر) لا يسمحون لزوجاتهم أو بناتهم بزيارة عائلات الحجايا إلا بمعرفة الزوج المسبقة. وأشارت المقابلات إلى أن التزاور يقتصر على حالات الولادة والزواج والوفاة. وبمعنى آخر المشاركة في الأفراح والأتراح. وبينت المقابلات كذلك أن زوجات أرباب الأسر من القضاة لا يأخذن إذن الزوج لزيارة عائلات من نفس عشيرة القضاة، وذلك باعتبارهم أهلاً وأقارب. وهذا يدل على أن التزاور داخل العشيرة مسموح به ولا يعد من قبل الزوج ممنوعاً أو بحاجة إلى استئذان مسبق.

وأشارت مقابلات مع أرباب أسر من الحجايا إلى أنهم لا يسمحون لزوجاتهم بزيارة روتينية إلى عائلات القضاة إلا في حالات عامة مثل الزواج والولادة. ودلت كذلك نفس المقابلات على أن التزاور داخل عشيرة الحجايا مسموح به ولا يعدُّ خروجاً عن العادات والتقاليد اضافة إلى أن المرأة لا تحتاج إلى إذن مسبق من زوجها لزيارة قريبتها من نفس العشيرة.

وبينت المقابلات أن عدم التزاور اليومي بين أسر القضاة والحجايا لا ينطبق على الأسر التي بينها تزاوج وتربطها رابطة النسب. وكما أسلفنا بإن خمسة وأربعين شخصاً من الحجايا تزوجوا من عشيرة القضاة. وأشارت المقابلات إلى أن العلاقات الاجتماعية بين هذه الأسر طبيعية ولا يوجد حواجز نفسية وموانع تحول دون إقامة علاقات طبيعية. وبينت المقابلات مع أسر الحجايا التي تعود زوجاتها من القضاة أن التزاور اليومي الروتيني لتناول القهوة والشاي والمجاملات يتم دون معرفة الزوج المسبقة أو إذنه.

وبينت المقابلات مع أرباب الأسر من عشيرة القضاة والذين تربطهم رابطة النسب مع الحجايا أن التزاور بينهم وبين أنسابهم من عشيرة الحجايا طبيعي وغير رسمي لأن أولاد الحجايا وبناتهم ارتبطوا برابطة دموية وقرابية مع عشيرة القضاة. ويرى

أرباب اسر القضاة أن القضاة هم "خوال" كثير من أسر الحجايا.

ويقولون عادة "خالتنا عند الحجايا". وتشير بعض المفردات اليومية مثـل (الولـد خلت القضاة). بمعنى أن أمه من القضاة ووالده من عشيرة الحجايـا. ويقـول أحـد الشباب من عشيرة الحجايا "أزور خوالي من القضاة باستمرار وكذلك اللي تربطنا بهم رابطة قرابة وانني احترم كل القضاة وهم بمثابة خوالي جميعاً ولكن لا استطيع زيارة أي منزل من القضاة إلا الذي تربطني بهم رابطة الخالة".

أما بالنسبة لعلاقات الأطفال داخل القرية، فأشارت المقابلات والمشاهدات اليوميـة إلى أن أولاد الحجايا يلعبون في حارتهم وكذلك أولاد القضاة لهم ملعبهم الخاص بهم. وبينت المقابلات والملاحظات أنه يستثنى من ذلـك الفـصل أولاد القـضاة والـذين تربطهم روابط النسب مع الحجايا. وأشارت المقابلات مع هؤلاء الأولاد إلـى أنهـم يذهبون إلى حارة الحجايا ويلعبون مع أولادهم ويقضون أوقات فراغهم أحياناً هناك. ودلت المقابلات كذلك على أن أطفال الحجايا الذين تربطهم رابطة القرابة مع القضاة يذهبون ويلعبون في حارة القضاة.

ويقول الطفل باسم القضاة، وهو طالب في الصف الرابع الأساسي فـي مدرسـة محي "أصحابي بس عمر ومحمد الحجايا وأنا وأولاد الحجايا بنتهاوش بعض مـرات في الصف. ونقعد في المقعد حجايا وقضاة مع بعض، لكن ألعب دائماً في حارتنا مع أولاد القضاة. وإذا تهاوش ولد من الحجايا مع ولد من القضاة أدبّ مع القضاة لأنهـم قرايبي. ونلعب مع أولاد الحجايا في المدرسة أما في القرية هم في حارتهم وحنا لنـا ملعب في حارتنا...وما نروح ونشرف بعض بعد ما يخلص دوام المدرسة".

ودلّت المقابلات والمشاهدات على أن الرجال والشباب من كل عـشيرة يقـضون أوقات فراغهم كل في حارته ومنطقته. وبينت المشاهدات أن كبار السن من عـشيرة القضاة يتجمعون أمام الدكاكين في فصل الصيف ويلعبون (السيجة) وخصوصاً فـي المساء. وأشارت الملاحظات والمقابلات كذلك إلى أن هذا الوضـع ينطبـق علـى الرجال والشباب من عشيرة الحجايا والذين يقضون أوقات فـراغهم فـي حـارتهم. وعادة ما يجتمع كبار السن من عشيرة الحجايا في أحد المنـازل ويقولـون الـشعر

والهيجني ويقصّون القصص حول الماضي.

ويمكن القول إنّ طبيعة العلاقات الأسرية بين الحجايا والقضاة تكونت بسبب قيم المعيشة والولاء. فالبداوة لها عالمها الخاص، والفلاحة لها نمطها المتميز من حيث مصادر القيم والعادات والتقاليد. وأشارت المقابلات أنه على الرغم من انتشار التعليم والوعي الاجتماعي والسياسي فما زالت الانتماءات المحلية تسيطر على أذهان القروي من حيث السكن والولاء والعلاقات الاجتماعية العامة.

مراسيم الولادة:

أشارت المقابلات مع كبار السن والمعمرين في القرية إلى أنه بعد عملية الزواج تتم عملية الاستعداد للإنجاب. ويبدأ أهالي الزوج بترقب المولود الجديد. وكما اشارت المقابلات إلى أن المرأة ذات الحظ السعيد هي التي تنجب طفلها الأول ذكراً حتى يسمى أبوه باسمه (أبو فلان). وكذلك أمه (أم فلان). وعندما تنجب المرأة ولداً تذبح الذبائح ويطلق والد الطفل العيارات النارية تعبيراً عن الفرحة والسعادة. ويعدُّ هذا الابن حامل اسم العائلة وريثها الشرعي. وبينت المقابلات أن الزوجة التي تنجب بنتاً فإن أهلها لا ينادون الزوج باسمها إلا ما ندر، وذلك حتى لا يلحق العيب والدها. وتقول إحدى المبحوثات "أول ما خلفت بنت كانوا يسمّوا زوجي باسم البنت، بس خلّفت ولد فرحنا كثير وصاروا يطلقوا على زوجي أبو (...) وعلي كذلك. وهيك أمنت حالي من أن جوزي ما يتجوز عليّ.

ودلت المقابلات على أن الولادة في الماضي كانت تتم داخل المنزل من قبل قابلة (داية) مختصة في القرية. وغالباً ما تقبض أجراً مقابل ذلك من الزوج. وبينت المقابلات أن الزوج يقدم أجراً مجزياً للقابلة إذا كان المولود ولداً. وتقوم القابلة باخبار الزوج بأن الله قد رزقه ولداً (عيّل)، يعمر بيته. واذا كانت الزوجة قد انجبت بنتاً فان الداية تقوم بإخبار الزوج وعائلته وتقول لهم الحمد الله على سلامة أم العيال. ويعم الحزن والأسى الأسرة إذا كانت المولودة بنتاً في حالة عدم وجود أولاد لديهم.

وأشارت المقابلات إلى أن تفضيل الأولاد ما زال مستمراً في القرية. فما زال الزوج ينادى باسم ولده الأكبر، وفي حالة عدم وجود ولد ينادى باسمه. ويبقى الزوج

في حالة انتظار وترقب مستمر حتى تنجب زوجته له ولداً يحمل اسمه ويناديه أقاربه باسم ذلك الولد. وتقول احدى المعمرات من كبار السن "العيال يعمّروا الدار والبنات يروحن لناس ويأخذوهن". وهذا يدل على أن الولد في ذهن القروي لأبنه وعشيرته في حين أن البنت تتزوج وهي للآخرين.

وبعد عملية الولادة تقوم القابلة بقطع الحبل السري وعادة ما يرمى هذا الحبل في مكان عام مثل السوق لاعتقادهم بأن الولد سيصبح تاجراً أو في مكان فيه مواشٍ حتى يصبح مالك مواشٍ كثيرة. وتقوم القابلة بغسل الطفل بالماء والملح حتى نهاية الأسبوع الأول من عمره، وبعد ذلك تقام حفلة أسبوع الطفل ويقوم والده بعمل غداء لكل أهالي القرية ويقدم الشاي والقهوة والحلاوة والسمن البلدي. وعندما يصبح عمر الطفل أربعين يوماً يعمل له (المربعانية). ويعتقد أهالي الطفل بأنه بعد (٤٠) يوماً يصبح الطفل واعياً ويستطيع تمييز الأشياء ويرى ويحس، ويستطيع كذلك معرفة أمه وابيه. وعادة ما يذبح رأس من الغنم (مربعانية) الطفل.

وتتكون ملابس الطفل من (قماطة) وهي قطعة من القماش طويلة تلف كالحبل، و(ملفة) وهي عبارة عن قطعة قماش ملونة، ومن مجموعة من الفوط ويطلق عليها اسم (الخِرَق).

وفي حالة مرض الطفل تقوم والدة الطفل وجدته (أم أبيه) وسيدة تسمى أحياناً الفقيرة بغلي الشبَّة وقسمتها وتقوم (الولية) والجدة بالقراءة على الطفل. والقصد هو رقي الطفل عن العين الشريرة التي أصابته. ودلت المقابلات على أن كبار السن وغير المتعلمين يؤمنون بالحسد والعين الشريرة التي تصيب بالأذى. وبينت المقابلات الوسيلة لهذه الفئة للتخلص من العين الشريرة وهي زيارة الفقير والولي الذي يستطيع طردها والقضاء عليها. ودلت المقابلات في أنّ الأطفال يرسلون عادة إلى زيارة المقامات للاستشفاء من الأمراض.

وعند بلوغ الطفل العام تتم عملية الختان (الطهور). ويقوم والد الطفل بدعوة أهالي القرية لحضور الختان. وبعد عملية الختان من قبل الشلبي تذبح ذبيحة. ويقوم الأهالي بالغناء والرقص، ويقدم النقوط (مبلغ من المال) للطفل بهذه المناسبة.

وأشارت المقابلات إلى أن عملية الرضاعة تستمر لمدة عامين، وبينت أن غالبية الأمهات في القرية يفضلن الرضاعة الطبيعية.

وبينت المقابلات إلى أن أهالي القرية ما زالوا يميزون بين الذكور والإناث. فالأولاد مدللون من حيث اللباس والهدايا التي تقدم لهم في حين تقوم البنات بخدمة الأولاد والاهتمام بهم وخدمة البيت. ودلت المقابلات على أن الأولاد الذكور ما زالوا يتمتعون بأهمية خاصة من قبل والديهم وأخوتهم. وعادة ما تعطى فرصة التعليم للذكور أكثر من البنات. وبينت المقابلات كذلك أن الميراث في الغالب يكون للولد وتحرم البنات منه، وتعطى التركة للأبناء.

وبينت المقابلات أن الآباء والأمهات يقومون بمعاقبة البنات في حالة وقع أحداهن في خطأ في حين لا يحاسب الابن ولا يعاقب فيما لو وقع في الخطأ نفسه. ودلت المقابلات أن الولد أحياناً يضرب أخته إذا لم تنفذ له أوامره مثل احضار الطعام وإعداد ما يحتاج إليه، فالبنت في خدمة أخيها وأهلها حتى يحين موعد زواجها.

مراسيم الوفاة:

أشارت المقابلات على أن مناسبات الزواج والوفاة عامة ويشارك فيها جميع أهالي القرية بغض النظر عن العلاقات بين أهل المتوفى والآخرين. ويقول أحد كبار السن: "الأفراح والأتراح من قبل وحتى يومنا هذا هي التي يجتمع الناس وتقربهم من بعضهم".

وأشارت المقابلات إلى أن مراسيم الوفاة في القرية تختلف وفقاً للجنس (ذكر أو أنثى) والمكانة الاجتماعية كأن يكون شيخاً أو مختاراً أو شخصاً صاحب مكانة اجتماعية. ودلت المقابلات على أنه إذا كان الشخص المتوفى شخصاً ذا شأن مثل شيخ القبيلة أو مختار العشيرة فإن جميع أهالي القرية بغض النظر عن أعمارهم ومستوياتهم يشاركون أهل المتوفى حزنهم ويقدمون ما يستطيعون تقديمه ويشارك كذلك أهالي القرى المجاورة بالحضور وتقديم العزاء. كما دلت المقابلات على أنه أذا كانت المتوفاة امرأة فإن تقديم العزاء والمشاركة يقتصر على أهالي القرية، وأحياناً تقتصر المشاركة على الجماعة القرابية وعشيرة المرأة المتوفاة. كما أن المشاركة

وتقديم العزاء يختلف وفقاً لمكانة المرأة كأن تكون زوجة شيخ أو المختار حيث تختلف المشاركة عن زوجة الشخص العادي. ويمكن القول إن للمكانة الاجتماعية أهمية في نوعية المشاركة وحضور العزاء.

وبشكل عام فإنه عندما يموت شخص في القرية وبغض النظر عن مكانته الاجتماعية يقوم أحد أقارب الميت بعمل عزومة لأهل المتوفى بعد الدفن. وفي المساء يقوم أهالي المبيت بذبح ذبيحة تسمى (الونيسة) ويقول أهالي الميت عادة "ونيسة تونس الميت في قبره وتظل عند راسه". وبعد ثلاث أيام يقوم أهل الميت بعمل عشاء ويشارك أهالي القرية أهل الميت بحضور العشاء. وبعد أربعين يوماً تعمل (المربعانية) للميت، وتذبح الذبايح ويُقَدم الغذاء لأهالي القرية والمدعوين. وعادة ما تكون (المربعانية) للرجال فقط. ويشارك أعضاء الفريق حالة وفاة لرجل كبير في السن في القرية، حيث أنه بعد عملية الدفن يذهب الجميع لتقديم التعازي والمواساة لأهل الميت في بيت الشعر وتقدم القهوة السادة للحضور.

ويوجد في القرية مقبرة تقع على الجانب الغربي من القرية وتدفن عشيرة القضاة موتاهم في جزء، في حين تدفن عشيرة الحجايا موتاها في الجزء الآخر. ودلت المقابلات أن مراسيم الوفاة والعزاء لا تختلف عند عشيرتي القضاة والحجايا. فالجميع يشارك في هذه المناسبة. وكما أسلفنا سابقاً فإن المراسيم تختلف وفق المكانة الاجتماعية للمتوفى.

المعتقد الشعبي:

أشارت نتائج الدراسات على أنّ المعتقد الشعبي يسيطر في القرى والأرياف والمناطق الفقيرة[١٣]. ويلعب المعتقد الشعبي دوراً مهماً في حياة القروي ويتمحور المعتقد الشعبي حول الإيمان بالأولياء الصالحين والسحر والحجب. ويعدُّ المعتقد الشعبي من وسائل التضامن الاجتماعي في القرية خصوصاً في زيارة الأولياء الصالحين وتقديم الأضاحي والقربين لهم[١٤].

ودلت المقابلات على أنّ المعتقد الشعبي في القرية يتخذ عدة صور وأشكال، منها زيارة قبور الأولياء، وخصوصاً في بلدة المزار المجاورة للقرية، وكـذلك إيمـانهم بالحجب والمعتقدات الأخرى مثل الخرزة الزرقاء ونشر الملابس بالليل.

ويمكن تحليل صور المعتقد الشعبي في القرية على النحو التالي:

- **الحجاب:**

دلت المقابلات الشخصية على أن أهالي القرية يؤمنون بالحجاب* كوسيلة للخلاص من الأذى الذي يتعرضوا له نتيجة لعارض معين. وخلال المشاهدات الشخصية فـي القرية تبين أنه يوجد شخصان يزاولون مهنة السحر من عشيرة القضاة، والآخر مـن عشيرة الحجايا. وبينت المقابلات الشخصية أن أفـراد القـضاة يـزورون عـرافهم وساحرهم للاستشفاء من الأمراض التي تصيبهم وخاصة العين الشريرة. بينما يزور الحجايا العراف والساحر الخاص بهم.

واستطاع الباحث والفريق المشارك زيارة ساحر عشيرة الحجايا ومقابلتـه، وهـو رجل كبير في السن، وقد رفض إعطاء أية معلومات تتعلق بمهنته التـي يزاولهـا. وأشارت المقابلة مع هذا الساحر إلى أن معظم مراجعيه من مناطق مختلفـة ولـيس مقصوراً على عشيرة الحجايا وهو مصدر رزقه. وأشارت زوجة هذا الساحر وهـي سورية الأصل إلى الحالات التي ترد إليه معظمها من النساء ولا سيما النساء اللواتي لا ينجبن، أو يموت أطفالهن، أو النساء اللواتي تعتقدن بأن سحر قد عُمل لهن. وتقول إحدى المبحوثات: "النسوان من الحجايا يروحن على حجاب مثل المرة اللـي معهـا تابعة-المرأة التي يموت اطفالها مباشرة بعد الولادة- ومعمول لها شيء. يفـك الهـا العمل وتطيب". ويتقاضى هذا الشخص أجراً مقابل عمل الحجاب وبالغالـب يكـون نقوداً ويتراوح المبلغ المدفوع للحجاب بين ١٠-٢٠ ديناراً.

---

* الحجاب مصطلح شعبي يعني التميمة أو الرقية المكتوبة التي يكتبهـا الـساحر لإبعـاد الأرواح الشريرة وتخليص حامله من الأذى.

وأشارت المقابلات إلى أن معظم النساء اللواتي يترددن على الحجاب غير متعلمات ودون مستوى التوجيهي، حيث أفادت ٢٥ مقابلة مع سيدات متزوجات أن ١٤ أمراة متزوجة يؤمن بالحجاب كوسيلة أولية للخلاص من الأمراض. وكان مستواهم التعليمي دون التوجيهي أو كن أميات. وأشارت (٦) زوجات متعلمات إلى أن الحجاب لا ينفع ولا يضر وأن الدين يمنع التعامل مع هؤلاء السحرة. ودلت مقابلات أربع زوجات مستواهن التعليمي أقل من التوجيهي على أنهن لا يذهبن ولا يتعاملن مع السحرة، لأن الدين يحرم ذلك. وتقول إحدى الزوجات المتعلمات: "اعتقد أن الحجاب لا يضر ولا ينفع وحسب معرفتي أن معظم النساء اللواتي يتعاملن مع الحجابين مستواهن العلمي متدنٍ. نعم، أعتقد أن هنالك علاقة بين الإيمان بالسحر والمستوى التعليمي للمرأة".

المزارات:

دلت المقابلات على أن أهالي القرية يزورون المزارات الموجودة في بلدة المزار المجاورة. وتمثل هذه المزارات قبور الصحابة الذين استهشدوا في غزوة مؤتة. ويزور الأهالي المزارات للاستشفاء من الأمراض ولا سيما النساء. وتقول إحدى المبحوثات: "الذين يروحوا للمقامات بالمزار ومقام جعفر ويقروا عليه الفاتحة ويزوروا المريض". وأشارت المقابلات إلى أن الذبائح كانت تقدّم عند مقامات الأولياء وذلك في زمن ماضٍ.

وبيّنت المقابلات الشخصية أنّ النساء غير المتعلمات يؤمنّ بزيارة مقامات الأولياء والصالحين أكثر من النساء المتعلمات للتخلص من المرض. وتقول إحدى المبحوثات المعمرات: "كنا نروح على المزارات قبل ولما واحد يصيبه الشلل والمرض يطيب بعد ما نزوره لأنهم أولياء وفقراء وصالحين". وعادة تذهب النساء أكثر من الرجال لزيارة المزارات وخصوصاً النساء اللواتي لا ينجبن.

وهنالك معتقدات في القرية مثل الايمان بالخرزة الزرقاء، وعدم نشر الملابس في الليل ولذلك لا يسمح للأطفال بالمشي أثناء الليل حتى لا يصيبهم مكروه.

وبيّنت المقابلات والملاحظات أن انتشار التعليم والمدارس ووجود العيادة الصحية في القرية وظهور وسائل الاعلام مثل الإذاعة والتلفزيون وانتشار الصحف اليومية قلل من أهمية المعتقد الاجتماعي الشعبي وشأنه. وبينت المقابلات والملاحظات أيضاً أن معظم الأشخاص الذين يتعاملون ويؤمنون بالمعتقد الشعبي من الأميين وغير المتعلمين الذين يقل مستواهم العلمي عن التوجيهي. وخلاصة القول فأننا نرى أن ثمة علاقة بين المستوى التعليمي والإيمان بالمعتقد الشعبي والتعامل معه.

نعوت القرابة:

يرى علماء الإنسان أن مصطلحات القرابة متعددة لأن المجتمعات تختلف كثيراً في بنائها الاجتماعي[١٥]. ولا يمكن دراسة النظم القرابية دون التعرض لموضوع المصطلحات القرابية Kinship Terminology، لكلّ مجتمع انساني يميز بين الأقارب ويضع لكل واحد منهم مركزاً واصطلاحاً خاصاً[١٦]. واتفق علماء الانثربولوجيا الاجتماعية على تقسيم مصطلحات القرابة إلى نوعين رئيسين هما[١٧]:

١) مصطلحات القرابة التصنيفية أو الطبقية Classificatory، وهي التي تصنف المجموعة المحلية إلى طبقات العمر، وبذلك يكون هناك طبقة الأجداد وطبقة الأبناء وطبقة الأحفاد.

٢) مصطلحات القرابة الوصفية Descriptive، وهي التي تصنف العلاقة الحقيقية للقرابة بحيث يصبح لكل شخص مصطلح معين، كالأب، والعم، والجد.

ويتمحور النظام القرابي Kinship System في القرية حول عدة متغيرات منها الجنس والعمر ومصطلحات القرابة ونعوتها التصنيفية والوصفية. وأشارت المقابلات والملاحظات الشخصية المتعمقة في القرية إلى أن نعوت القرابة تمثل نعوتاً وفية كاملة. ويمكن تصنيف النعوت القرابية في قرية محي على النحو الآتي:

أ- نعوت قرابية تصنيفية ومثال على ذلك وجود فئة الأجداد والآباء والأبناء.

ب- نعوت قرابية وصفية، كالجد والأب والعم والخال والخالة.

ويرى عبد علي سليمان في دراسته "الشرش"، أن نعت القرابة لا يتغير بتغير عمر الشخص المنعوت به وهذا يتطابق مع قرية محي[١٨]. فمثلاً هنالك نعت واحد للأخت الكبرى والأخت الصغرى في محل "أختي الكبيرة وأختي الصغيرة"، وكذلك نعت للأخ الأكبر والأخ الأصغر مثل "أخوي الكبير وأخوي الصغير".

وأشارت المقابلات إلى أن نعوت القرابة في القرية تدل على الرابطة الدموية والقرابية بالدرجة الأولى مثل "هذا أخوي، أبوي، أختي، ولد عمي، بنت عمي". ويدل كذلك على العلاقات الاجتماعية ورابطة الصداقة مثل "والله انه مثل أخوي"، وأحياناً يقال للشخص الكبير والمسنّ في القرية "يا عمي" وهو ليس بالضرورة أخ والد المتحدث وإنما يشير إلى العلاقة الاجتماعية، وكذلك "يا عمتي" للمرأة كبيرة السن.

ودلت المقابلات والملاحظات على أن نعوت القرابة في قرية محي تشير إلى مفهوم الكنية مثل هذا "أبو محمد"، و"أبوعبدالله". والكنية منتشرة بشكل واسع في القرية. وأحياناً يقال إلى الشخص غير المتزوج "يا أبو جديد". ويقال كذلك للشباب "أبو شريك".

جدول رقم (١) يبين نعوت القرابة عند عشيرة الحجايا في القرية. وكذلك جدول رقم (٢) يبين نعوت القرابة عند عشيرة القضاة.

ويستدل من الجدولين المرفقين أن نعوت القرابة لا تختلف عند العشيرتين إلا في بعض الألفاظ والمعاني. فمثلاً يقول في نعت الصفة (أبوي) ونعت النداء (يابا). في حين تقول الحجايا نعت الوصف "أبويه" ونعت النداء (يوبا).

وبشكل عام فإن نعوت الوصف والنداء متطابقة في القرية عند العشيرتين سواء ذات

الطابع البدوي، أو ذات الطابع الفلاحي.

ودلت المقابلات الشخصية مع طلبة المدارس والمتعلمين من الحجايا والقضاة أن نعوت القرابة متطابقة وذلك لانتشار المدارس والتعليم والمؤسسات الحكومية والتحاق جيل الأبناء بالوظائف الحكومية.

جدول رقم (١) نعوت القرابة عند عشيرة الحجايا

القريب	نعت الوصف	نعت النداء	
الأب	أبويه	يوبا	
الأم	امي	يما	
الأخ	أخوية	يا خوي	
الأخت	اختي	يختي	
الابن	إبني	بالاسم	
البنت	بنتي	بالاسم	يا بنيّ
البنت	جدي	جدي	يا بنتيّ
أب الأب	عمي	يا عم	
عم الأب	عمَّتي	يا عمه	
عمة الأب	ابن عمي	بالاسم	
ابن عم الأب	بن عمي	بالاسم	ابن عمي
بنت عم الأب	ابن عمتي	بالاسم	عمي
ابن عمة الأب	جدي	جدة	ابن عمتي
أم الأب	خالي	خالي	
بنت خال الأب	بنت خالي	بالاسم	
ابن خال الأب	ابن خالي	بالاسم	بنت خالي
خالات الأب	خالتي	خالتي	ابن خالي
ابن خالة الأب	ابن خالتي	بالاسم	ابن خالتي
بنت خالة الأب	بنت خالتي	بالاسم	بنت خالتي
العم	عمي	يا عم	

العمة	عمتي	يا عمتي	
زوجة الأب	عمتي	يا عمتي	
ابن العم	ولد عمي	بالاسم	ولد عمي
بنت العم	بنت عمي	بالاسم	بنت عمي
زوجة العم	عمتي	يا عمتي	
ابن العمة	ولد عمتي	بالاسم	ولد عمتي
بنت العمة	بنت عمتي	بالاسم	بنت عمتي
زوج العمة	عمّي	يا عم	
اب الأم	جدي	يا جد	
أم الأم	جدتي	ياجدي	
الخال	خالي	يا خال	
ابن خال	ولد خالي	بالاسم	
بنت الخال	بنت خالي	بالاسم	
زوجة الخال	خالتي	يا خالتي	
الخالة	خالتي	يا خالتي	
ابن الخالة	ولد خالتي	بالاسم	
بنت الخالة	بنت خالتي	بالاسم	
زوج الخالة	خالي	يا خال	
زوج الأم	عمي	يا عم	
زوجة الأخ	مرت أخوي	بالاسم، بالكنية	أو مرت أخوي
ابن الأخ	أبن أخوي	بالاسم	
بنت الأخ	بنت أخوي	بالاسم	

زوج الأخت	جوز أختي	بالاسم	
ابن الأخت	ابن اختي	بالاسم	
بنت الأخت	بنت اختي	بالاسم	
زوجة الابن	مرت ابني	بالاسم	بالكنية
ابن الابن	ابن ابني	بالاسم	يا جد
بنت الابن	بنت ابني	بالاسم	يا جد
زوج البنت	جوز بنتي	بالاسم	بالكنية
ابن البنت	ابن بنتي	بالاسم	يا جد
بنت البنت	بنت بنتي	بالاسم	يا جد
الزوجة	حرمتي	بالاسم	بالكنية
ابن الزوجة	ابن مرتي	عمتي	
أم الزوجة	عمتي	عمي	
أخ الزوجة	عمي	عمتي	
أخت الزوجة	عمتي	بالاسم	الكنية، يا رجل
الزوج	جوزي	بالاسم	
ابن الزوج	عمي	يا عم	
أم الزوج	عمتي	عمتي	
أخت الزوج	أخت مرتي	بالاسم	
ابن الزوج	ابن جوزي	بالاسم	
بنت الزوج	بنت جوزي	بالاسم	

جدول رقم (٢) نعوت القرابة عند عشيرة القضاة

القريب	نعت الوصف	نعت النداء	
الأب	أبوي	يوبا	
الأم	أمي	يما	
الأخ	أخوي	بالاسم	
الأخت	أختي	بالاسم	
الابن	إبني	بالاسم	
البنت	بنتي	بالاسم	
أب الأب	جدي أو أبوي	جدو	
عم الأب	عم أبوي	عمو	
عمة الأب	عمة أبوي	عمتي	
ابن عم الأب	ابن عم أبوي	عمو	الكنية
بنت عم الأب	بنت عم أبوي	بالاسم	الكنية
ابن عمة الأب	ابن عمة أبوي	بالاسم	الكنية
بنت عمة الأب	بنت عمة أبوي	بالاسم	الكنية
أم الأب	جدتي فلانة	يا جدة	
خال الأب	خال أبوي	خالوا	
ابن خال الأب	ابن خال أبوي	بالاسم	
بنت خال الأب	بنت خال أبوي	بالاسم	
خالات الأب	خالة أبوي	خالة	الكنية
ابن خالة الأب	ابن خالة أبوي	بالاسم	

بنت خالة الأب	بنت خالة أبوي	بالاسم	
العم	عمي	عمو	
العمة	عمتي	يا عمة	
زوجة الأب	مرت ابوي	يا عمة	الكنية
الضرة	ضرتي	بالاسم	
ابن العم	ابن عمي	بالاسم	
بنت العم	بنت عمي	بالاسم	
زوجة العم	مرت عمي	الكنية	
ابن العمة	ابن عمتي	بالاسم	
بنت العمة	بنت عمتي	بالاسم	الكنية
زوجة العم	مرت عمي	بالاسم	
ابن العمة	ابن عمتي	بالاسم	
بنت العمة	بنت عمتي	بالاسم	
زوج العمة	جوز عمتي	الكنية	(عمو)
اب الام	جدي أبو أمي	جدو	
ام الأم	جدتي أم أمي	يا جده	
الخال	خالي	خالوا	
ابن الخال	ابن خالي	بالاسم	
بنت الخال	بنت خالي	بالاسم	
زوجة الخال	مرت خالي	بالاسم	الكنية
الخالة	خالتي	يا خالة	
ابن الخالة	ابن خالتي	بالاسم	

بنت الخالة	بنت خالتي	بالاسم	
زوج الخالة	جوز خالتي	بالاسم	الكنية
زوج الأم	جوز أمي	عمو	
زوجة الأخ	مرت أخوي	الاسم	الكنية (خيه)
ابن الأخ	ابن أخوي	بالاسم	
بنت الأخ	بنت أخوي	بالاسم	
زوج الأخت	جوز أختي	بالاسم	
ابن الأخت	ابن أختي	بالاسم	
زوجة الابن	مرت ابني	بالاسم	
بنت الابن	بنت ابني	بالاسم	
زوج البنت	جوز بنتي	بالاسم	
ابن البنت	ابن بنتي	بالاسم	
بنت البنت	بنت بنتي	بالاسم	
الزوجة	مرتي	بالاسم	الكنية
ابن الزوجة	عيال مرتي	بالاسم	
أم الزوجة	نسيبتي	الكنية	يا حجة
أخ الزوجة	نسيبي	بالاسم	
أخت الزوجة	أخت مرتي	بالاسم	
ابن الزوجة	ابن مرتي	بالاسم	

بنت الزوجة	بنت مرتي	بالاسم	
الزوج	جوزي*	بالاسم	الكنية
اب الزوج	أبو جوزي	عمي	
أم الزوج	أم جوزي	عمتي	
أخ الزوج	أخو جوزي	عمي	
أخت الزوج	أخت زوجي	بالاسم	
ابن الزوج	عيال جوزي	بالاسم	



* بالقلب المكاني: زوج، جوز.

الضيافة:

احتلت الضيافة مكانة اجتماعية مهمة في الماضي والحاضر، وأشارت المقابلات إلى أن الأهالي ما زالوا يحترمون الضيف ويقدمون له كل المساعدة والاهتمام المطلوب. ويقول أهالي القرية في استقبال ضيفهم "الضيف ضيف الله والنبي يحييه". وعادة يصب أهالي القرية القهوة للضيف عند قدومه ويقولون "فنجان للكيف وفنجان للرأس وفنجان للضيف".

وأشارت المقابلات إلى أنه إذا كان للضيف حاجة أو طلب فأنه لا يشرب القهوة عند تقديمها ويقول الضيف للمعزّب: "أنا قهوتي عندك"، ويقول له المعزب: "أشرب قهوتك وأبشر بلي (الذي) جيت بيه والله والنبي يحيوك". وتدل هذه العبارة على الترحيب بالضيف وقضاء حاجته المطلوبة.

ويقول المعمرون من أهالي القرية إن الضيف في الماضي كان يجلس في بيت المعزب ثلاثة أيام وثلث واليوم الرابع يسأل المعزب ضيفه عن حاجته بعد تكريمه وتقديم الطعام والشراب له. وأشارت المقابلات إلى أن المعزب لا يجوز أن يسألأ عن حاجة الضيف قبل هذا الوقت. وعادة ما يجلس الضيف هذه المدة في المضافة أو في الشق في بيت الشعر إذا كان الضيف عند عشيرة الحجايا.

وأشارت المقابلات إلى أن الضيافة في الوقت الحالي قد تغيرت وذلك بتغير طبيعة العلاقات الاجتماعية. ويقول أحد الشباب في الاجابة عن سؤاله عن معنى الضيافة اليوم "الناس في الوقت الحاضر مشغولة ويا دوب الواحد يلحق يخلص شغله ويشوف أولاده وأهله الدانيين (القريب). وإذا ضاف علينا ضيف عادة يكون لحاجة ضرورية ولا يقعد مثل قبل ثلاثة ايام وثلث. الناس اليوم عندها سيارات وفيها تلفونات ممكن الواحد يقضي حاجته على التلفون أو ممكن برسالة البريد يبلغ الطلب إلى وده أياه. الناس تقوم اليوم ضيف عمان يقضي حاجته بيوم واحد".

ويمكن القول إن معنى الضيافة قد تغير في الوقت الحالي عنه في السابق، ويعود ذلك إلى تعقيد تقسيم العمل الاجتماعي والتحاق الناس بوظائف وسعيهم الدائم لتأمين

أرزاقهم، بالاضافة إلى توافر وسائل الاتصال الحديثة مثــل الــسيارة والتلفــون، أو استخدام البريد كوسيلة لنقل الرسائل.

بيت الشعر:

اشارت المقابلات إلى أن عشيرة الحجايا ترتبط ببيت الشعر أكثــر مــن عــشيرة القضاة. وبينت المقابلات أنه رغم الاستقرار فأن بيت الشعر يحمــل معــاني وقيمــاً اجتماعية. فما زال الحجايا يستخدمون بيت الشعر، ويبنى أمام منازلهم فــي القريــة، وخصوصاً في فصل الصيف. ويشير إلى معاني الشرف والفروسية والشجاعة. ودلت الملاحظات على أن كبار السن من الحجايا يعملون القهوة العربية في بيــت الــشعر وأحياناً يستقبلون ضيوفهم في المناسبات العامة مثل الأفراح والأتراح.

وتسمى بيوت الشعر حسب حجمها:

- القطيه وفيه باحرتين.
- الدوبل ثلث بواحر وواسطين من النصف.
- المثلوث، ثلاث وسط وأربع بواحر.
- الربوع، أربع وسط وخمس بواحر.
- المخومس، خمسة وسط وست بواحر.
- المسودس، ستة وسط وستة بواحر.
- المسوبع، وهو أكبر بيت شعر ويتكون من سبع وثماني بواحر.

ويضاف إلى بيت الشعر الرواق، ويستخدم لسترة البيت مــن الخلــف. وأشــارت المقابلات إلى أن بيت الشعر ينقسم إلى (المحرم) ويستخدم للأسرة وصــاحب بيــت الشعر. وإذا كان صاحب البيت متزوجاً لغير واحدة فهنالك أكثر من (محرم). والقسم الثاني يسمى (الشق) ويجتمع فيه الضيوف والغرباء.

وأشارت المقابلات إلى أن الشيخ عودة الهدايات يمتلك بيتاً كبيراً يسمى المــسوبع وهو أكبر بيت شعر.

الألعاب:

يقضي كبار السن في القرية أوقات فراغهم في لعبة السيجة وهي لعبة مشهورة في جنوب الأردن. ويشارك كبار السن في هذه اللعبة. وعادة تلعب في الصباح والمساء وخصوصاً في فصل الصيف. وهنالك لعبة أخرى هي الطاب وهي عبارة عن عيدان من خشب الدفلى ويبلغ عدد العيدان (٤) وتضرب على حجر. ولوحظ أن كبار السن من القضاة يمارسون لعبة السيجة أكثر من الحجايا. وكما أشرنا سابقاً فإن الرجال المسنين من عشيرة الحجايا يقضون أوقات فراغهم في قول الشعر والهجيني (القصائد البدوية). وأشارت المقابلات إلى أن الحجايا في الماضي كانوا يقضون أوقات فراغهم على الخيل والمبارزة. ودلت المشاهدات ايضاً على أن الأطفال يقضون أوقات فراغهم في متابعة أفلام الكرتون وكذلك لعبة كرة القدم والطائرة.

ويمكن القول أن الألعاب القديمة ستختفي في القرية مع انتهاء الجيل القديم (جيل الآباء). أما جيل الأبناء فلا تختلف عن باقي المملكة. ويعود إلى انتشار التعليم ووسائل المواصلات والالتحاق بالوظائف الحكومية.

قص الأثر:

أشارت المقابلات إلى أن الحجايا اهتموا في الماضي بعملية الأثر، وذلك لارتباطهم بالصحراء. وبيّنت المقابلات أن القضاة لا يوجد لديهم اهتمام بمسألة قص الأثر.

ودلت المقابلات على أن قص الأثر يستخدم للتعرف على الحيوانات المفقودة مثل الغنم والإبل. ويستطيع صاحب قص الأثر والمتخصص بذلك أن يتتبع خطوات الحيوانات وكذلك الروث والبول الذي يدل على طريقها. ويستخدم قص الأثر كذلك على التعرف على اللصوص وتتبع طريقهم.

ودلّت المقابلات حول تاريخ قص الأثر عند الحجايا على أنه في الماضي وقبل خمسين سنة كان هنالك رجل محترف في قص الأثر من عشيرة الحجايا واسمه سلامة.

ويقول أحد كبار السن من عشيرة الحجايا "كان سلامة يعرف قص الأثـر ويـوم يصبر خونة يقص أثر الحرامي ويطلعه وكان مشهور بين العربان. وأكثر من مـرة يعرف واين الحلال اللي انسبى (سرق)".

وأشارت المقابلات أيضاً أن مسألة قص الأثر انتهت من القرية في الوقت الحـالي ولم تعد لها قيمة. وتكمن أسباب اختفاء هذه الظاهرة إلى وجـود الـشرطة وأجهـزة الدولة الرسمية والتي تستطيع الكشف عن الجاني، إضافة إلى وصول الكهرباء إلـى القرية والذي حد من سرقة الماشية.

الطب الشعبي:

يستخدم أهالي القرية مجموعة أعشاب متوافرة في القرية لعلاج الأمراض العامـة التي تصيبهم. وأشارت المقابلات إلى أن الأهالي يزورون العطار في حالة عدم وجود الأعشاب المناسبة وعدم توافرها في القرية. ونذكر من هذه الأعشاب واستخداماتها:

- مسنامكة، وتستخدم ضد الإمساك.
- حصاء البان وعصير الليمون، ويستخدم لألم الظهر.
- مستكة وقطع التفاح بعد الغلي، وتستخدم لوقف النزيف.
- عسل والحبة السوداء، وتستخدم ضد الالتهابات العامة.
- بابونج، ويستخدم للمغص.
- بعثيران، ويستخدم لألم المعدة.
- ميرمية، وتستخدم لألم المعدة وفي حالة المغص.
- جرية الحمامة، وتستخدم لالتهابات المسالك البولية.
- فلجة، وتستخدم لألم الرأس.
- الحلية، وتستخدم كذلك لالتهابات المسالك البولية.
- كمون ويانسون، ويستخدم للأطفال وخصوصاً بعد الولادة.
- السعوط، وهو مكون من الحبة السوداء ويوضع مع سبع أشياء ويستخدم للأطفال الرضع وفي حالة المغص.

- المر، ويستخدم لأسنان الأطفال ويوضع على الجروح.
- الكحل، ويستخدم لأمراض العيون.
- ترمس، ويستخدم لأمراض السكري.
- كرفس، ويستخدم لأمراض القلب.
- عنزروت، ويستخدم لأمراض البرد، وخصوصاً عند الاسهال.
- زعفران، ويستخدم لأمراض الرشح والأمراض الصدرية مثل الأزمة.
- الحنظل، ويستخدم لأمراض الأطفال الصغار.
- القرفة، وتستخدم للمغص وخصوصاً للنساء بعد الولادة.
- لسان الطير، ويستخدم لمرض عرق النساء.
- زيت سيرج، ويستخدم لأعراض الرشح والبرد.
- زيت الخس، ويستخدم لحب الشباب.
- الحبة السوداء والسكر الفضي، وتستخدم للقحة والتهاب الصدر.
- دهن النمر، لتخفيف الحرارة.
- المروحة، وتستخدم لعلاج المعدة الملتهبة.
- ملح انجليز هي، وهي شربة لتنظيف المعدة.
- حلوة، وتستخدم لأمراض الأسنان.
- البخور الأحمر، ويستخدم لعلاج الأنف.
- زيت الحبة السوداء، وهو علاج لجميع الأمراض.
- الجعدة، وتستخدم لأمراض المعدة.
- الزعتر، ويستخدم للمغص وأمراض المعدة.

وأشارت المقابلات إلى أن أهالي القرية يتعاملون مع عطار في بلدة المزار المجاورة، وتتوافر كافة الأعشاب السابقة عند هذا العطار بالإضافة إلى الأدوية الشعبية.

وجبات الطعام:

تشير المقابلات الشخصية إلى أن أهالي القرية يأكلون ثلاث وجبات يومياً وبيّنت المقابلات أن وجبة الإفطار تتكون من السمن البلدي والزبدة واللبن. ووجبة الغداء تتكون من خضروات مطبوخة ولا سيما البندورة والبطاطا وأحياناً اللحوم. أما وجبة العشاء فعادة ما تكون مكوناتها كمكونات وجبة الإفطار.

وأشارت المقابلات إلى أن أهالي القرية يقدمون المنسف في المناسبات العامة مثل الأعراس والولادة والوفاة.

اللباس:

لا يختلف اللباس في قرية محي عن اللباس في أي قرية أردنية، فالرجال والنساء كبار السن يلبسون الزي العربي التقليدي، في حين نجد أفراد جيل الأبناء يلبسون لباساً عصرياً يتكون من البنطال والقميص والبدلة في المناسبات الرسمية، وبالنسبة للفتيات فالبعض منهن محجب ويختلف ذلك من عائلة إلى أخرى.

أنواع الخبز:

أشارت المقابلات إلى أن أهالي القرية ما زالوا يحتفظون بالطابون القديم، ويقسم الخبز في القرية إلى أربعة أنواع:

- قرص النار ويتكون من القمح البلدي ويعجن ويفضل أن يكون بشكل قاسٍ ويوضع في النار، حيث يكون هنالك حجر ويوضع عليه العجين بشكل دائرة حتى ينضج.
- خبز الشراك، ويسمى خبز الصاج ويستخدم الصاج والحطب في اعداد هذا النوع من الخبز. ويستخدم خبز الشراك في المنسف ويوضع تحت الأرز.

- خبز الملة بعد أن يجهز يوضع داخل النار ويكون مطموراً ويبقى إلى أن ينضج، وهو قريب من قرص النار وتكون عجينته قاسية وسمي خبز الملة لأن ناره حامية.
- خبز الطابون، وهو مشهور في القرية ويأتي بعد خبز الشراك.

وأشارت المقابلات إلى أن كثيراً من الأهالي يشترون الخبز من بلدة المزار، ويسمونه (خبز سوق).

أسماء الماشية:

أشارت المقابلات إلى أن للماشية أسماء وذلك وفق نوعها وعمرها:

أ- الغنم البياض:

أسماء الغنم البياض هي:

- الخروف الصغير يسمى خروفاً.
- الأنثى من الضأن تسمى (عبوراً) إذا كان عمرها سنة، وقرقورة إذا كان عمرها سنتين.
- ثنية وتسمى أنثى الضأن ثنية في السنة الثالثة، أي عندما تتم سنتين.
- الخروف في السنة الثالثة يسمى ثنياً، أي عندما يبلغ عمره سنتين أو حولين كاملين وبعد الثالثة يسمى كبشاً.

أما أنواع الغنم البياض:

- الشعلة (الشعلاء)، وجهها بني مع بياض (شقراء).
- الدرعة (الدرعاء)، لون وجهها أحمر يميل إلى اللون البني.
- الدعمة (الدعماء)، لون وجهها أسود.
- القرحة (القرحاء)، لون عيونها أبيض (وتسمى كحلة-كحلاء-) ووجهها أبيض.

ب-الغنم السوداء (السمار):

الأسماء:

- بداية العمر " جدي: ويطلق على الذكر ويكون عمره سنة.
- بداية العمر (سخلة) ويطلق على الأنثى ويكون عمرها سنة.
- شَعْرِيَّة، ويطلق على الأنثى في السنة الثانية.
- الِّثنيَّة، ويطلق على الأنثى بعد أن يصبح عمرها سنتين.
- يسمى الذكر ثِنْياً، إذا أتم السنتين. و"تيساً" إذا بلغ ثلاث سنوات أو أكثر.

ألوان السمار:

- العطرة (العطراء)، إذا كان لون الأذنين أحمر، وبشكل عام لونها أسود.
- الشقرة (الشقراء)، ويكون لونها أشقر.
- السوداء، ويكون لونها أسود.
- وعادة يكون لون الماعز الشامي أحمر، وأصله من الشام. ويقول أصحاب الحلال والماشية أنه أفضل من السمار البلدي، وذلك لكمية الحليب التي تنتجه، وولادته تكون دائماً على شكل توائم، بالإضافة إلى أن الماعز الشامي هادىء وقليل الحركة.

ج- الجمال:

أسماء الجمال:

- الأشقح، يميل لونه إلى البياض، واللون الأحمر (الحمار) ويقال للذكر "أشقح"، والأنثى شقحة أي شقحاء.
- الأوضح، ويقال للذكر اوضح والأنثى وضحاء.
- الأملح، ويقال للذكر أملح، والأنثى ملحاء.

- الأصفر، ويكون لونه أسود ويأتي على صفار، بمعنى أن رؤوس الــوبر لونهــا أصفر.

اسماء الجمال حسب العمر:

- في السنة الأولى يقال له حوار.
- في السنة الثانية يقال له مغرور.
- في السنة الثالثة يقال له جَذَعٌ.
- في السنة الرابعة يقال له ثِنْيٌ.
- في السنة الخامسة والسادسة يقال له ربّاع.

د-الخيل:

أسماء الخيل:

- فِلْوٌ اسمه وهو صغير ويقال للأنثى مُهْرة.
- عندما تكبر الأنثى يقال لها فرس والذكر يقال له حصان.

ألقاب الخيول:

- جلْفاء.
- جَرْباء.
- كْحيْلة.
- شْويَّة
- كَبيشَة.
- صقْلاويَّة.
- معْنقيَّةَ.

القهوة العربية:

تتصل القهوة العربية بالقيم الاجتماعية لما لها من أهمية خاصة في نفوس العائلة الأردنية بشكل خاص والعربية بشكل عام[٢١]. وتقدّم القهوة في المناسبات العامة مثل الزواج والوفاة وعند قدوم الضيف. ويقول أهالي القرية "القهوة خَصّ ومَهِي قَص"، بمعنى أن القهوة تقدم للشخص صاحب المكانة الاجتماعية مثل الشيخ أو الضيف[٢٢]. وتتكون أدوات صنع القهوة من الظبية والجرن والمحماسة والدلال والطبّاخ.

وأشارت المقابلات إلى أن كبار السن من الرجال والنساء يقومون بإعداد القهوة في الصباح الباكر. ودلت المقابلات كذلك أن للقهوة آداباً يجب مراعاتها عند تقديمها مثل هز الفنجان عند الانتهاء من شرب القهوة في حالة الأفراح وعدم هزه في مناسبات الأتراح.

الأمثال والتعابير الشعبية:

تعدُّ الأمثال الشعبية من مصادر القيم الاجتماعية في القرية وترتبط بالموروث الثقافي، حيث تعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة [٢٣]. وأشارت المقابلات إلى أن الأمثال الشعبية المستخدمة في القرية تحمل معاني ومدلولات اجتماعية وثقافيةً. وخلال مدة البحث تعرّفنا على بعض الأمثال في القرية ومعانيها كما فسرت من قِبَل المبحوثين:

- النار ما بْتُوكِلْ غير واليها.
- وجيعة الآدمي ما يتُوكِلْ غير قلبه بس ما يتوجع غيره.
- الأسى ما ينْتَسَى.
- أنا سويت فيك معروف بترديني متلوف.
- إلي مالوا حظ لا يتعب ولا يشقى.
- يوم ما يصح شعله وما يدبر أمره بنقولوا هيك.

- أول الرقص حيجلان.
- واحد يبدأ يحب وحه هذا هو أول الرقص يحب وحده ويحتجل عندها.
- يا يحظي يلي ركب نملة في بير الأرواح دبيتوا.
- يوم ما يستفيد من شغلة، يوم ما بدك وما تصح ليك.
- خبز مخبوز ومي بالكوز

للي ما بشتغل بالدار بدها أنا أقوم أخذها وهي قاعدة.

- لو البعير ينظر لعوجه رقبته ما يعيب على الناس.

للي شايف حالو

- عيبت المغرفة على المجرفة قالت لها علامك محترقة.

للي شايف حالو

- جنة بلا ناس ما تنداس.

للبدوي يتغرب عن أهله ويتركهم.

- طب الجرة على ثمنها تطلع البنت مطاليع أمها.

نقولها للبنت إلى أمها قوية وبنتها طالعة ليها.

- خول الشلب (الكلب) ولا تضربو.

للآدمي اللي شخصيته ضعيفة.

- شوفيني يا بنت الخال ثوب أحمر واردانو اطوال.

للزلمة بمحاط بدو وحده وهي ما ودها إياه بتصبب عندها.

- لا تكثر الهف تبنهف ترخص لو كنت غالي

للي بكثر الردة على الناس يروح ويجي.

- من طين بلادك طيّن خدادك.

واحد بروح يجيب بنت غريبة وبتطلع هواته غلط.

- حظ العفنة بالحفنة

اللي زينة وتأخذ واحد زين أو العكس.

- يا شايف الزول يا خايب الرجا.

الإنسان مهور على طريف ويخيب رجا وطنه ما ينجح.

- صار لام سبيت بيت وصار للقرعة قرون.

النسوان ضرايِر، جارات يتهاوشن يعايرن بعضهم.

- في الوجه مرآة وفي القفا مذراة.

للإنسان الفسّاد يحمدك في وجهك بس تطلع يحط البلى فيك.

- مقعد الروس ما يجوّز عروس.

واحد باطل عن العمل ويقول يابا جوزني.

- لا تكثر الهف تنهف ترخص لو كنت غالي.

بلاحق الشوارع يعلق عينه على بنت فلان ولاحقها دائماً.

- إلي ما يخاف الله خاف منه.

للظلاّم إلي ما يخاف ربه.

- الأسي ما بنتسى.

الّي يشوف الذل ما ينساه، الواحد إلى يعمل معي رَدِيَّة ما بنساه.

- ذيل الكلب أعوج مدليه واللي على كاروا ما نجليه.

الإنسان الفالت ذيله أعوج ما بنعدل ضاربوا الجهل براسه.

- لا ترافق المخزي يخزيك ويشيل إلّي فيه ويحطوا فيك.

ترافق متهوم تنتهم فيه والخاين يعلمك الخوف وامشي مع العالي يعلّيك.

- انطلعت دقن ابنك زين دقنك.

يوم تقول لابنك يا عيل غلط ما برد عليك يسوي شوروا.

- كلمة بت ولا عشرة شت.

لما واحد يحكي كلمة بمحلها.

- العيب من أهل العيب مُوعِيْب.

لما واحد متعود على الغلط ما نستغرب منه غلط جديد.

- يا ما تحت السواهي دواهي.

هذا لما النسوان يصير زعل بين بعض.

- قالوا للكذاب احلف قال جاني الفرج.

لما يكون انسان واقع في مشكلة يلزوا يحلف ويحلف.

- قديمك قديمك لو الجديد أغناك.

لما واحد بدوا يتجوز على مرته الأولى.

- إلي أصله كلب ينبح.

الانسان إلّي الناس تسكت وهو معيَّ يسكت.

- عد رجالك ورد الماء.

لما يصير عند واحد زعله ولا هوشة.

- حمارك الأعوج ولا سؤال لئيم.

- العنزة السمرة ما بتقعد غير في الظلمة.

للي شايف حالوا أحسن من الناس.

- الزراعات بقيصن.

الزرع إذا قاص حل عليه الحصاد للي بدو يتجوز قبل ليكبر.

- مَحّابين الدحى.

يعني يقدر ياخذ البيض من عش الصوص للي يمون على كل شيء.

- ما في بلاش غير العمى والطراش.

للي يتمنى أنوا يحصل على كل ما يتمنى من غير تعب.

- إلي مالوا حظ لا يتعب ولا يشقى.

- إلي حظوا قليل من هالدنيا.

- من عتب على الدهر طال عتبه-لا يرضى-.

يقال للذين لا يتقنون أعمالهم أو للذين لا يستطيعون انجاز أعمالهم.

- دجاجة حفرت على راس عفرت.

يقال للذين يحاولون الايقاع بالناس أو للذين يحاولون عرقلة سير الحياة ويعود العمل السيء عليهم بنتائجه الوخيمة.

- عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة.

يقال عادة للذين لا يقنعون بما لديهم–أي للطمعة–.

- كلب الشيخ شيخ!

وهو مثل شعبي يقال للذين يلصقون أنفسهم بأصحاب المناصب للحصول على التشريف أو يقال للذين يشرفون بسبب رفقتهم للأخبار.

- إلّي من إيده الله يزيده.

وهو مثل يقال للذين لا يتعبرون من أخطائهم من أول مرّة.

- للقط تسع أرواح.

وهو مثل يضرب بأصحاب الحظوظ الطيبة دوماً.

- الملدوغ يخاف من جرّة الحبل.

وهو يقال عند ذكر سيرة انسان اصيب بمصيبة ثم عوفى منها وأصبح يخشى عودتها بشكل واضح.

- سبع صنايع والبخت ضايع.

وهو يقال لمن يتقن الكثير من الأعمال ولا يجد فرصة عمل.

- ألف نومة في كَدَر ولا نومة تحت الحجر!.
- وهو يقال للذي يختار طرق طويلة للعمل وآمنة عن غيرها من الطرق القصيرة الخطرة.
- اذا كان الأكل ببلاش معدتك مش ببلاش.
- وهو يقال لكثيري الأكل لإيضاح الأضرار لهم.
- عيش يا قديش ما يجيك الحشيش.

هذا مثل يقال للمتكاسلين عن القيام بأعمالهم.

- جاءت الحزينة تفرح ما لقت لها مطرح.
- إلي ماخذ القرد على ماله بروح المال وبظل القرد على حاله.
- إذا خرجت من دارك قل مقدارك.
- بنت الدار عوراء.
- الكلب النباح ما بعض.

- أذن من طين وإذن من عجين.
- اسمح ولا تصدق.
- سحاد وبتشرَّط.
- عند الشدائد يظهر الاصدقاء.
- الدم يحن.
- ما يجيب الرطل إلا الرطل ووقية.
- اقطع العرق وسيح دمّه.
- المال يجر المال والقمل يجر السيبان.
- قيس قبل تغيص.
- لا تقول فول حتى يصير في المكيول.
- لكل جواد كبوة.
- باكر تسعد.
- يوم ليك ويوم عليك.
- كل ممنوع متبوع.
- كثرة الضحك تذهب الهيبة.
- القناعة كنز لا يفنى.
- المهم من يضحك في النهاية.
- أعمى يقود أعمى.
- مثل الأطرش في الزفة.
- ناقص على القط غير السروال!!.
- خذ الحكمة من أفواه المجانين.
- قال منين يأتيك الهم؟ قال: ببعث الله.
- ربنا بكسر بعير علشان واوية.
- مال الهامل بروح قبل مال الظالم.
- المال السايب يعلم السرقة.

- خير الكلام ما قلَّ ودل.
- تنتون التم على نتن واحد نتن والثاني أنتن.
- مثل إلي ينصب بقرون خالته.
- مركب الضراير سار ومركب السلايف احتار.
- ربنا بخلق وبطلق.
- إلّي ما بِطُول العنب بقول عنه حُصرم.
- إلّي ما بوكل بصل ما بروح ثمُّة.
- إلّيما بِبْخَن الصقر بشويه.
- أكل الرجال على الرجال دينه وأكل الرجال على الولايا صدقة.

الشعر والقصائد الشعبية في القرية:

يعدُّ الشعر الوسيلة المعنونة التي يعبّر الأشخاص من خلالها عن مشاعرهم النفسية والاجتماعية، وهو كذلك يعبّر عن القيم الاجتماعية ويصف طبيعة العلاقات بين الأفراد[٢٤].

وخلال الزيارات الميدانية تم تسجيل بعض القصائد الشعبية في القرية.

- القصيدة الأولى قالها أحد الشباب في جلالة الملك الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، وهي تعبر عن حب هذا الشخص لجلالة الملك. وتعدُّ هذه القصيدة وطنية.

- القصيدة الثانية وهي تعبر عن رثاء وحزن قالها أحد الشباب المتعلمين في القرية في رثاء عديله الذي مات في حادث سير. وتمت زيارة منزل الشاعر صاحب القصيدة محمد عبد الغني القضاة والذي عبر فيها عن حزنه، وقال:"أنها الوسيلة الوحيدة التي أعبر فيها عن موت صديقي وعديلي والذي ذهب ضحية حادث سير". وحضر اللقاء جمع من أهالي القرية، واستخدمت آلة التسجيل أثناء المقابلة.

- القصيدة الثالثة تقال عند خض اللبن. وقد أخذت من سيدة معمرة من عشيرة الحجايا يبلغ عمرها أكثر من٦٥ سنة.

- القصيدة الرابعة، وهي عبارة عن هيجيني وقالها شخص معمر من عشيرة القضاة.

- القصيدة الخامسة، وقدمها شخص من عشيرة الحجايا وهي قصيدة غزلية.

ويمكن القول أن هذه القصائد تعبر عن مواقف اجتماعية مختلفة وتمثل الوسيلة الوحيدة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس. وهنالك عشرات القصائد في القرية تقال في مناسبات عامة مثل الزواج والمرح والوفاة.

(١) قصيدة في جلالة الملك الحسين المعظم

يا راكب اللي من سلايل كحيلان ... حراً ومرباعه ربوعاً عذيه

تلفي على زهرة وطناً بعمان ... تلفي مليك المملكة الأردنية

سلم عليه وسلم القاف يا فلان ... للهاشمي راعي العلوم النقيه

مبروك عيدك يا قمرنا بعمان ... مبروك عيدك سيدي لك تحية

كل عام وانت بخير في كل الأزمان ... تفداك كل الناس من كل نيه

يا وارث الثورة ويا نور الأوطان ... أرواحنا تفداك حتى المنيه

وأنتم يلي قمتم على الضد والفرسان ... وهذي عادات جدودكم الأولية

أول رصاصة يوم عشرة حزيران ... يوم الشريف اطلق رصاصة قوية

روت معانيها وكان الذي كان ... وجدك عظيم وذي اخياره وفيه

وتأسست امارة شرق عمان ... بقيادة الأشراف والهاشمية

تكفي لها يا حسين يا نسل عدنان ... بيوم الكرامة وذي اعطورك شجيه

حررتها من الشرق لسهول حوران ... وقهرت فيها قوة الجاهلية

والراية الخضراء مرفوعة الشان ... حفظتها يا حسين من كل سيّة

يحفظك ربي من تصادق الأزمان ... سبحان علام الأسرار الخفية

نورك علينا هل والنور ما بان ... انته قمرنا يا شبيه الثريه

يا صولجان المجد يا صقر بسمان ... انته ولي الأمر وحنا الرعية

اصفى من الكوثر أيضاً والألباب ... واعطف من الوالد بيدي سخيه

وأطيب من الكافور مسكاً وريحان ... وأجمل من النسرين من كل فيه

وأعذب من الميه على قلب ظميان ... مثل النسيم بكل ليلة نديه

يا روضة تزهو بها كل الألوان ... صدرك وسيع ودوم نفسك رضية

بعطفك ولطفل صرت تاجاً ونيشان ... ترقي الرفيع اللي عظيماً نسيمه

وفي عيدكم يا سيدي اجبال عمان ... لبست ثياباً ناصعات نقية

يـــا فرحـــة الأردن والقلـــبُ طربـــان ربوعها خضراء بهـــا كـــل فيـــه
واختمها حلـــوا علـــى نـــور الألـــوان محمـــد نبينـــا خـــاتم المرســـليه

(٢) قصيدة رثاء، قالها الشاعر محمد عبدالغني القضاة

تفطـــــر قلبـــــي وجـــــسمي ارتعـــد وغارت بصدري صـنوف الكمــد
لخطـــــب لتعجـــــز عنـــــه الجبــــال أتـــاني صـــداه مـــساء الأحـــد
بكيتـــــك دمعـــــاً كـــــزخ الـــسحاب تـــساقط ســيلاً كحـــب البـــرد
فأنـــــت الـــــشقيق وأنـــــت الرفيـــق وأنـــت الـــصديق وأنـــت الـــسند
وأنـــــت التقـــــي وأنـــــت النقـــــي وأنـــت الـــشجاع وأنـــت الفهـــد
فخـــارت قـــواي فـــلا بـــي عـــزم ولا بـــي صـــبر ولا بـــي جلـــد
ســـنوات عجـــاف رمتنـــي بلاهـــا وقـــد لحقتهـــا ســـنوات أشـــد
فـــإن كـــان يطويـــك قبـــر فـــسيح فَلَحْـــدي تمـــزَّق منـــه الجـــسد
فأنـــــت أمـــــام إلـــــه عظـــــيم رؤوف رحـــيم فـــردٌ صـــمد
وأيـــــن امـــــام طغـــــاة بغـــــاة فـــذالك خـــصيم وذلـــك الألـــد
أبـــا خالـــد كنـــت رمـــز النقـــاء ورمـــز الحيـــاء، نعـــم العـــضد
فـــذكرك بـــين الخلائـــق يـــسري كعطـــر تفـــاوح منـــه عـــود نـــد
ملكـــت الفـــضائل مـــن كـــل صـــوب وأســـمى المعـــاني بـــدون عـــدد
فللـــــه أنـــــت تقـــــي خـــــضوع وما خـــاب عنيـــد عليـــه اعتمـــد
فعشت كريماً ومت شهيداً بكتك الأرامـــل واخلفـــت خيـــراً فـــنعم الولـــد
إذا كنـــــــــت تـــــــــسعى لتحنـــــوا عليهـــــا تقـــيم الأود
ويبكـــــي اليتـــــامى فكـــــم يتـــــيم بعطفـــك مـــا حـــسَّ فـــيمن فقـــد
إذ كنـــــت يومـــــاً إذ كنـــــت دومـــــاً تقـــيم الـــصواب بـــأقوى العمـــد
وتبكـــي المواقـــف إذا كنـــت يومـــاً تـــرد مقـــالاً علـــى مـــن حـــسد
لقـــد كنـــت بـــدراً تزيـــل الظـــلام وتهدي المظـل طريـق الـشرد
فلـــو كـــان يفـــديك مـــالي بـــذلت ولو كنـت تُفـدي فـدالك الولـد

زرعت فأحسنت غرس البذار ... فطوبى لمثلك عما حصد
أخالد تلك سنون الحياة ... فبعد السعادة يأتي النكد
وتلك الحياة وأنت تراها ... فليس يخلد فيها أحد
ولا بد للعيش من طعم حرٍ ... ولا بد للعين يأتي الرمد
أتاك مصاب فصبر جميل ... لقد صدق الله فيما وعد
رسول الخلائق عاش يتيما ... لأم وأبٍ وعم وجد
حياتك تمضي وتعدو خطاها ... مزاح تعدى وقد جاء جد
فواصل مسيرك من دون عجز ... فمن جد صوب المعالي جد
وشمَّر وشد الازار بعزم ... أما أنت للأخت خير السند
وكن أنت للأم خير غذاء ... وكن أنت للأخت خير سند
وكن للإله خضوعٌ مطيع ... وعاهد أباك وصون العهد
وصادق من الناس كل شريف ... وخالف بدربك كل وغد

(٣) عند خض اللبن

نزلنا شرق ويا عشت ومرق ... يا بير المبحيحج في عيني ما اقربوا
طلق يا محمد وبخيلي لشربوا ... عربي بلدنا يا بنات صياحي
يا خضره يا دلال البنا كفيها ... ويش لك بالدلال من بعد راعيها
يا نجوم الليل يا المتعللات ... ربعي يا غنم يالي درى الصيري
يا هزاع قمر ويضوي على الديرة ... يما علليني عليني طارق
يما عالليني ولعي الفينار ... لا يا شومر يلي بجنب الوادي
يما علليني وليني فراشي ... يما علليني وعليلي الوسايد
سيارة هزاع ويا عجلها حديد ... واحم يا حابس وحكمك شديد
طلعت أنا مرقبا عالي ... من ضيقة الصدر يا مفضي
ربي بالني بعريض الاكتاف ... والزين ما دبروا حظي
حطيت راسي على تختي ... قلبي يهوى جيزة وحموم

(٤) هجين

وأمسي الضحى شفت نشيمة ... بيضا وتردد جدايلها
يا قرونها بالوزن رطلين ... والغُرَّه توفي على الميه
يا حارس الشيك وافتح ليّ ... ومن الكرك جبت زوّاره
قطعت أنا حدود سوريا ... وأنا على الولف دوّاره
وأوسلت أنا من الشرق مكتوب ... يا بنت والقلب رايدك
دفعت أنا من الذهب مليون ... عيّو عليك قرايبك
يا بنت كنت مع الزملة ... تقول بكره حروبليه
يا خدّها كهربة عمان ... يضوي على حدود سوريا
وأشرافت أنا ميذنة عمان ... وأشوف العسكر طوابير
وأشوف فلان مع الفرسان ... ومغير الحال يشكيلي

(٥) قصيدة غزل قالها الشاعر عايد صبيح

الله من عين لذة النوم تجفاه ... أو قلبي من المعلوق يلويه لاوي
روابع قامت تحده على أقصاه ... وفرفرة من تولاه كاوي
ما مضى يا خدك صبر قويناه ... واليوم أنا يا عايد ماني ابقاوي
أجاوب اللي تالي الليل بعداه ... يجذب عليه من الخلا كل كماوي
شاف العشى بعصير من راس هبداه ... مادية جوعه وفخته بالحراوي
جرح الهوى يا خوك بالقلب مبراه ... شربي من الدخان هو القهاوي
فرب لنا يمحان والكور وكساه ... أوجود قواميش الخلا بالعزوي
وليندق اللي يعجبك زين مراه ... هي العصى يا خولك تراني ناوي
ابركيه يا خوك لزين مسراه ... ما هو علينا يا فتى بالكراوي
البا تنهض والجديله نهضناه ... واقفي كما السرحان ممسي خلالوي
هذا هواي أو غابة القلب ومناه ... موط الجديدة مع خطاة السهاوي
النهزم مع صحصح ما بدأ أقصاه ... كنه أعقاب لسود الريش طاوي

ابفحر اللي فيه عيني اشقاه … بنيا من اكبار البلاوي

الصاحب اللي لو تخيرت منساه … مهما عزوني ما تفيد العزاوي

أبو ثمانٍ مزهراتٍ شفاياه … بالليلة اللي ما بها بدر ضاوي

عوده كما الريحان متوفر ماه … لهزه النسناس عصراً وضحاوي

والعنق عنق القايدة حين تتلاه … صير الخلا مع كل ريع قضاوي

والعين عين اللي على الجول ماذاه … وفرا لمن ايضيع طيره سلاوي

أبو جديل فوق المتان غذاه … بحسن شمطري لترايب امساوي

لذكرته يا فتى الجود قلت آه … ونت كسير الساق عظمه شفاوي

بالمعركة خلوه ريعه ربيضماه … في غير ما قع من غير ذيب أو واوي

عطب صوابه ما يتحرك ولا جاه … ابن حمولة يفشني بالعزاوي

هود عليه الطير أو يشر ابيمناه … واقع ابطرفه للدلي برجاوي

على الذي في مشقة القلب ميساه … مالي نحيلة وهو والطبيب المداوي

لولاي اتم العامي القصر ورقاه … وجر صوتٍ بين الأضلاع حاوي

لقض جيب الثوب وامشي ابلياه … وخدب هل العادات وهل النخاوي

وما صحيلي مزعل العين ورضاه … ولا على ما كنت وابغى شفاوي

الهوامش

(١) فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٨، ص١٢١.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.

(٣) علي الزغل، التغيّر في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن: دراسة ميدانية، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨٩، ص١٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٠-٣٠.

(٥) عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، ص٥٠.

(٦) فوزية ذياب، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،١٩٨٠، ص٢٤٥.

(٧) المرجع السابق، ص٤٥.

(٨) حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١، ص٢٠٧.

(٩) المصدر السابق، ص٢٠٢.

(10) Edwin Prothro and Diab Lutfinon Diab. Changing Family patterns in the Arab East. American University of Beirut, 1974, pp. 29-33.

(11) Emile Durkheim, The Elmentary Forms of Religious Life. N. Y. The Free Press, 1964, pp. 337-365.

(١٢) أحمد العموش وعبدالعزيز محمود، كثربا: قرية أردنية، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٤، ص١٢٣.

(١٣) حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، ص٢٥٨-٢٦٦.

(١٤) أحمد العموش وعبدالعزيز محمود، كثربا: قرية اردنية ص١٢٣.

(١٥) محمد رياض، الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، بيروت، دار النهضة، ص٢٥٨.

(١٦) عاطف وصفي، الانثربوبوجيا الثقافية: ص٢٠٤.

(١٧) محمد رياض، الإنسان، مرجع سابق، ص٥٢٩.

(١٨) عبد علي سليمان عبدالله، المجتمع الريفي في العراق، منشورات الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٩، ص٦٥.

(١٩) أحمد العموش وعبدالعزيز محمود، كثربا: قرية أردنية، ص١١٥.

(٢٠) أحمد الربايعة، المجتمع البدوي الأردني في ضوء دراسة انثروبولوجية، دائرة الثقافة، عمان، ١٩٧٤، ص٢٥٩.

(٢١) أحمد العموش وعبد العزيز محمود، كثربا: قرية اردنية، ص١٢٤.

(٢٢) أحمد الربايعة، المجتمع البدوي الأردني في ضوء دراسة انثربولوجية، مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٢٣) أحمد العموش وعبد العزيز محمود، كثربا، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٢٤) المرجع السابق نفسه، ص١٢٩.



الفصل السادس

النسق السياسي*

* أعد هذا الفصل الدكتور أحمد العموش.



مقدمة:

يرى الباحثون أن التنظيم السياسي والسياسة المحلية للقرية العربية تمحورت حول منصب المختار من منطقة الهلال الخصيب والعمدة في مصر والسودان والأمين في شمال أفريقيا وهم يمثلون عين الحكومة وهمزة الوصل بين القرية ومركز الحكم والسلطة(١). ويرى بركات أن هذا المنصب في القرية العربية يكون وراثياً ويميل إلى تمثيل الحكومة أكثر من الشعب(٢). ونتيجة التغير الاجتماعي تراجعت اهمية الشيخ ومكانته في القرية العربية. وفي الوقت الحاضر بدأ التنظيم السياسي يتمحور إلى حد بعيد حول الأحزاب السياسية والعقائدية التي أخذت تجد نفسها تربة خصبة إلى حد بعيد حول الأحزاب السياسية العقائدية التي أخذت تجد نفسها تربة خصبة في القرى وتشكل تحدياً للوجهاء والعائلات النافذة(٣).

وفي دراسة أعدها ريتشارد انطون حول السياسة المحلية للقرية الأردنية ذهب إلى أن التنظيم السياسي للقرية تمحور حول منصب المختار الذي يمثل وجهة نظر الدولة ويدافع عن مصالحها مثل جمع الضرائب والتبليغ عن كل صغيرة وكبيرة لها(٤).

ويرى جوبسر أن المختار لعب دوراً مهماً وبارزاً في السياسة المحلية للقرية، ثم نجد أن تدخل الدولة المباشر اضعف أهمية المختار في منطقة الكرك وذلك عن طريق ظهور المجالس البلدية والقروية(٥).

وحلل العموش وعبدالعزيز في دراستهم حول قرية كثربا السياسة المحلية للقرية الأردنية(٦) ووجد الباحثان انه بتدخل الدولة المباشر ضعف مكانة المختار وتراجعت شرعيته. ويعُد إنشاء المجلس البلدي بديلاً لوظيفة المختار. ومع بداية الثمانينات تم إنشاء المجلس البلدي في قرية كثربا وبدأت شرعية المختار بالتلاشي وانحصرت مهامه بالتحقيق على معاملات السفر والأوراق الثبوتية.

ويمكن القول أن السياسة المحلية للقرية الأردنية تتمحور اليوم حول المجلس القروي أو البلدي والذي يشكل تحدياً لشرعية الشيخ والمختار في القرية الأردنية. ودلت المقابلات والملاحظات الشخصية على أن السياسة المحلية في قرية محي تتمركز حول المكانات الاجتماعية والسياسية التالية:

- الشيخ
- المختار
- المجلس القروي
- إمام المسجد

الشيخ

تنقسم القرية كما اسلفنا سابقاً إلى عشيرتين هما القضاة يتحالف معها عشيرة البشابشة (القدامين) والحجايا يتحالف معها كذلك قسم من البشابشة (البدو). ودلت المقابلات الشخصية والملاحظات المبدئية على ان مفهموم (الشيخة) والشيخ يلعب دوراً بارزاً ومهماً عند عشيرة الحجايا. ويعُد الشيخ غيث بن هداية شيخ عشيرة الحجايا في بداية عهد الامارة وعقب ابنه الشيخ عودة غيث بن هداية وهو رجل كبير في السن يتجاوز السبعين عاماً وقد تزوج ثماني زوجات كانت اخرهن من عشيرة القضاة. ويعد الشيخ عودة منقع دم ويتقاضى الناس اصحاب القضايا عنده في مشاكل الدم، والعرض وهذا ما يميزه عن شيخ القضاة (عمر) والذي يعد فقط وجهاً اجتماعياً عند أقاربه أمام أجهزة الدولة. ويعد الشيخ عودة من شيوخ العشائر الأردنية بالإضافة إلى كونه قاضياُ عشائرياً ويحتل مكانة اجتماعية وسياسية في القرية وخارجها.

ودلت المقابلات الشخصية على أن عشيرة الحجايا ما زالت تعد الشيخ عودة الممثل الأول لهم في المناسبات العامة والخاصة. في حين دلت المقابلات الشخصية على أن عشيرة القضاة ترى أن الشيخ بالنسبة لهم شخص عادي وهنالك قوى اجتماعية مهمة مثل رئيس المجلس القروي تقوم بدوره.

ويعد الشيخ عمر القضاة شيخ عشيرة القضاة ويقول أن الشيخة ورائية حيث كان جده سالم شيخ العشيرة في نهاية العهد العثماني وبداية عهد الإمارة ثم انتقلت الشيخه إلى والده سلمان وفي عام ١٩٧٨ انتقلت الشيخة إليه. ويقول الشيخ عمر القضاة "الشيخ اليوم مثل أي انسان عادي ولكن يبقى رمزاً للعشيرة اتجاه العشائر الأخرى" ويرى الشيخ عمر أن المجالس القروية حلت كثيراً من مشاكل الناس ولا سيما المياه والكهرباء والطرق والمدارس. ويرى الشيخ عمر ما يميزه عن الشيخ عودة الهدايات

"الشيخ عودة فهي دم" بمعنى أنه قاضٍ ويحتكم فيه الناس وتعترف به العشائر والدولة رسمياً وسياسياً.

ويمكن القول أن مكانة الشيخ الاجتماعية وشرعيته ما زالت قوية ولم تتعرض إلى خلخلة نتيجة للتغيرات الاجتماعية التي أصابت القرية في حين تراجعت أهمية الشيخ ومكانته عند القضاة. وقد ترأس عمر المجلس القروي بمعنى أنه احتل مكانة اجتماعية جديدة.

المختار:

يلعب المختار دوراً مهماً عند عشيرة القضاة فهو يمثل العشيرة في المناسبات العامة والخاصة في حين نجد هذا الدور غير مهم عند عشيرة الحجايا التي تعد الشيخ الممثل الأول لها في المناسبات.

وتعد وظيفة المختار في القرية غير وراثية حيث يعين من قبل جماعته وأبناء عشيرته في حين أن منصب الشيخ وراثي كما أسلفنا في حديثنا عن الشيخ عودة بن هداية.

وخلال الملاحظات والمقابلات الشخصية تبين أن القضاة ينقسمون إلى اربع أفخاذ وتربطهم رابطة دموية وهم العيسوية ويتم اختيار المختار بأن يدعى الفخذ للاجتماع ويطرح الرأي لاختيار شخص لائق ليكون مختاراً وممثلاً للفخذ في القرية. وعادة يختار عضوين مُمَثَّلَيْن لهذا الفخذ. ويجتمع المختار مع شيخ العشيرة في الأمور التي تهم شؤون الفخذ. وبينت المقابلات الشخصية مع أفخاذ العشيرة أسماء المخاتير لعشيرة القضاة.

أ. المضاعين (عيال مضعان):

ولهم مختار واحد وهو عبدالمهدي سلامة وتتكون المضاعين من السوالمة والعيساوية والغرابين. والشيخ عمر القضاة هو من المضاعين (عيال مضعان).

ب. اليعاقب (عيال يعقوب) ولهم مختاران:

١. الصوالحة عيال صالح ومختارهم عطا سلامة.

٢. المزاعلة عيال مزعل ومختارهم علي سالم مزعل.

ج. الخطباء (عيال الخطيب) ومختارهم عيسى فالح القضاة.

د. الخيل (عيال حمد) ومختارهم صالح عطاالله سالم.

وينقسم الحجايا إلى قسمين هم الهدايات والسراحين. ودلت المقابلات على أنه لا يوجد للهدايات مختار فالشيخ عودة بن غيث هو شيخهم-ومختارهم كما يقولون- في حين يعد خلف سليمان مرعي السراحين مختار السراحين وهو المختار الوحيد في عشيرة الحجايا. وأشارت المقابلات مع عشيرة الحجايا أن المختار لا يعني لهم شيئاً ومهمته فقط الأخبار والولادات والوفيات.

وبالنسبة لعشيرة البشابشة فأن مختارهم هو فلاح البشابشة ويمثلهم بشكل عام. ودلت المقابلات الشخصية مع المخاتير السالفة أسماؤهم على أن مهامهم تنحصر في الأمور التالية:

- تسجيل أسماء العشيرة من حيث عدد الأسر والذكور والإناث.
- إبداء الرأي والمشورة وخصوصاً في قبل متصرف لواء المزار أو المحافظ.
- توقيع الوثائق الخاصة بالعشيرة، مثل وثائق جواز السفر وشهادات الولادة والإخبار عن الوفيات.

ويرى مخاتير عشيرة القضاة أن وظيفة المختار تراجعت عن السابق، وانحصرت مهامه في أمور توقيع الوثائق الحكومية وأشارت المقابلات الى أن رئيس المجلس القروي يحتل مكانة أعلى من المختار. ودلت المقابلات مع الأهالي ايضاً على أنه لا يوجد منافسة على وظيفة المختار في الوقت الحالي.

رئيس المجلس القروي:

بإنشاء المجلس القروي في البلدة تراجعت أهمية الشيخ والمختار كما ذكرنا. وانحصرت مهام المختار بالتوقيع على الوثائق الرسمية والاخبار عن الولادات والأسر المحتاجة، والمثول امام المتصرف أو المحافظ عند وقوع شجار او نزاع بين أهالي القرية وخصوصاً النزاع على الأراضي.

تم تأسيس أول مجلس قروي في بلدة محي عام ١٩٧٣* وقبل ذلك كانت القرية تخضع لنظام التحسين القروي واجتمعت عشائر القضاة والحجايا والبشابشة لاختيار ممثلين وأعضاء من هذه العشائر. واتفقت هذه االعشائر على اختيار سبعة اعضاء من عشيرة القضاة وعضوين من عشيرة البشابشة وعضوين من عشيرة الحجايا. وكانت على النحو التالي:

- كمال سلمان القضاة- رئيس المجلس القروي (أول رئيس مجلس قروي في محي). وهو من فخذ السوالمة-القضاة.

(عشيرة القضاة) الرئيس وستة أعضاء

- احمد سالم القضاة-عضو وهو من فخذ المزاعلة-القضاة.
- سلامة عبدالله -عضو وهو من فخذ عيال القضاة.
- موسى عودة فلاح- عضو وهو من الخطباء-القضاة.
- محمد محمد خيلف-عضو وهو من الغرابين.
- زاهي عبدالله-عضو وهو من فخذ أبو الخيل -القضاة.

(عشيرة البشابشة) عضو واحد

- محمد فلاح البشابشة- عضو وهو مختار عشيرة البشابشة.

(عشيرة الحجايا) عضو

- سلمان مرعي السراحين-عضو
- سالم محمد الشمادات الحجايا-عضو.

وامتدت هذه التشكيلة حتى عام ١٩٨٣. وأشارت المقابلات إلى أنه حدثت بعض التغيرات، إذ توفي سلامة عبدالله ووضع ابنه عبدالمهدي عضواً أصبح يمثل عيال عيسى في المجلس القروي. وتم استبدال عضو البشابشة محمد فلاح البشابشة بعضو آخر هو نايل محمد البشابشة.

---

* تحول المجلس القروي إلى مجلس بلدي في عام ١٩٩٥.

وكذلك استقال العضو زاهي عبدالله أبو الخيل واحتل مكانة نايل عُوتلَّـه القـضاة وهو من الفخذ نفسه.

وأشارت المقابلات إلى أنه حدث تنافس خلال تلك الفترة على العضوية لذلك حدث استبدال أعضاء بآخرين من نفس الفخذ. واحتل الأعضاء في الدورة الأولـى مكانـة مرموقة في القرية.

ودلت المقابلات على أنه لم تحدث مشاكل تذكر خلال الدورة الأولى بين عـشيرة القضاة والحجايا على رئاسة المجلس أو في أدارة الشؤون الداخلية للقرية. واشـارت المقابلات إلى أن التنافس يحدث فقد داخل الفخذ على تمثيل الفخذ في المجلس القروي وكان هذا التنافس محدوداً وهامشياً.

وفي هذه الفترة كان ينظر إلى المجلس القروي على أنه السلطة الأولى في القريـة والمرجع المهم فيها، وفي عام ١٩٨٣ تشكل المجلس ثانية بناء على رغبـة الأهـالي عامة (العشائر الثلاث). وامتدت الدورة الثانية من عام ١٩٨٣-١٩٨٦.

وكانت على النحو التالي:

الدورة الثانية ١٩٨٣-١٩٨٦

(عشيرة القضاة) الرئيس وخمسة أعضاء
- رئيس المجلس القروي-كمال سلمان السوالمة-عشيرة القضاة.
- نائب الرئيس-علس السم المزاعلة-عشيرة القضاة.
- أمين الصندوق-اسماعيل عبدالله الصوالحة-عشيرة القضاة.
- عضو- عبد المهدي سلامة (عيال عيسى)-عشيرة القضاة.
- عضو- احمد زاهي عبدالله أبو الخيل- عشيرة القضاة.
- عضو- رجا محمد خليف الغرابين- عشيرة القضاة.

(عشيرة البشابشة) عضو واحد
- نايل محمد فارس البشابشة

(عشيرة الحجايا) عضوان

-عضو- سليمان دغيم الهدايات- عشيرة الحجايا.

-عضو- خلف سلمان السراحين- عشيرة الحجايا

وخلال هذه الدورة لم تحدث استقالات في صفوف الأعضاء أو مشاكل رئاسة المجلس القروي. واشارت المقابلات مع الأهالي وأعضاء المجلس القروي إلى أن أهمية المجلس القروي ترسخت في أذهان الناس وأصبح المجلس القروي يمثل أهالي القرية أمام المتصرف والمحافظ بدلاً من المختار أو الشيخ.

وفي عام ١٩٨٦ تشكل المجلس للمرة الثالثة. وأشارت المقابلات إلى أنه مع بداية الدورة الثالثة بدأت المنافسة بين عشيرة القضاة والحجايا على رئاسة المجلس القروي وكذلك رغبة الحجايا بزيادة عدد أعضائهم إلى أربعة. والمنافسة على تقديم الخدمات داخل القرية. ودلت المقابلات كذلك على أن الحجايا والبشابشة شكلوا حلفاً ضد القضاة وطالبوا بأن يكون رئيس المجلس القروي من أحد هذه العشائر والتي حرمت في السنين الماضية من رئاسة المجلس أو نيابته. ويقول احد المبحوثين من الحجايا "طالبنا بأن يكون رئيس المجلس القروي يحجوي (نسبة إلى الحجايا) أو بشبشي (نسبة إلى عشيرة البشابشة) ورفضت عشيرة القضاة مطلب عشيرتي الحجايا والبشابشة بحجة أن عددهم يزيد على عدد العشيرتين بالاضافة إلى أن عشيرة القضاة تدفع ضرائب ومسقفات أكثر من الحجايا والقضاة. واحتدم النزاع على رئاسة المجلس فترة من الوقت ولم يتوصل الطرفان إلى نتيجة حاسمة. واشتكت عشيرة الحجايا الأمر إلى متصرف المزار وكان المتصرف يدعى يوسف القضاة وذلك في عام ١٩٨٦.

واحضر المتصرف الأطراف الثلاثة واحتكم إلى عدد الأشخاص الذين يدفعون ضرائب ومسقفات من هذه الأطراف وتبين أن عشيرة القضاة تدفع أكثر من غيرها من عشائر محي وأن عدد القضاة البالغين والمسجلين في المجلس القروي يفوق عدد عشيرتي الحجايا والبشابشة. وهنا طالب القضاة بأن ينزل عدد أعضاء الحجايا إلى عضو واحد بدل عضوين كونهم لا يستحقون الا عضواً واحداً بناء على ما يدفعوه من ضرائب العدد المسجل في المجلس القروي.

وتدخل المتصرف وحاول إصلاح الوضع بين العشائر الثلاث وطلب من عشيرة القضاة أن يعنوا دحيلان غيث بن الهدايات وهو شقيق عودة غيث الهدايات نائباً للرئيس ولكن عشيرة القضاة رفضت طرح المتصرف وطالبت بإبقاء عضوين فقد من الحجايا وعضو من عشيرة البشابشة كما كان في السابق. وسوي الأمر بين هذه العشائر بأن تعود الأمور كما كانت في السابق. وتشكلت الدورة الثالثة على النحو التالي:

الدورة الثالثة ١٩٨٦-١٩٩٣

- رئيس المجلس القروي-عمر محمد سلمان السوالمة-القضاة وهو مرشح عشيرة القضاة.
- نائب الرئيس – لم يعين بسبب الخلاف بين الحجايا والقضاة.
- عضو- علي عبدالله- عضو الصوالحة-القضاة.
- عضو عدنان عيسى- عضو الخطبا- القضاة.
- عضو -احمد زاهي- عضو يمثل دار أبو الخيل-القضاة.
- عضو - عزيز علي عودة- عضو يمثل عيال عيسى.
- عضو-رجا محمد خليف- عضو وامين صندوق ويمثل عيال الغرابين.
- عضو دميلان غيث الهدايا- عضو يمثل عشيرة الحجايا.
- عضو خلف سلمان السراحين- عضو يمثل عشيرة الحجايا
- عضو-نايل محمد فارس البشابشة-يمثل عشيرة البشابشة.

وخلال هذه الدورة تم تعيين سكرتير مجلس وهو متفرغ للعمل من عشيرة القضاة واسمه محمد فارس مزعل القضاة (من عيال مزعل). ودلت المقابلة مع رئيس المجلس القروي على أنه لا يوجد جابي لجمع الضرائب وتركت لكل عضو بأن يجمع الضرائب من فخذه وخمسته.

وأشارت المقابلات إلى انه وبدخول الشيخ عمر القضاة شيخ عشيرة القضاة ازدادت أهمية المجلس والأعضاء ومكانتهم وتراجعت كلياً مكانة المختار ومركزه

وأصبح التنافس بين الأفخاذ على عضوية المجلس.

واستمرت هذه الدورة حتى ١٩٩٣/٢/١، وتم تشكيل مجلس قروي جديد. وأشارت المقابلات بأنه لم تحدث أية نزاعات على رئاسة المجلس بين القضاة والحجايا وانحصر التنافس داخل عشيرة القضاة على رئاسة المجلس وعضوية الأفخاذ الممثلة لعشيرة القضاة.

ونظراً لازدياد أهمية المجلس القروي ازداد التنافس بين أعضاء عشيرة القضاة المتعلمين ولا سيما أساتذة المدارس على دخول المجلس. وتنافس معلمان احدهم من عشيرة المزاعلة معلم من قرية محي، والآخر محمد سالم خلف من عشيرة السوالمة على منصب نائب الرئيس. وقد شبَّ النزاع بينهم غير أن الأمر حسم من باقي الأعضاء وتم التوصل إلى عدم تعيين نائب للرئيس خوفاً من استمرار النزاع بين الاعضاء.

وتم تشكيل الدورة الرابعة على النحو التالي:

الدورة الرابعة ١٩٩٣وحتى الآن(١٩٩٤/٦/١)

(عشيرة القضاة)

- نائب المجلس القروي-إسماعيل عبدالله سلامة القضاة (الصوالحة).
- نائب رئيس المجلس -لم يعين نتيجة الخلاف والتنافس بين عضو المزاعلة وعضو السوالمة وهما معلمان في مدرسة محي.
- عضو-محمد سالم خلف من عشيرة السوالمة-ومعلم مدرسة.
- عضو- عواد مدالله المزاعلة-القضاة.
- عضو- رجا محمد الغرابين-القضاة.
- عضو- احمد سلمان جعفر-عضو من الخطبا-القضاة.
- عضو- عبدالله فالح- عضو عيال عيسى- القضاة.

(عشيرة البشابشة)

- عضو- نايل محمد فارس البشابشة- عضو عشيرة القضاة.

(عشيرة الحجايا)

- عضو- نايل عودة الهدايات- ممثل عشيرة الحجايا وهو ابن الشيخ عودة الهدايات.
- عضو خلف سلمان السراحين ممثل عشيرة الحجايا.

ويحتل رئيس المجلس القروي اليوم مكانة اجتماعية، ويتدخل بالشؤون المحلية للقرية ويُقدم الخدمات العامة مثل إنشاء المدارس والطرق وتوفير البنية التحتية للقرية.

ويلاحظ أن عشيرة القضاة تسيطر على رئاسة المجلس منذ تأسيسه وهي ممثلة (بـ٦) ستة أعضاء بالإضافة إلى الكاتب وهو متفرغ ويتقاضى راتباً شهرياً.

إمام المسجد:

يوجد في القرية مسجد قديم بني في بداية القرن وآخر بني قبل عقدين من الزمن. ويعين إمام المسجد من وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية ويتبع دائرة أوقاف الكرك. وتنحصر وظيفته في الوعظ والإرشاد وتقديم الخطب وحضور مراسم عقد الزواج.

ودلت المقابلات الشخصية على أن إمام المسجد في القرية لا يلعب أي دور في الحياة اليومية ولا يتدخل في الشؤون الداخلية والعامة في القرية، ويعمل في المسجد الإمام، واسمه ماجد عيسى القضاة، وخادمان هما جمال سليمان القضاة وعيسى عبدالحميد القضاة. ودلت الملاحظات على أن معظم المصلين هم كبار السن من عشيرة القضاة.

وخلاصة القول فإن تدخل الدولة بمؤسساتها المختلفة مثل المدارس وتأسيس المجلس القروي قلل من أهمية السلطة التقليدية في قرية محي وأصبح التنافس كما شاهدنا بين العشائر الثلاث على رئاسة المجلس وعضويته.

الهوامش

(١) انظر: حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مرجع سابق ذكره، ص٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص٨٣.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٨٣.

(٤) انظر: Richard Antoun Low Key Politics Locaal Level Leadership in the Middle East. Albany State University of New York press, 1979.

(٥) انظـــر: Peter Gubser and Change in Al-karak-Jordan. London Oxford University press, 1973. p. 83.

(٦) أحمد العموش وعبدالعزيز محمود، كثربا قرية أردنية، مرجع ســـابق ذكـــره، ص١٥٥.



الفصل السابع

الحركات السكانية الكبرى في محي*

---

* أعد هذا الفصل فرانسواز دبلر.



الحركات السكانية الكبرى في محي

(١٩٨١-١٩٩٣)

مثلما لاحظ ذلك ج. فوليرس عام ١٩٤٦[١] فإن سكان الشرق الأوسط هم أساساً قرويون وليسوا مدنيين أو بدو. ويضيف هذا المؤلف أن هؤلاء السكان ولكونهم مهددين دائماً بشبح الفقر، فإنهم يتسمون بطبيعة محافظة واستقرار في تركيبتهم الاجتماعية والسياسية الموجهة بشكل كامل نحو البقاء، وبالكاد أدى تدني المستوى الصحي إلى توازن في معدلات الزواج والإخصاب مع معدلات الوفيات، وقد سادت مؤسسة الأسرة على المستويين الاجتماعي والسياسي[٢]: فالقرى استمرت في العيش في عزلة على شكل "أرض حرام سياسية"[٣] حيث كانت الدولة تشكل "شيئاً بعيداً للغاية وخطيراً (...) لا يقدم سوى الحد الأدنى من الطاعة المطلقة والرسمية (...)، أما القلب فكان يأخذ منحى آخر، وكذلك العقل"[٤]. وعلى العكس، يذكر ج. بيرك[٥] بادئ ذي بدء سرعة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي اعتمرت الريف في عصر المكننة، وكذلك قدر تأقلم الفلاحين المصريين.

في الأردن وفي مطلع التسعينات كان سكان الريف يشكلون فقط ٣٦% من مجموع السكان[٦]، أما محي، ذلك التجمع السكاني القريب من الكرك والذي تشمله هذه الدراسة، فهي عبارة عن القرية، هذا إذا ما التزمنا بالتعريف الرسمي، لأن عدد السكان فيها لا يتجاوز الخمسة آلاف نسمة، ومن خلال دراسة الحركات السكانية الكبرى في هذه القرية بين عامي ١٩٨١-١٩٩٣، والتي سنبدأ بالحديث عن حجمها وآليتها، سنرى إن القرويين يبدون وقد تأثروا بسرعة كبيرة بالأحداث ذات الطابع المحلي، وكذلك الوطني. ولذلك، فإن نتائجنا ستكون متوافقة مع نتائج ج. بيرك أكثر من نتائج ج.فوليرس.

لكن هذا النوع من العمل، إلا وهو الاستبيان الميداني، لا يشكل طريقة عمل مرضية لأنه لا يمكننا سوى من العمل على عينة من السكان، ومن جهة أخرى، من

الصعب الحصول من خلال الاستبيان على التاريخ الدقيق لكافة الوقائع السكانية التي أثرت على الأسرة خلال الاثنى عشر عاماً مدار البحث، كما أن الوثائق التي يمكن أن تكون بحوزة الأسرة (دفتر العائلة على سبيل المثال) لا تحتفظ بآثار هذه الأحداث كالوفيات وزواج الأبناء، خاصة إذا كانت هذه الوثائق قد تم تجديدها خلال هذه الفترة، وفي محاولة للالتفاف على صعوبة العمل الميداني وتأثيره المحدود، أردنا فحص مصدر معلومات آخر، ألا وهو الأحوال المدنية، والذي يمكن أن يزودنا بمعلومات مدونة بشكل واضح وثابت عن مجمل سكان القرية، وقد ارتأينا أن هذا المصدر يمكن أن يستخدم بشكل جيد، على الأقل خلال المرحلة التحضيرية لبرنامج شامل لدراسة القرية.

تعتبر دائرة الأحوال المدنية حديثة العهد في الأردن حيث يعود تأسيسها إلى عام ١٩٧٧، وفي السابق، كانت الوقائع المتعلقة بهذه الدائرة (من ولادات أو وفيات) يتم الإعلان عنها من قبل المستشفيات والأطباء والقابلات والمخاتير والشخصيات والجوائر المحلية، ليتم بعد ذلك تجميعها في وزارة الصحة، لترسل بعد ذلك إلى دائرة الإحصاءات العامة لتنشر في السجلات الإحصائية السنوية.

كانت واقعات الزواج والطلاق تسجل دائماً لدى المحاكم الشرعية المختصة، فقد كان إعداد عقد الزواج من قبل مرجع شرعي وأمام شهود شرطاً أساسياً لإتمام معاملة الزواج، أن أهمية الوثيقة الرسمية في عقد الزواج في الإسلام يمكن أن تجعلنا نعتقد أن تسجيل واقعات الزواج والطلاق كان أفضل من تسجيل الولادات والوفيات، إلا أن السلطات الشرعية كان بإمكانها التأخر في إرسال نماذج عن هذه العقود دون أن يكون لذلك تأثير كبير، إلا إذا كان للأشخاص المعنيين قضية ما لدى السلطات الحكومية.

هذه الإجراءات لم تكن تسمح إذن بتغطية جيدة للوقائع بسبب تعدد الوسطاء وعدم استنادها إلى مؤسسة متخصصة، فسكان بعض المناطق الريفية، خاصة البعيدة عن المؤسسات التعليمية والصحية والإدارية...، لم تكن تتاح لهم فرصة، أو لم يكونوا ملزمين بالتوجه إلى السلطات الحكومية.

إن إنشاء مؤسسة متخصصة[٧] وشبكة من الموظفين ونظاماً للعقوبات على المتخلفين عن الإعلان عن هذه الواقعات، وكذلك تطور التعليم الابتدائي[٨] وتحسين مظلة الخدمات الصحية في كافة مناطق البلاد، قد ساهمت جميعها في تحسين تسجيل الواقعات[٩] وان كان هذا التسجيل يتم غالباً متأخراً، كما تشير إلى ذلك مثلاً التقديرات المنخفضة للولادات الجديدة لدى السكان، كما أن تسجيل الإناث يتم بشكل أقل من تسجيل الذكور[١٠].

إن المعلومات المتعلقة بالقرى، كقرية محي، والتي تم تحويلها إلى سجلات الأحوال المدنية عام ١٩٨١، لا يتم نشرها في الجداول الإحصائية السنوية[١١]، ولكن يتم تجميعها في مكتب الأحوال المدنية للمزار الجنوبي، وفي دائرة الجوازات والأحوال المدنية في عمان حيث تمكنا من الاطلاع عليها[١٢]. إن النماذج التي استطعنا الحصول عليه بغية دراسة الحركات السكانية هي تلك المتعلقة بإدخال وتنقيح سجلات القرية، وسجلات التسلسل التاريخي الشهري للوقائع الديموغرافية التي حدثت خلال العام الواحد سواء كان الأمر متعلقاً بإدخال أو فصل أفراد عائلات[١٣]، وبذلك، فقد تم حساب عدد السكان لكل شهر في السنة بين عامي ١٩٨١-١٩٩٣، وهي آخر أخذت بالاعتبار في دراستنا، فبعد إجمال تعداد السكان (أسر، رجال، نساء) في بداية الشهر، يشتمل عمود "المدخلات" الأول على عدد الأسر والأفراد (رجال ونساء) الذين تمت إضافتهم إلى السجلات خلال الشهر المنصرم، أو من خلال تغيير محل الإقامة أو من خلال الزواج، وكل واقعة زواج يتم بموجبها إصدار دفتر عائلة، أي تسجيل أسرة جديدة، ويتم تسجيل الزوجين في مكتب أحوال مدنية واحد، تأتي بعد ذلك الأعمدة المخصصة لتسجيل الولادات: الولادات الحديثة (المسجلة ضمن الفترة القانونية)، والولادات المتأخرة (المسجلة خارج إطار الفترة القانونية أو التي حدثت خارج منطقة التسجيل)، ثم الإضافات (الأشخاص غير المسجلين سابقاً[١٤])، ويتم تفصيل كافة هذه الوقائع وفقاً للجنس، وبعد احتساب المجموع المؤقت، يأتي عمود "المخرجات" لسجلات القرية: الأسر، الرجال والنساء الذين تم شطبهم من سجلات القرية بسبب تغير محل الإقامة، والوفيات المسجلة في حينها أو المتأخرة أو تلك التي

حدثت خارج منطقة التسجيل، وكذلك تنقيح السجلات بفعل واقعات الزواج أو الطلاق، وبما أن كل حالة زواج تعني إصدار دفتر عائلة جديد، فإن المتزوجين يجب أن يشطبا من دفاتر العائلة التي كانا مسجلان بهما سابقاً لكي لا يتم احتسابهما مرتين، وفي حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين، يمكن للشخص إعادة تسجيل نفسه في دائرة أخرى، أو إضافة أسمه إلى دفتر عائلة آخر حتى زواجه من جديد.

وقد تبين بأن هذا المصدر كان جيداً للغاية وفعال نسبياً من أجل الدراسة المتوخاة، ولكن علينا أن لا ننسى بأن السكان المسجلين في محي لا يقيمون بالضرورة فيها وذلك لأن التسجيل على قوائم مكان الإقامة الفعلي ليس إجباريا في الأردن. ولكن، في حالة محي، حيث بقيت الهجرات ظاهرة هامشية ولا تؤثر على تركيبة السكان (تركيبة متوازنة وفقاً للجنس وللعمر)، فإن هذا التقيد ليس له أثر يذكر. فالصعوبة الحقيقة في استغلال فعّال لسجلات الأحوال المدنية بغية دراسة قرية ما لا يمكن في الواقع في غياب تسجيل واقعات شاملة كماً وحجماً، وإنما في التسجيل المتأخر لهذه الواقعات خارج سياقها الزمني والاجتماعي والسياسي. ويمكن إجراء تصحيحات في حالة وجود أعداد كبيرة، أما في حالة عدد محدود من السكان، كما هو الحال في محي، فإن التغيرات في الحركة الشهرية أو السنوية للواقعات تظهر لنا تباينات سطحية، وتصبح طرق تصحيح المعلومات المتبعة حول السكان على المستوى الوطني أو الإقليمي تحمل في طياتها مخاطر الوقوع في الخطأ.

وسنستعرض هنا أذن نتائج هذا العمل الذي أجريناه على معطيات سجلات الأحوال المدنية، محاولين تتبع الحركات السكانية في محي، وآخذين بالاعتبار التحفظات التي ذكرناها، ومقتصرين على فرضيات المسببات التي تبدو لنا بأنها الدافع وراء التغيرات التي وجدناها في المعطيات.

١. سكان ذو معدل تزايد مرتفع

في حين كانت محي تتميز بين عامي ١٩٨١ و١٩٩٣ بمعدل تزايد ثابت في عدد السكان الاجمالي، والذي ارتفع خلال اثنا عشر عاماً من ١٣٦٥ إلى ٢٦٨٠ نسمة

(شكل ١)، وكذلك في اعداد الأسر التي يتوزع عليها هؤلاء السكان (من ٢١٧ أسرة إلى ٤٣٨)، فإن معدل التزايد (١٥) (شكل٢) يظهر عدم انتظام في التوسع الكبير للسكان.

فمعدل الزيادة لم يقل أبداً عن ٣,٥%، مما يعني تضاعف عدد السكان خلال عشرين عام كحد أقصى، فمن معدل مرتفع للغاية بين عام ١٩٨١ و١٩٨٤[١٦]، وصل معدل الزيادة السنوية إلى ٤% في غضون خمس سنوات، وهو معدل مرتفع وأعلى بقليل من المعدل الوطني[١٧]. وعاد هذا الرقم عام ١٩٩٣ إلى المعدل الذي كان سائداً قبل عشرة أعوام وذلك بعد فترة تصاعد حتى عام ١٩٩٠، باستثناء فترة نزول حادة عام ١٩٨٩.

وإذا استبعدنا سنوات التعديل في عمليات التسجيل في الأحوال المدنية، فإن سكان محي يعطون انطباعاً بتمتعهم بديناميكية سكانية طيلة هذه الفترة، وأحياناً تزايد كبير خلال الفترة من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٠.

التزايد الطبيعي

١. سكان شباب وتركيبة متوازنة

تعتمد الزيادة في السكان على أربعة عوامل: الولادات،الوفيات، الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية، وهناك متغيرات أخرى تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على هذه العوامل: نسبة الذكور (عدد الرجال لكل ١٠٠ امرأة)، والذي يلعب دوراً في عدد حالات الزواج، ويؤثر بذلك على حركة الولادات، إضافة إلى تركيبة الأعمال التي تؤثر على زيادة السكان، من حيث كون هذه الفئة العمرية في مرحلة تكاثر أم لا[١٨].

تعكس نسبة الذكور في الفترة المختارة، بشكل دائم، غلبة أعداد الرجال على النساء، ويتناقص هذا العدد تدريجياً من١٢٠-١١٠ رجال لكل ١٠٠ امرأة فنحن نعرف أن الهجرة الخارجية النسائية البحتة مستحيلة، كما أنه لم تسجل أي حالة هجرة رجالية داخلية إلى محي، ونستنتج من ذلك أذن تراجع في تسجيل النساء لدى الأحوال

المدنية، وهو أمر في طور إعادة التوازن الآن[١٩]. أحد المؤشرات الهامة الأخرى هنا: لقد تأكدنا من أن الهجرات من أجل العمل للرجال وحدهم هي قليلة.

أما بالنسبة للهرم العمري لسكان محي[٢٠] (شكل ٣) فإنه يتميز بتماثله مع أولئك في الدولة النامية: عريض في الأسفل، مما يشير إلى سكان من الشباب، حتى وإن كانت "الفجوة" الكبيرة في السنة الأولى تشير إلى ضعف الإقبال على تسجيل المواليد الجدد (خاصة الفتيات)، أما من تقل أعمارهم عن ١٥ عاماً، فإنهم يمثلون تقريباً نصف (٥٠%) عدد السكان[٢١]. أما الفئة العمرية في سن التكاثر (١٥-٥٥ سنة، رجالاً ونساءاً) فإنها كبيرة، حيث لا نلاحظ هنا وجود "فجوات" يمكن أن تفسر على أنها ناتجة عن معدل وفيات مرتفع أو معدل هجرة كبير.

والفئة العمرية الأكثر تأثراً بمعدلات الوفيات، من غير الأطفال الرضع، هي تلك المكونة من الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن ستين عاماً، وهي تمثل نسبة ضئيلة من السكان، لذلك فإن وزنها في تناقص معدلات الزيادة سيكون غير ذا قيمة.

٢. إخصاب عالٍ–وفيات قليلة: تزايد طبيعي مرتفع:

يشير منحنى التزايد الطبيعي إلى أن زيادة الولادات[٢٢] عن الوفيات تفسر بشكل كبير التزايد الإجمالي في عدد السكان.

وفي الواقع، يشير الشكل (٤) إلى أن متوسط عدد الأطفال لكل أمراة[٢٣] في محي بقي مرتفعاً خلال طيلة هذه الفترة، وأن تناقص قليلاً، فهو على الدوام أعلى من المعدل الوطني أو معدل المحافظة، من جهة أخرى، فإن تركيبة الأعمار تشير إلى أنه، حتى وإن تضاءل العدد الإجمالي للمواليد، فإن نسبة الشباب بين السكان لا تتناقص في أن الوقت، حيث أن فئة السكان في سن الإنجاب والفئة العمرية التي تليها تشكل نسبة ساحقة بين السكان، ولاستكمال هذه الصورة نقول بأن أقصى تزايد للسكان، بغض النظر عن التركيبة العمرية، والذي يتم قياسه باستخدام معدل التكاثر الصافي[٢٤]، يبلغ ٤,٧، مما يعني بأن كل امرأة سيتم استبدالها بما معدله ٤,٧ فتاة، في ظل ظروف وفيات متشابهة.

وإذا كانت معدلات الولادات مرتفعة، فإن مستويات الوفيات بقيـت منخفـضة[٢٥] بفضل التركيبة العمرية للسكان، وكذلك بفضل الوضع الصحي الجيد الذي يقلص سنة بعد أخرى من معدلات وفيات الأطفال[٢٦]، حيث لا تتجاوز معدلات الوفيـات ٤%، وحتى وإن كان ضعف الإقبال على تسجيل الوفيات ظاهرة شائعة، خاصة في الريف، فإن السمة الشبابية للهرم العمري تجعلنا نفترض أن هذا الرقم ليس ببعيد جـداً عـن الواقع.

هجرات ذات حجم منتظم

الاخصاب العالي وانخفاض الوفيات يتحدان إذاً من خلال ديناميكية الزيـادة فـي السكان المسجلة في محي، أما الهجرات[٢٧] فإنها لا تساهم إلا قليلاً في زيادة معدلات الزيادة، فهذا المنحنى لا يبتعد كثيراً عن منحنى الزيادة الطبيعية إلا قبل عـام ١٩٨٤ وبعد عام ١٩٨٩ (شكل١). وبالذات، كان عام ١٩٩٠ هو عام الزيادة الواضحة فـي التسجيل في سجلات القرية، وذلك بعد "الفجوة" التي تمت ملاحظتها عام ١٩٨٩. وفي عام ١٩٩٣، كانت حالات المغادرة أعلى من حالات الدخول.

٢. أسر ذات حجم كبير، وفي تناقص تدريجي:

استمر حجم الأسرة بالازدياد حتى عام ١٩٨٥، وبدأ يتناقص بعد ذلـك بانتظـام (شكل ٥). وتراوح هذا الحجم بين ما معدله ٦,٥ إلى ٦,١ فرداً لكل أسرة، وهو مـا يبدو لنا رقماً متواضعاً، ويدعونا للاعتقاد بأن الأسرة الممتدة لا تشكل عرفاً متبعاً[٢٨]، حتى وإن كان المنزل ما زال يتسم بالمشاركة في فناء واحد، وبالمـشاركة بـبعض المباني من قبل افراد ينحدرون من جد واحد.

خلال الفصلين الأولين من السنة، يزداد الأسر بشكل منتظم، ثم يتناقص تـدريجياً بعد انقضاء الصيف، كما أن الحركة الشهرية لحالات الزواج، والتي يمكن الاستدلال عليها من خلال المعطيات التي بحوزتنا[٢٩]، تأثر بالتأكيد على حجم الأسـر لكونهـا العنصر المؤسس لها، علاوة على حجم الولادات الجديدة (شكل ٦)، حيث نـرى أن

ازدياد أعداد الأطفال حديثي الولادة خلال الأشهر الأولى من السنة، في حين أن حالات الزواج تحدث في الصيف، وبهذا، يتضح اثر الحركة الشهرية لحجم الأسرة، وبما أن حالات الزواج تكون أكبر بعد شهر يونيو/حزيران، تتكون أسرة جديدة تختار، في أغلب الأحيان، الإقامة في منزل منفصل عن منزل الآباء، وبهذا، يتقلص حجم الأسرة مع استمرار حالات الزواج خلال العام، وحتى الربيع.

وتأتي حالات الولادات الجديدة في وقتها في شهر فبراير/شباط لتساهم في الزيادة الجديدة في حجم الأسرة، وتصل هذه الولادات حدها الأدنى في فترات الزواج لتساهم في تفتيت الأسر في الصيف.

كما رأينا لا تساهم الوفيات إلا قليلاً في الحركات الكبرى لسكان يتسمون بالشباب كسكان محي، ولكن، يمكن أن نلاحظ هنا أن نسبة الوفيات تكون في حدها الأدنى خلال الفترة التي يكون حجم الأسرة فيها في حده الأعلى: نهاية الربيع-بداية الصيف، وتساهم هذه النسبة في تناقص أعداد الأفراد في الأسرة، خلال فترات التزاوج، في نهاية الشتاء-بداية الربيع، وفي نهاية الصيف- بداية الخريف(٣٠).

أما الفترات ١٩٨٣-١٩٨٤ و١٩٨٩و١٩٨٩-١٩٩٠، والتي تحدثنا عنها سابقاً، فقد كانت مختلفة، فالفترة الأولى تبدأ في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٢، حيث يكون حجم الأسرة خلالها صغيراً للغاية، خلال عام ١٩٨٣، استمر حجم الأسرة بالازدياد، مما يجعلنا نفترض تناقص أعداد حالات الزواج التي تتم عادة في الصيف، والتي تمت هنا في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٤، وتميز عام ١٩٨٤ بنمط تغير في حجم الأسر معاكس للسنوات الأخرى: حيث تقع "الفجوة" في اعداد الأسر في منتصف العام، والتي تعتبر في الأوقات الاعتيادية فترة الذروة.

يبدأ حجم الأسر بالتضاؤل في عام ١٩٨٨، أما في عام ١٩٨٩، فإنه يصل إلى مستويات عالية في نتصف العام، ومن ثم يتناقص بشكل مستمر طيلة الفصل الأول من العام التالي.

٣. معدل ازدياد غير منتظم:

آخذين بالاعتبار كافة الظواهر، يبدو لنا أن الفترات الواقعة حول ١٩٨٣ و١٩٨٩ تتميز بتغيرات فجائية في الظروف السكانية (الديموغرافية). فما تبين لنا فيما يتعلق بحجم الأسر يمكن أيضاً ملاحظته في حركة التزايد: فإذا ما كانت "الفجوة" لعام ١٩٨٣ معتدلة، فإن تلك لعام ١٩٨٩ واضحة للغاية، كذلك فترات "التعويض" في أحداث العام الذي يليه.

فهل يمكن أن نتحدث عن وجود " أزمة"؟ فعلى مستوى بسيط، ومن خلال أعداد صغيرة، تأخذ التغيرات طابعاً مبالغاً فيه، إلا أن أرقامنا تدل بوضوح، فيما يتعلق بهذين التاريخين، إلى وجود رد فعل خاص من قبل السكان لحدث خارجي أو أكثر.

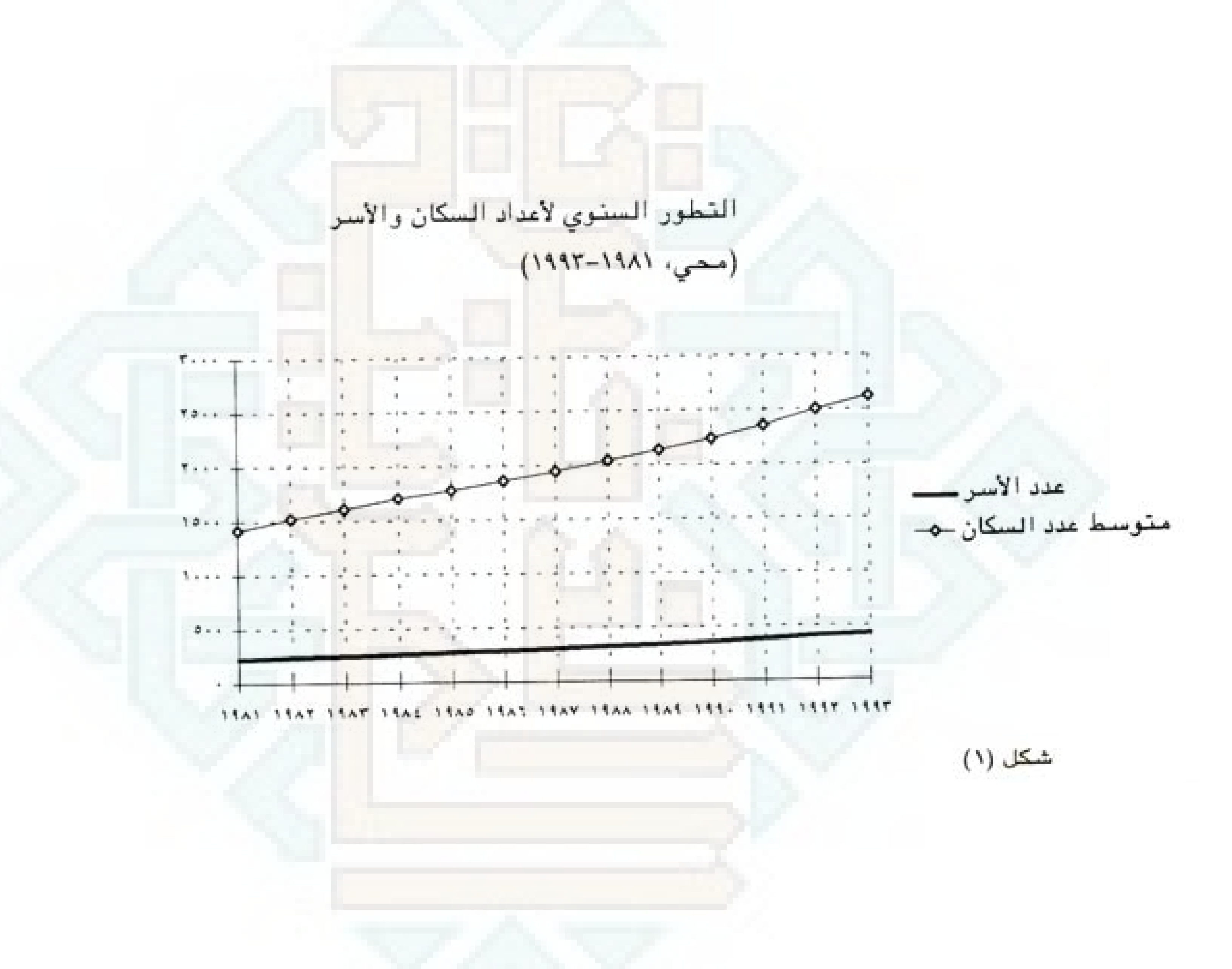
لم يكن هناك تغيراً متميزاً في احداث عام ١٩٨٣، وكما يشير إلى ذلك موظفي الأحوال المدنية، يمكن أن يكون ذلك ناتجاً عن حداثة هذه المؤسسة. كما أن الشهادات التي تم جمعها تحدثت عن جفاف في الجنوب في تلك السنة، لذلك، فإن تضاؤل العائد الناتج عن الزراعة يمكن أن يكون قد ساهم في تأجيل حالات الزواج (تزايد مستمر في حجم الأسر)، إضافة إلى قضية الإقامة الرسمية في القرية.

وإذا كان الأمر يتعلق ببساطة بتسجيل الواقعات، فإن الطابع الفجائي لهذا الموقف، والذي تركز في عام ١٩٨٩، يكتسب بالتأكيد معنى خاص، فعام ١٩٨٩ تميز بثلاثة أحداث هامة ذات بعد وطني، ولكنها ساهمت في التأثير على سلوك القرويين: تراجع قيمة الدينار الأردني(٣١)، وأحداث الشغب التي هزت جنود البلاد في شهر ابريل/نيسان(٣٢) والانتخابات التشريعية في شهر نوفمبر/ تشرين ثاني الذي تلاه. ولا نلاحظ هنا تناقص واضح في معدل الولادات في تلك السنة(٣٣)، مما يدفعنا إلى الاعتقاد أن "الفجوة" التي تمت ملاحظتها لا تنبع كما يبدو من سوء في التسجيل لدى دوائر الأحوال المدنية. فالأطفال الذين تم إخصابهم عام ١٩٨٨ ولدوا في العام التالي، إلا أن احداثاً متغيرة على المدى القصير (الهجرات) تشير إلى تناقض واضح، فهل ساهمت الاضطرابات السياسية في دفع السكان إلى انتظار تطور الاحداث قبل

الانتقال من مكان إلى آخر؟ يبدو ذلك ممكناً، حيث أن الحجم الذي وصلت إليه الأسرة في ذلك العام، وحتى فترة الصيف، يدفعنا للاعتقاد أن حالات الزواج قد تم تأجيلهـــا، وليس بحوزتنا ما يمكننا من الاعتقاد أن هذه الزيجات المؤجلة قد استغلت في اطـــار الحملة الانتخابية في شهر نوفمبر/تشرين الثاني، وربما ساهم أيضاً في ذلك اعتبارات اقتصادية (انخفاض قيمة المهر)[٣٤].

إلا أن تعويض الأحداث عام١٩٩٠ (تناقص حجم الأسر، وتضاؤل حـــدة تطـــوره خلال العام، مما يجعلنا نفترض تزايد اعداد حالات الزواج، والعودة إلى التسجيل في دائرة الأحوال المدنية للقرية)[٣٥] يبقى واضحاً، ويفتح الباب لفترة مـــن الـــسلوكيات المتجانسة حتى نهاية السنوات الأثنى عشر التي تم أخذها بالاعتبار.

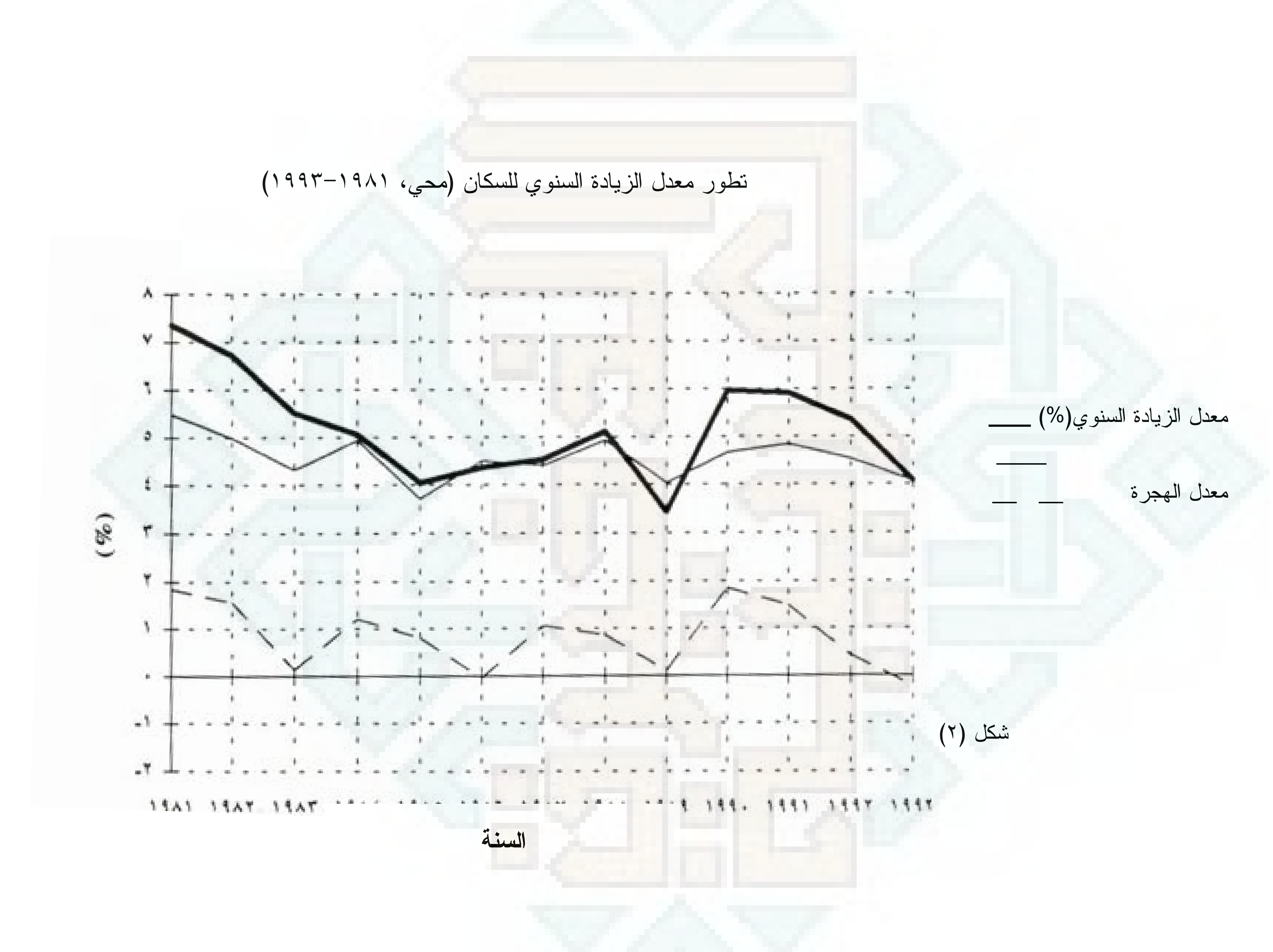
الخلاصة: إن الفرضيات التفسيرية المقدمة هنا يتعين الأخذ بها بكل تحفظ ممكـــن وسيعمد المساهمون الآخرون في هذا العمل إلى تأكيد ذلك، أو تقديم فرضيات أخرى، ولكن، يبدو لنا من الأهمية بمكان كوننا استطعنا حصر فترتي الأزمـــة هـــاتين فـــي معطياتها السكانية، وإذا كانت فرضياتنا صحيحة فسنحصل من جديد على تأكيد مـــن أن العوامل السكانية تتأثر بكافة أنواع الأحداث ذات الطبيعة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية. ومن جهة أخرى، يمكن اعتبار دائرة الأحوال المدنية الأردنيـــة وســـيلة سريعة وفعالة لرصد التاريخ الاجتماعي لأي فئة من المجتمع كذلك، نرى أن وحـــدة اجتماعية صغيرة، كالقرية، يمكن أن تتأثر بأحداث سياسية ذات أبعاد وطنية، حتـــى على مستوى السلوك الشخصي لسكانها، أما أحداث دولية، مثل حرب الخليج الثانيـــة، فلم تخلف وراءه آثار ديموغرافية بين سكان القرية، وأخيراً، فإن رؤية ج.فوليرس لا تبدو لنا أنها تنطبق مثلها مثل رؤية ج.بيرك. فالسكان القرويـــون يتمعتـــون بـــصحة وبمعدلات تزايد مزدهرة في حين أنه على الصعيد السياسي فإن وجود وعمل مؤسسة كالأحوال المدنية يجعل من الصعب على المواطن أن ينتابه شعور بالبعد عن الدولة.



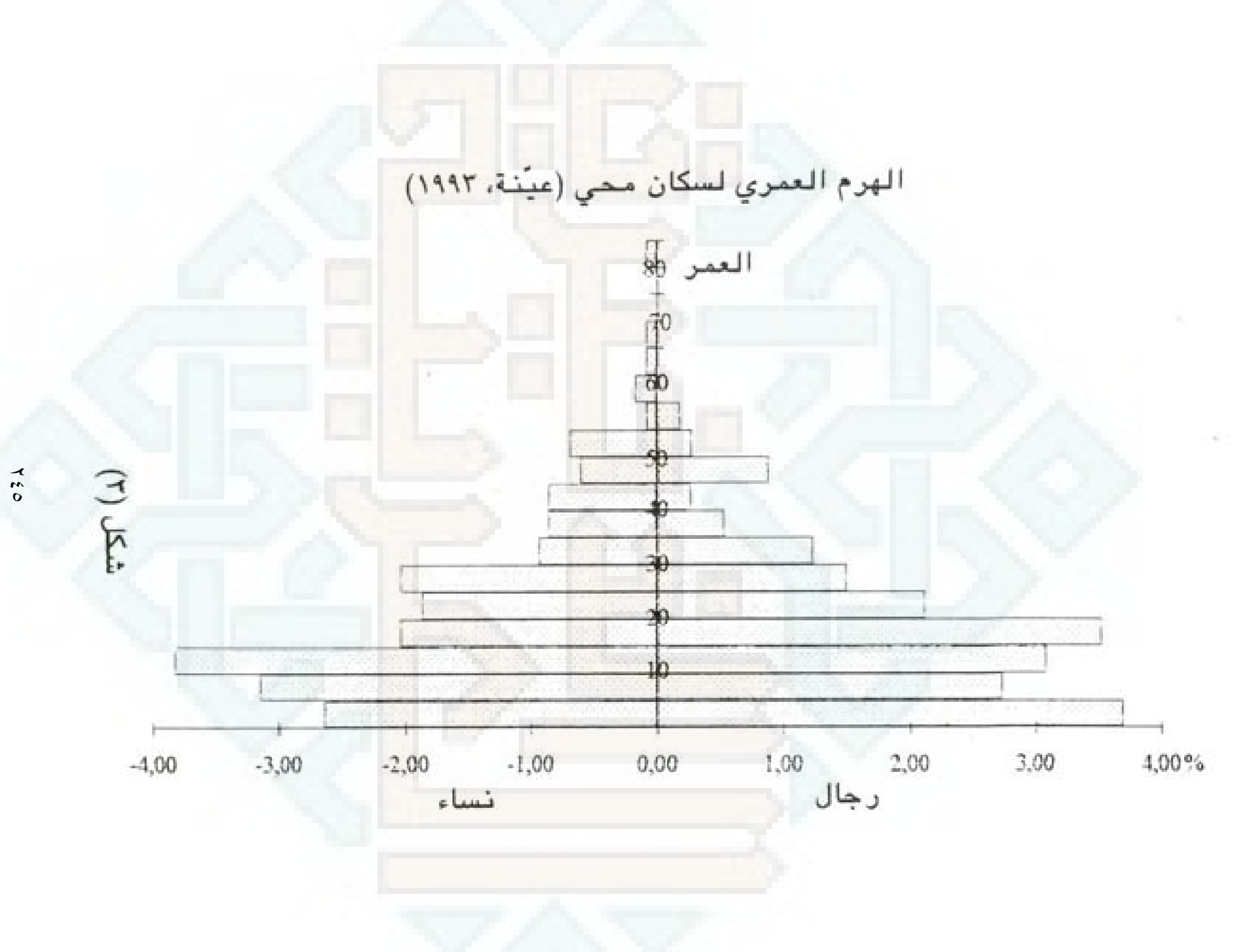
التطور السنوي لأعداد السكان والأسر
(محي، ١٩٨١-١٩٩٣)
٣٠٠٠
٢٥٠٠
٢٠٠٠
١٥٠٠
١٠٠٠
٥٠٠
٠
١٩٨١
١٩٨٢
١٩٨٣
١٩٨٤
١٩٨٥
١٩٨٦
١٩٨٧
١٩٨٨
١٩٨٩
١٩٩٠
١٩٩١
١٩٩٢
١٩٩٣
عدد الأسر
متوسط عدد السكان

شكل (١)

تطور معدل الزيادة السنوي للسكان (محي، ١٩٨١-١٩٩٣)



شكل (٢)

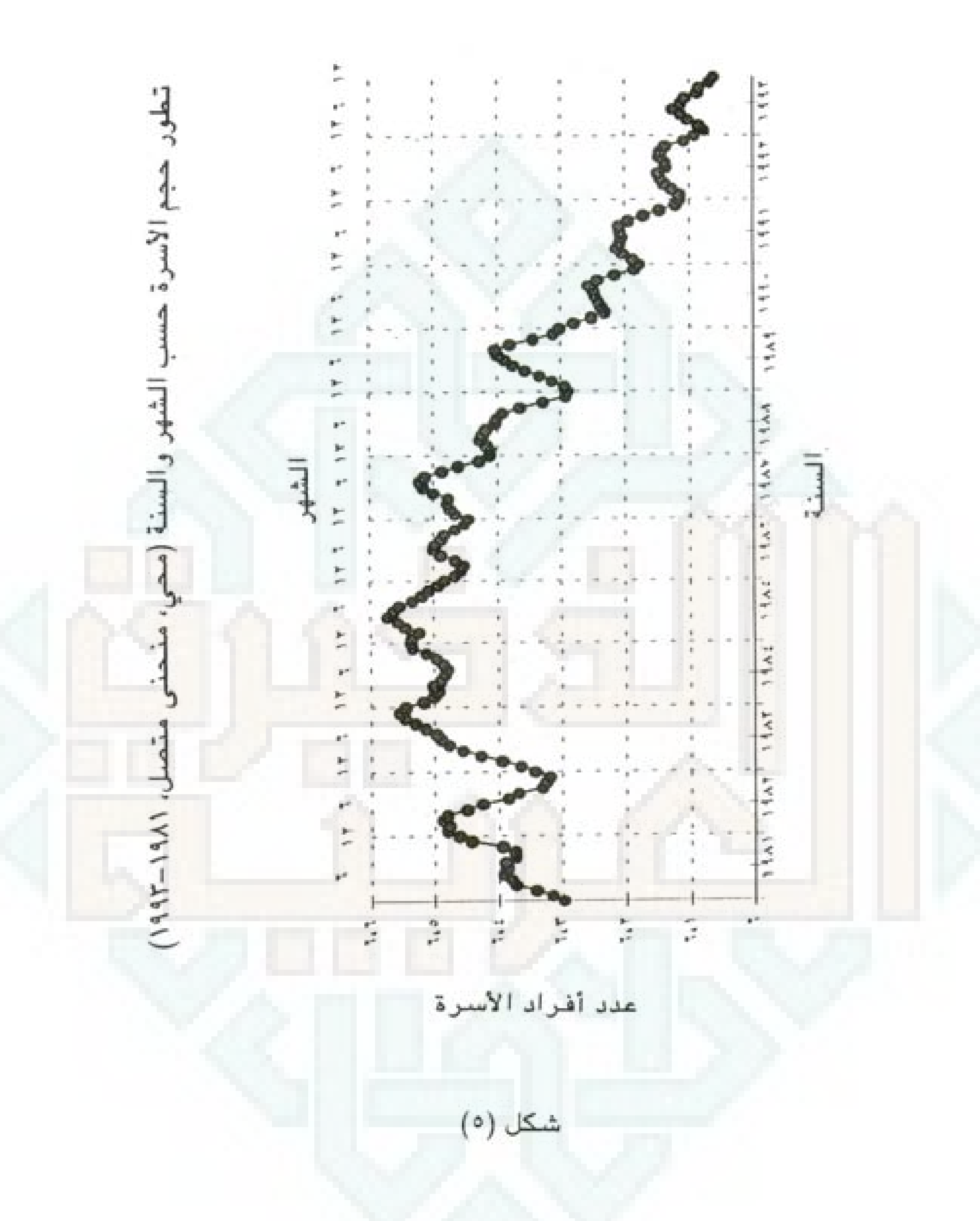


الهرم العمري لسكان محي (عيّنة، ١٩٩٣)
العمر
80
70
60
50
40
30
20
10
-4,00
-3,00
-2,00
-1,00
0,00
1,00
2,00
3,00
4,00%
نساء
رجال

شكل (٢)

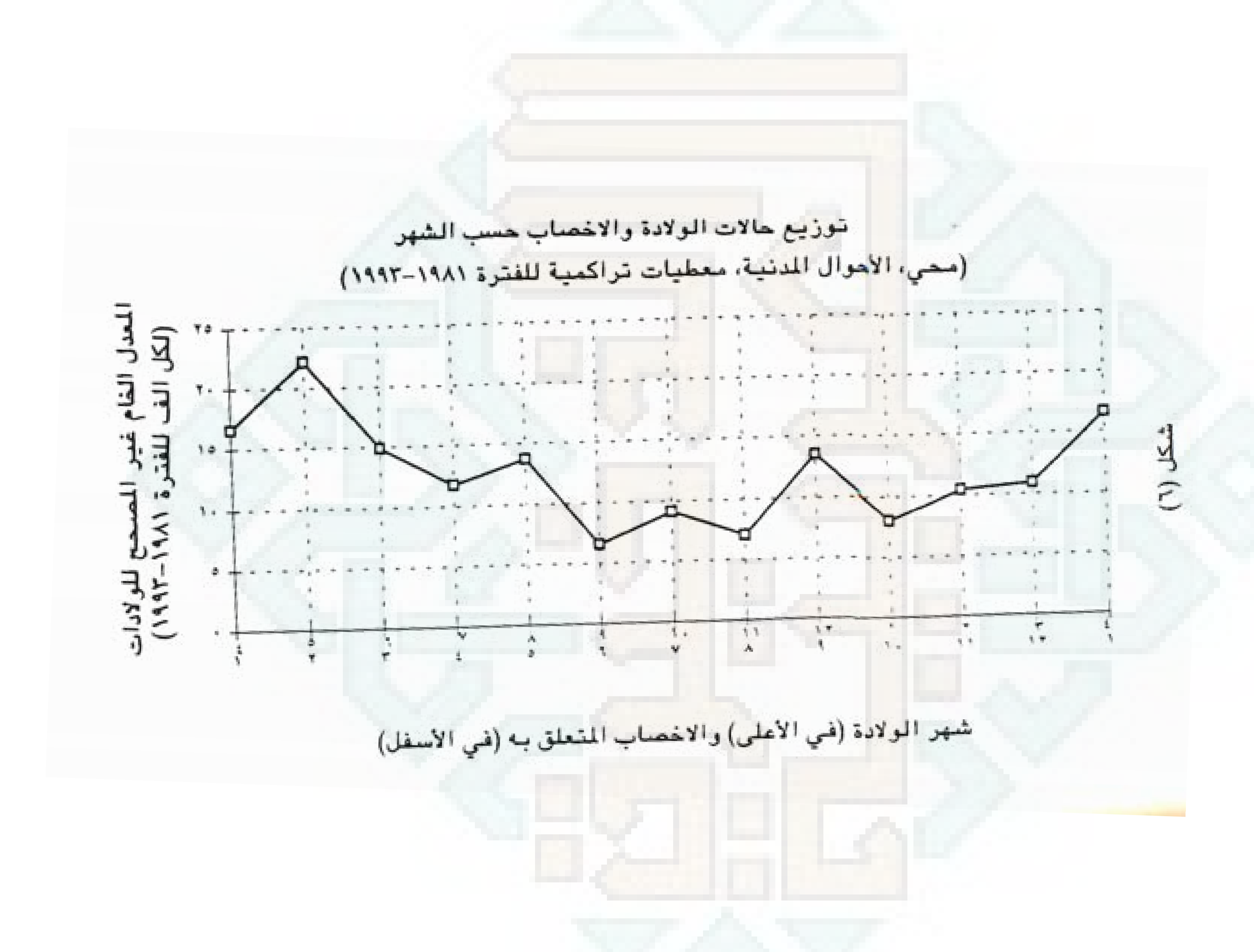

تطور متوسط عدد الأطفال لكل امرأة بين ١٩٨١-١٩٩٣
(معطيات الأحوال المدنية المصححة، محي، محافظة الكرك، الأردن)
أطفال/امرأة
١٠٫٥
١٠
٩٫٥
٩
٨٫٥
٨
٧٫٥
٧
٦٫٥
٦
١٩٨١
١٩٨٢
١٩٨٣
١٩٨٤
١٩٨٥
١٩٨٦
١٩٨٧
١٩٨٨
١٩٨٩
١٩٩٠
١٩٩١
١٩٩٢
١٩٩٣
السنة
محي
الكرك
الأردن

شكل (٤)



تطور حجم الأسرة حسب الشهر والسنة (محي، منحنى متصل، ١٩٨١-١٩٩٣)
الشهر
السنة
عدد أفراد الأسرة

شكل (٥)


توزيع حالات الولادة والاخصاب حسب الشهر
(محي، الأحوال المدنية، معطيات تراكمية للفترة ١٩٨١-١٩٩٢)
المعدل الخام غير المصحح للولادات
(لكل الف للفترة ١٩٨١-١٩٩٢)
شهر الولادة (في الأعلى) والاخصاب المتعلق به (في الأسفل)

شكل (٦)

الهوامش

(١) ج. فوليرس: "فلاحو سوريا والشرق الأوسط"، باريس، غليمار، ١٩٦٤.

(٢) مرجع سابق ذكره، الفصل الأول، الجزء الثاني.

(٣) مرجع سابق ذكره، صفحة ٨١.

(٤) مرجع سابق ذكره، صفحة ٨٣.

(٥) ج. بيرك: "التاريخ الاجتماعي لقرية مصرية في القرن العشرين"، باريس، موتون وشركاه، ١٩٧٥.

(٦) يعرّف سكان المناطق الحضرية على أنهم أولئك القاطنين في تجمع سكاني يزيد تعداد سكانه عن (٥٠٠٠) نسمة، ولن نطرح هنا التساؤل حول إذا كان هذا الرقم المختار له مغزى "ثقافي" معين.

(٧) دائرة الأحوال المدنية والجوازات، التابعة لوزارة الداخلية.

(٨) لا يمكن تسجيل طفل في المدرسة دون إبراز شهادة الميلاد.

(٩) وفقاً للمعلومات المستقاة، يبدأ بأن المواطن ما زال مجبراً لحد الآن من القيام بالإجراءات بنفسه. (فالمستشفى أو العيادة مثلاً لا تقوم بتسجيل الولادات)، ويمكن أن يشكل ذلك عقبة إما تسجيل الولادات المتأخرة لا تحث الناس على القيام بذلك خلال الفترة القانونية (١٥ يوماً لحالات الولادة). إلا أن الأهمية التي بدأ يأخذها دفتر العائلة منذ مطلع التسعينات، والذي يعتبر الآن وثيقة اثبات شخصية ينبغي إبرازها في كافة المعاملات الإدارية، وكذلك ضرورة أن يكن لكل شخص مسجل في دفتر العائلة رقم وطني، هذه الأمور ستحد دون شك من احتمالات التهرب من التسجيل. وفي حالات الوفاة كذلك، فإن إجراءات الأرث ونقل الممتلكات (الأراضي على سبيل المثال...) تتطلب تدخل الأجهزة الحكومية للتأكد من سلامة العملية. ولكن إذا كان تسجيل البالغين في تحسين مستمر، إلا أن التسجيل نادراً ما يتم ضمن المدة القانونية التي تسمح بمعرفة دقيقة لحالة الحركات السكانية.

(١٠) كانت نسبة المواليد الذكور عام ١٩٩٣ على مستوى الأردن ١٠٧ ذكراً لكل ١٠٠ أنثى، في حين أن هذه النسبة ينبغي أن تكون حوالي ١٠٥، وآخذين بعين الاعتبار حقيقة أن وفيات المواليد الجديد، وأولئك الذين يتوفون قبل بلوغهم العام من العمر (أغلبهم من الذكور) نادراً ما يتم الإعلان عنهم، فإن نسبة المواليد الذكور (والتي يتم الإعلان عنها بشكل متأخر، وجزء منها سجل بشكل غير مميز) ينبغي أن تكون

قريبة من ١٠٠. لذلك، فإن نقص التسجيل للإناث يشكل نسبة غير ضئيلة، وان كان التسجيل، ونحن نكرر ذلك، يتم حتماً عجلاً أو آجلاً.

(١١) تنشر المعلومات على مستوى الوحدة الإدارية (القضاة) حيث يتواجد في كل منها مكتب للأحوال المدنية، وتتبع محي إلى قضاء المزار الجنوبي.

(١٢) تم جمع المعلومات بمساعدة السيدة ميشيل بيفرس. ونتوجه هنا بالشكر إلى السيد نصوح محي الدين مدير دائرة الجوازات العامة والأحوال المدنية الذي مكننا من استخدامها. كما نشكر الموظفين الذين ساعدونا على اتمام هذا البحث.

(١٣) راجع الملحق (١).

(١٤) إذا وجد شخص بالغ دون شهادة ميلاد، ولم يكن مسجلاً في أي مكان آخر، فتجتمع لجنة خاصة تمنحه "تقدير سن" تمكنه من الحصول على وثائق اثبات الشخصية اللازمة.

(١٥) يتم قياس معدل الزيادة بين الأول من كانون الثاني (يناير) من السنة بعين الاعتبار، والأول من كانون الثاني (يناير) من العام التالي. وتتم قسمة الزيادة الخام في السكان بين هذين التاريخين على متوسط عدد السكان في تلك السنة (خارج قسمة السكان في الزمن ت+١ على السكان في الزمن ت). أما عناصر التغير في تعداد السكان فهي: الولادات، الوفيات (التزايد الطبيعي)، الهجرة الداخلية، الهجرة الخارجية (الطرق بين الهجرتين). وإذا كان معدل التزايد، الذي يدل على ظاهرة هذه الحركات، أكبر من صفر، فإن السكان في حالة تزايد. أما إذ كان سالباً (أقل من صفر) كان السكان في حالة تناقص.

(١٦) هذه الأرقام غير معقولة تعني ربما وجود فترة "تعويض" في تسجيل التجمع السكاني الذين لم يكونوا سابقاً مسجلين لدى الأحوال المدنية، وليس فقد مجرد تسجيل واقعات تتعلق بالأعداد الخام للسكان: ولادات، وفيات، المقيمين الجدد أو تغيير مكان التسجيل.

(١٧) ٣,٨% عام ١٩٧٩.

(١٨) هذه ليست التفاعلات الوحيدة التي يمكن أن توجد بين العناصر المذكورة، ولكننا سنقتصر هنا عليها.

(١٩) إن الاستبيانين الذين سنعرض نتائجهما لاحقاً في هذا الكتاب يؤكدان هذه الفرضية: فالاستبيان العام الذي أجاب عليه أرباب الأسر يجعلنا نعتقد بوجود عدم توازن في السكان لصالح الرجال (١١٠%)، على العكس، فإن الاستبيان الذي وزع في

المدارس وأجاب عليه الأطفال يعطينا صورة عكسية: فقط ٨٥ رجلاً لكل ١٠٠ امرأة، لذلك فإنه من المحتمل أن أرباب الأسر لم يتعودوا الإعلان عن كافة النساء المحيطة بهم (أطفال رضع، ونساء متقدمات في السن)، في حين أن الأطفال في المنزل يعيشون على اتصال معهن أكثر من رجال يمارسون نشاطاتهم خارج المنزل (أخ أكبر، ذو عمر أكبر بكثير،...ألخ).

(٢٠) بما أن الأحوال المدنية لا تعطي إي إشارة لأعمار الأفراد، فقد استخدمنا نتائج الاستبيان الذي وزعناه على الأسر. والمعطيات المنشورة هنا حول هيكلية الأعمار لا تتعلق إلا بعام ١٩٩٣، إبان زيارتنا للقرية.

(٢١) نتائج الاستبيان المذكور أعلاه.

(٢٢) يتم الحصول على الأعداد السنوية للولادات بشكل سطحي، وذلك بإضافة الولادات المعلنة في وقتها إلى الولادات المعلنة بشكل متأخر أو في مكان آخر في نفس الوقت. وقد قمنا ببساطة بتصحيح أعداد الولادات المعلنة بشكل متأخر، وذلك بحذف عامل الوفيات بين سن صفر وواحد. والطريقة المتتبعة بشكل عام تتضمن إضافة الولادات المعلنة في وقتها في سنة ما إلى الولادات المعلنة بشكل متأخر بعد ثلاث سنوات، بعد تصحيحها، حيث أن الفترة الزمنية بين أحداث والإعلان عنه يفترض بأنها تبلغ ثلاث سنوات. إلا أن الأعداد التي أمامنا هنا قليلة للغاية، ولم نلاحظ فيها أي علاقة احصائية بين الحركة السنوية للولادات المعلنة في حينها وتلك التي يتم الإعلان عنها بشكل متأخر على فترات تبلغ سنة، سنتين أو ثلاث سنوات، إلا أن طريقتنا هذه تمكننا من مقارنة المعطيات التي حصلنا عليها مع تلك التي ترد في النشرات الاحصائية التي لا تفرق بين الولادات التي يتم الإعلان عنها في حينه وتلك التي تعلن عنها بشكل متأخر.

(٢٣) في سنة معينة، أو مؤشر الاخصاب الإجمالي، تم استقاء المعلومات من النشرات الإحصائية حول الكرك والأردن للأعوام موضع الدراسة.

(٢٤) هذا المعدل اللحظي يقيس استبدال الأجيال السنوية، ويتم احتسابه كالآتي: ضرب الذرية الكاملة للمرأة في سنة معينة (حاصل جمع معدل الإخصاب بالعمر) في معدل انوثية الولادات (٠,٤٨٨)، واحتمال بقاء المرأة على قيد الحياة حتى سن الإخصاب في ظل الظروف الحالية لمعدلات الوفيات (بالنسبة للأردن ككل عام ١٩٧٩: ٠,٩٩٥٧ حتى سن ٣٠ عاماً).

(٢٥) كان معدل الوفيات في الأردن عام ١٩٩٠ يتراوح حول ١٠%.

(٢٦) لا يوجد بحوزتنا معدلات الوفيات وفقاً لعمر المتوفي، وهذا يمنعنا من احتساب معدل وفيات الأطفال في محي. إلا أن الدراسة التي تحمل عنوان:" دراسة الواقع السكاني والصحي في الأردن" لعام ١٩٩٠ تشير بأن هذا المعدل كان يبلغ في ذلك الوقت في المناطق الريفية حوالي ٤٠% (٣٧% بالنسبة لمجمل البلاد).

(٢٧) ارتباط بالأحوال المدنية للقرية، أو استنتاج، أما المهاجرين غير المسجلين في القرية فلا يتم أخذهم بالاعتبار.

(٢٨) وجهة نظر تم التحقق منها بواسطة نتائج الدراسة التي ستقدمها في المقال التالي.

(٢٩) المؤشر المستخدم هو معدلات الزواج، أو أعداد واقعات الزواج لكل ١٠٠٠ نسمة، وهنا، لا يوجد أمامنا سوى أعداد الأشخاص الذين يتم شطبهم من سجل الأحوال المدنية بعد الزواج، وليس باستطاعتنا معرفة نسبة هؤلاء الأشخاص الذين يتزاوجون من آخرين من نفس القرية، أي تقدير أعداد حالات الزواج الكلية. كما أن هذه المعطيات لا تدلي لنا بأية معلومات حول حالات تعدد الزوجات، أو حالات الزواج مباشرة بعد الطلاق. إلا أن غالبية الأشخاص المسجلين يتزوجون خلال الصيف أو مطلع الخريف.

(٣٠) تم إعداد منحى الحركة الشهرية للأحداث استناداً للمعطيات الشهرية لدائرة الأحوال المدنية من عام ١٩٨١ وحتى ١٩٩٣.

(٣١) نستند هنا إلى خلاصة كتاب "الديموغرافيا التاريخية": ب-غييوم و ج ب بوسو- أرمان كولان، ١٩٧٠.

(٣٢) تتميز حالات الزواج في البلدان المسيحية في العهد القديم بالبيئة الاجتماعية الشهرية. كما أن توزيعها على مدار السنة يتبع مقتضيات الحاجة ذات الطابع الديني. لذلك فإن حركتها الشهرية لا تتوافق مع ما نقدمه هنا.

(٣٣) راجع الفصل المتعلق بالظروف المناخية.

(٣٤) هناك مركز صحي يعمل في القرية منذ عام ١٩٥٠، وقد تم توسيعه وتحديثه عامي ١٩٧٠ و١٩٨٨. من جهة أخرى فإن الوضع الصحي للمنطقة بمجملها يتحسن باستمرار (راجع مقال ب.كرحي).

(٣٥) راجع المقال اللاحق.

الفصل الثامن

التركيبة السكانية في محي*

* أعد هذا الفصل فرانسواز دبلر



التركيبة الأسرية في محي

لا تخلو الأدبيات العلمية حول الشرق الأوسط[١] من دراسات وافية حول القــرى، فهي جميعها تأخذ بالاعتبار العوامل السكانية ومعلومات حــول التركيبــة الأســرية. وتتفق هذه الدراسات بشكل عام على حقيقة أن المحتمعات القرويــة تتمتــع بــسلوك سكاني (ديموغرافي) خاص بالمجتمعات التي تعتمد في معيشتها بشكل رئيسي علــى شكل من أشكال التقييد الطوعي للإنجاب، وحماية للتراث من خلا التحكم في حركــة النساء وتقاليد الزواج ومن خلال سيطرة نمط العائلة الأبوية التي تشكل فــي نفــس الوقت الوحدة الأساسية للرقعة الزراعية"[٢].

فهل تأتي محي، تلك القرية الأردنية الجنوبية، في عام ١٩٩٣، فــي ســياق هــذا الوصف؟ وبما أن الدراسات الأكثر حداثة حول مناطق أخرى تثبت ذلك، فهل هنــاك تطور في نموذج السلوك السكاني؟ فالأردن يتمتع في الحقيقــة بتركيبــة اجتماعيــة اقتصادية خلاقة ناتجة عن العلاقة الخاصة لقرى جنوب البلاد مع الدولة، مما يحد من الهجرة الريفية[٣]. ونحن نفترض بدورنا أن هذه التركيبة الاجتماعيــة-الاقتــصادية ساهمت في البداية في تعزيز أواصر الصلة مع التركيبة القبلية للــسكان ممــا خلــق نموذج هيمنة أبوي عمودي على مستوى العائلة الممتدة، ولكن يبدو لنا، في مرحلــة ثانية، بدأنا ولوجها الآن، إن الزيادة الكبيرة لهؤلاء السكان الريفيون ستؤدي إلى إعادة تنظيم علاقات الولاء على محور أفقي جانبي وليس عامودي، أي الهيمنة الأبوية.

فسلطة السن يمكن أن تصبح مهددة بسلطة العدد، ويتم استبدال الموروث الجديد[٤] (بجمهورية أبناء العمومة)[٥]. إلا أن هذه التركيبة الأفقية تحمل في طياتهــا أســباب فشلها: فالفوضى التي ستعم تقاليد الزواج ستؤدي وفقاً لفرضياتنا إلى تشوش جوهري في التركيبة الأسرية للمجتمع الريفي وإلى تناقض حاد في معدلات الزيادة التي كانت مرتفعة.

هذه الورقة هي حصيلة استفتاء على شكل استبيان تم إجراءه ابان شهر أيلول/سبتمبر ١٩٩٣، على ٤٥٤ شخصاً، أي ١٧% من مجموع سكان القرية.

كان هؤلاء الأشخاص الـ٤٥٤ موزعين على ٦٠ عائلة، على شكل وحدات سكنية[٦]. وقد تم توزيع الاستبيان من قبل أفراد تعود أصولهم إلى نفس القرية، وتمت تعبئتها من قبل أرباب الأسر[٧].

استندت العينة إلى قاعدة الانتماء إلى إحدى المجموعات القبلية الثلاث التي تؤلف القرية: البشابشة، الحجايا والقضاة، وهي على التوالي ٩ و٢٣و ٢٨ أسرة، وهو توزيع يحترم الوزن العددي لكل فئة من هذه الفئات القبلية داخل لسكان القرية[٨]. وضمن كل فئة قبلية، تم اختيار الوحدات السكنية بشكل عشوائي. ولكن، ونظراً لقلة عدد العائلات من البشابشة على سبيل المثال، فضلنا عدم اللجوء إلى استنباط نتائج مقارنة وفقاً للقبيلة، لعدم دقتها، لذلك، سنلجأ إلى الحديث عن سكان القرية شكل عام.

١. التركيبة الأسرية في محي: نموذج انتقالي

كما سبق وأشرنا إلى ذلك[٩] فإن سكان محي الذين يشكلون عينتنا يتميزون بشبابهم: ٤٨،٩% من السكان تقل أعمارهم عن ١٥ عاماً. أما التركيبة الجنسية فهي تتميز بتفوق عددي بسيط للنساء نسبة للرجال (٩٣ رجلاً لكل ١٠٠ امرأة).

أما حجم الأسرة فهو مرتفع نسبياً ٧,٦ شخص بالمعدل. وتشكل الأسر النووية الأغلبية الساحقة: ٩٥% من المجموع وينتمي ٤,٤% من الأشخاص الواردين في عينة الدراسة إلى أسرة ممتدة أو متعددة[١٠].

أما أرباب الأسر فهم جميعهم من الرجال المتزوجين بنسبة ٩٧%، باستثناء امرأة واحدة أرملة. أما ربات الأسر الأخريات اللواتي ليس لديهن أزواجاً (أرملات أيضاً) فإن مسؤوليتهن تقع على عاتق الإبن غير المتزوج).

أما القلة من الأسر التي تحوي أكثر من زوجة (عددها ٣، أي ٣و٥ رجل لديه أكثر من زوجة لكل ١٠٠ رجل متزوج) فإنها لا تتكون من أكثر من زوجتين[١١].

وهذه النسبة الواردة في محي هي أعلى من المعدل الوطني الأردني عام ١٩٧٩ (٣,٥، ٤,٧ في الريف[١٢]). ولا يوجد أي رجل مطلق رب لأسرة، كما لم تتم الإشارة إلى وجوده في أي أسرة أخرى. أما معدل أعمار أرباب الأسر فهو ٤٠ عاماً. ووفقاً للفئات العمرية، فإنهم يتوزعون كالتالي: أكثر من ٦٠% منهم تبلغ أعمارهم ٢٥-٤٤ عاماً. أما معدل أعمار الرجال الذين لديهم أكثر من زوجة فيبلغ ٤٧ عاماً، أي أعلى بكثير من معدل أعمار مجمل أرباب الأسر.

وفقاً لعينتنا، فإن معدل العمر عند الزواج الأول بلغ في عام ١٩٩٣[١٣] في محي ٢٦,٣ سنة للرجال و ٢٢,٧ سنة للنساء، أي أن هناك فرق عمري يبلغ ٣,٥ سنة. وتبدو هذه الأعمار مرتفعة، ولكن إذا ما قارناها مع تلك التي تم احتسابها على مستوى محافظة الكرك وعلى مستوى الأردن عام ١٩٩١[١٤] فهي تبدو واقعية: فقبل عامين كان معدل العمر عند الزواج الأول للرجال يبلغ ٢٨,٤ سنة مقابل ٢٥,٤ سنة للنساء في الكرك، أما على مستوى الأردن بكامله فهي تبلغ على التوالي ٢٨ سنة و٢٤،٩ سنة. لذلك يظهر أنه مجتمع ريفي مثل محي أن سن الزواج، وإن كان متأخراً، فإن السكان يتزوجون بشكل مبكر أكثر (سنتين) من بقية المحافظة أو الأردن بكامله.

إن نسبة حالات الزواج التي تتم قبل بلوغ سن العشرين وفقاً للجنس وللعمر (شكل١) تظهر بالنسبة للرجال والنساء هذا التطور نحو زيادة العمر عند الزواج الأول، والذي تمت ملاحظته قبل عقد من الزمان، ولكن الزواج المبكر، وإن كان دائماً هامشياً بالنسبة للرجال، كان في السابق عرفاً بالنسبة للنساء. وباستثناء انخفاض حاد عام ١٩٦٠، فإن النمط يشير إلى أن أكثر من نصف حالات الزواج، حتى بداية الثمانينيات، كانت تتم مع نساء تقل أعمارهن عن العشرين. لذلك، نتج عن ذلك فارق عمري كبير نسبياً بين الزوج والزوجة: فمعدل أعمار الزواج بالنسبة لمجمل الأشخاص موضوع البحث، بغض النظر عن أعمارهم أو تاريخ زواجهم، يعطينا ٢٥,٤ عاماً للرجال و١٩،٥ عاماً للنساء، أي بواقع فارق عمري يبلغ ٦ سنوات. لذلك فإن الفارق العمري بين الزوجين يتقلص حتى في القرى بفعل تزايد

سريع في أعمار الزواج عند النساء أكثر من الرجال. ويمكن هنا أن نتساءل عن إمكانية ظهور حالات عزوبية دائمة (عوانس، بعد عمر ٥٠ عاماً)، وهي ظاهرة ما زالت هامشية جداً لحد الآن في معظم العالم العربي، ربما باستثناء المدن(١٥).

ويمكن لحالات العزوبية أن تظهر بسهولة، حيث تظهر حالات الزواج في محي استقراراً كبيراً، فقد رأينا أن الزواج من أكثر من واحدة نادر الحدوث، ومن أن أي أسرة لم تكن تحوي على شخص مطلق. فأما أن يكون الزواج ثانية سريع وأما أن تكون حالات الطلاق نادرة. وهذه الفرضية الأخيرة تثبتها أرقامنا: فنسبة حالات الطلاق في عينتنا لم تتجاوز الخمس حالات لكل ١٠٠ حالة زواج لدى أرباب الأسر موضع الدراسة، خلال مجمل الفترة الزمنية المعنية. إن هذا المؤشر، رغم غرابته، يشير بوضوح إلى استقرار الزواج، فالنساء غير المتزوجات ليست لديهن سوى فرصة ضئيلة للزواج من رجل متزوج (تعدد زوجات أو مطلق). ولكن تضاؤل الفرق العمري بين الزوجين يقارب من اعداد الرجال والنساء المتوفرين(١٦).

من هذا المنطلق، ما هي الأسباب وراء هذا الاستقرار للزواج؟ وكذلك أسباب ارتفاع أعمار الرجال والنساء عند الزواج الأول؟

يتضمن الزواج العربي تقديم مهر للمرأة أو لأسرتها من قبل الزوج (أو أسرته). إن كافة الدراسات التي جرت حول هذا الموضوع تركز على دور هذه العادة في تزايد عمر الزواج في أيامنا، حيث يتعين على الشاب إن لم يكن موسراً الانتظار حتى يصبح بحوزته مبلغ كاف حتى يتمكن على الأقل من استئجار منزل وتأثيثه بالكامل قبل أن يبدأ الحياة الزوجية.

يظهر الشكل رقم (٢) أنه اعتباراً من عام ١٩٩٠، بلغ معدل المبالغ المدفوعة العينية (أثاث، ذهب) والنقدية (المقدم، والأموال بشكل عام) حوالي ١٦٠٠ ديناراً، أي ما يعادل تقريباً راتب سنة كاملة لموظف حديث التعيين، ومن هنا يمكن أن نفهم مساهمة المهر في ارتفاع سن الزواج لدى الجنسين.

ومن المفيد أن نلاحظ بأن المؤخر يلعب أيضاً دوراً، وقد ازداد خلال السنوات الماضية، رغم أننا رأينا أن الطلاق يبقى ظاهرة نادرة في محي. فهل هي استراتيجية نسوية لحماية أنفسهن ضد الطلاق عن طريق طلب مؤخر كبير بحيث يصبح معها من الصعب إنهاء الزواج؟.

وهل الارتفاع المتزايد في قيمة هذا المؤخر ينم عن خوف المرأة من أن يتم هجرها، حيث أن المرأة لم تعد متأكدة كما في السابق من أن أسرتها ستقبلها في حالة الطلاق؟ أم على العكس، هل هي محاولة منها لتوفير مبالغ كافية لتساعدها في الحفاظ على استقلاليتها؟.

إذا ما نظرنا إلى التطور الزمني لقيمة المقدم تعترينا الدهشة، ففي الثمانينات لم يكن الرجل يعطي لزوجة المستقبل أكثر مما كان سيعطيها قبل ١٥ عاماً، في حين أن قيمة الدينار قبل ١٥ عاماً كانت تعادل أربعة أمثال قيمته في الثمانينات (شكل ٣). فهل يمكن الافتراض بأن قرية محي كانت تصدر جزءاً من أيديها العاملة إلى الخليج أو العربية السعودية مثلاً[١٧]؟ لكن التدني الذي شهده نهاية هذا العقد تجعلنا نفترض أن هذا الثراء لم يكن سوى قصير الأمد. وإذا ما ازداد المنحنى فإنه يتبع أيضاً التغيرات في أسعار الصرف: فالمبالغ التي كانت تدفع بعد عام ١٩٩٠ كانت بالقيمة المطلقة تعادل تلك المدفوعة في نهاية الستينيات.

لذلك، يمكن أن يشكل المهر هنا عائقاً أمام الزواج المبكر، وإن كانت قيمته المطلقة بالدينار قد تضاءلت. لذا، يمكننا القول بفرضية وجود أزمة اقتصادية منذ مطلع عقد التسعينيات، والتي يمكن الاستدلال عليها من منطلق الصعوبة المتزايدة التي توجه الشباب القرويين في الادخار من أجل الزواج.

لكن كافة الدراسات المرجعية حول الزواج في البلدان العربية تشير إلى وجود طريقة للتملص من هذه النفقات الضرورية للزواج : وهو حق ابن العم في طلب ابنة عمه للزواج، وهو ذلك النوع من الزواج الذي لا يتطلب مصروفات باهظة كما في حالة الزواج بين أغراب.

يبدو بأن زواج الأقارب شائع نسبياً في محي، ففي حين لم يذكر أي رب عائلة موضع الدراسة بأنه تزوج من إحدى قريباته، فإن عشيرة فقط منهم (١٧%) لم يذكروا أي زواج من هذا النوع في أقاربهم وأحفادهم. وهناك تفضيل للأقارب من جهة الأب: ٧٥% من حالات زواج الأقارب كانت مع عائلة الأب (مقابل ١٩% في عائلة الأم، و٦% مع عائلة الأب والأم معاً).

لكن زواج الأقارب لا يحظى رسمياً بتأييد الأشخاص موضع الدراسة: ٦٥% منهم يرون أن هذا النوع من الزواج غير محبذ. وتعود هذه الأسباب، في ٣٠% من الحالات، إلى القلق على صحة الأطفال. كما أن ٢٢% من الإجابات تعزو ذلك إلى تعود الزوجين على بعضهم البعض بشكل كبير. كما أن ١٨% منهم يشيرون إلى أن الزواج بين الأغراب يحد من مصادر الخلاف، في حين أن ٥% من الإجابات تؤكد العكس. وهناك ١٤% من الإجابات تشير إلى التمسك "بالتقاليد" في هذا النوع من الزواج، في حين أن سبب المحافظة على ملكية العائلة وتقليل قيمة المهر لم يتم ذكرهما سوى في ١٠% من الإجابات.

من هذا التحليل لظروف الزواج في محي يمكن أن نقول أنه منذ عشر سنوات تغير الواقع السكاني (الديموغرافي)، وأيضاً دون شك الواقع الاقتصادي والاجتماعي بشكل خاص، وحتى وإن كان الشباب يتزوجون في سن مبكرة أكثر من أي مكان آخر، فإن أساليب الزواج التي صادفناها تجعلنا نفترض أن الزواج يتم بعد تفكير أكبر مما كان عليه الحال قبل عشر سنوات. كما أن ازدياد سن الزواج للنساء بشكل خاص، وتضاؤل الفرق العمري بين الزوجين، يجعلنا نتصور أن العلاقات بين الزوجين قد تطورت.

هل يعكس انخفاض القيمة المطلقة للمهر أن هذه المؤسسة بدأت تفقد أهميتها بالنسبة لشخصين اختارا بعضهما البعض ويرغبان في إتمام الزواج دون تأخير؟ وهل يمكننا أن نضع في نفس المستوى التراجع الذي صادفناه في قلة الرغبة في زواج الأقارب؟ أن الملاحظات المستقاة من أماكن أخرى لا تمكننا من استخلاص نتائج أخرى. على العكس، فالمصروفات التي تتم أثناء الزواج تبدو لنا عالية من سنة إلى

أخرى. وذلك تحت وقع نماذج استهلاكية جديدة. فارتفــاع القيمــة النــسبية للمبــالغ المدفوعة يصبح ممكناً عن طريق تدخل الأسرة التي ما زالت تلعب دوراً هاماً. لذلك فإن تضاؤل هذه المبالغ بالقيمة المطلقة يجعلنا نعتقد بوجود ضائقة اقتصادية، ولكنهــا غير ذات تأثير على مؤسسة الزواج. إذاً، تتغير ظروف الزواج، ولكن ليس بــشكل جذري: فالزواج ما زال يعني تبادل منافع بين عائلتين، فالأسباب التي ذكرت حــول عدم تفضيل زواج الأقارب ذكرت أيضاً عوامل محددة مثل صحة الأطفــال، ولكــن هناك فكرة جديدة بدأت تشق طريقها فيما يتعلق بالزواج، وهي زوجــين أعمارهمــا متقاربة، أكثر نضوجاً، وليست لديهم رغبة كبيرة في تحديد الإطار العائلي في اختيار زوج المستقبل، حيث أن ربع الإجابات ركزت على التعود الكبير الموجود بين أفراد العائلة الواحدة.

وإذا كان الزواج القروي يبدو عامة في طور فترة انتقالية نحو نمــوذج مختلــف، فكيف هو الأمر ما يرتبط به، إلا وهو الإخصاب؟ ازداد سن الزواج ومع ذلك بقــي هدف الارتباط هو التكاثر: مهما كانت الفئة العمرية للأم لدى إجراء الدراسة وســنها عند الزواج، فإن الإخصاب كان يتبع مباشرة الزواج: فالفارق بين سن الزواج وســن أول ولادة لا يتجاوز السنة. أما معدلات الإنجاب فهي سريعة: مهما كان العمر فــإن الولادات عام ١٩٩٣ قد تعاقبت كل ١,٧ سنة بالمتوسط[١٨]، كما أن مجموع معدلات الإخصاب لكل فئة عمرية في عام ١٩٩٣[١٩] يعطينا ما معدله ٩,٧ طفل لكل امــرأة بالمتوسط، مما يشير إلى مستويات إخصاب عالية، حتــى وإن كــان متوســط ســن الأمومة مرتفع نسبياً: ٣٠ عاماً.

يشير الشكل رقم (٤) إلى أن الإخصاب يمتد على مدى سنوات الإخصاب للمرأة، ويميل إلى التطور مع الزمن: فقبل خمس وعشر سنوات[٢٠] نرى بأن معــدل ســن الأمومة كان أقل: على التوالي ٢٨,٦ سنة عام ١٩٨٣ و٢٨,٩ ســنة عــام ١٩٨٨. لذلك، وإن كان الاخصاب "الآني" قد تضاءل منــذ ١٠ ســنوات (المؤشــر النــوعي للإخصاب عام ١٩٨٣ في محي كان يتراوح حول ١٢,٦ طفل لكل امرأة)، فإنه مــا زال مرتفعاً جداً، وهو يتغير مع الزمن: فكما يشير الشكل، فــإن أعلــى مــستويات الإخصاب كانت قبل عشر سنوات في الفئة ٣٠-٣٤ سنة، في حين أنها تبلــغ حاليــاً

٣٥-٣٩ سنة لدى النساء. وهذا الإخصاب في مراحل العمر المتقدمة يسمح ببقاء مؤشر الإخصاب العام في مستوى عالٍ.

أما المؤشرات "الآنية" المستخدمة هنا فإنها لا تصوغ فيما إذا كان النساء الحديثات السن الآن، واللواتي يتمتعن حتى بمستوى إخصاب عالٍ، لن يتوقفن عن الإنجاب قبل بلوغهن سن العقم البيولوجي، ولكن معدل التكاثر الآني الخام يشير إلى أنه، حتى وفي حالة عدم وجود وفيات، وفي ظل ظروف ديموغرافية تشابه تلك الموجودة عام ١٩٩٣، فإن أي أم ستستبدل بما معدله ٤,٧ أنثى. وحتى وإن كانت هذه الـ٤,٧ أنثى يتمتعن بمعدلات إخصاب مختلفة عند ولادتهن، إلا أن عددهن بحد ذاته سيضمن معدلات تزايد ايجابية للسكان ولو لبعض الوقت. كما أنه لا توجد هناك أدنى رغبة لدى أرباب العائلات التي قابلناها لتحديد أعداد ذريتهم، سواء كانوا شباباً (متزوجين من نساء تقل أعمارهن عن ٢٠ عاماً)، أو متقدمين في العمر (متزوجين من نساء قاربت فترة إخصابهن على الانتهاء)، فعدد الأطفال الذين يرغبون به يتراوح بين ٧,٥ إلى ١٠,٢ طفلاً! لذلك فإن أي تحديد لعدد الأطفال في كل أسرة يقع على عاتق المرأة.

ونتيجة لكافة العوامل التي ذكرناها لحد الآن نرى أنه مع تقدم سن رب العائلة فإن تركيبة وحجم هذه الوحدة يتطور. فمن ناحية الحجم، ورغم أن متوسط حجم الأسرة في محي يبلغ ٧,٦ إلا أنه في الواقع يتغير من ٣,٨ إلى أكثر من ٩ (انظر الشكل ٥)، وفقاً لسن رب العائلة الذي يتغير من ٢٥ سنة إلى حوالي ٥٤-٦٤ عاماً. وتتناقص هذه الأعداد لاحقاً، ويغادر الأبناء المتزوجون منزل العائلة وتبقى أعداد الأسر الممتدة هامشية. ويشير الشكل (٥) إلى أن الفرق الجوهري في تركيبة الأسرة يتمثل في زيادة أعداد غير المتزوجين، وهم حصراً أبناء رب العائلة، أما الأرامل فإنهن لا يتواجدن إلا في الأسر التي يرأسها رجال شباب. وهم أرباب الأسر الوحيدين الذين ما زالوا أحياناً غير متزوجين. كما نلاحظ أيضاً (شكل ٧) بأن هذه الأسر تضم ما معدله الثلثين من النساء. وهذا يشير إلى تغير الدورة الأسرية عند فقدان الأب، وإلا لكانت

تركيبة الأسرة الجنسية أكثر توازناً، أو أكثر ذكورية، من حيث أن الرجال يتزوجون في سن متأخرة نسبة إلى النساء، كما نرى ذلك من ناحية زيادة أعداد الذكور في الأسر التي يرأسها رجال متقدمين في السن. ويبدو أن زواج الأخوات يعاني من العرقلة أو التأخير عندما يكون الأخ في موقع رب الأسرة. فهل تكمن المشكلة في ندرة الأزواج المحتملين، أو عمر رب الأسرة الذي يسمح له بالتعامل مع الأعمال كما كان ليفعل ذلك والده؟ أم هو الخوف من المسؤولية الملقاة على عاتقه والتي لن تتحملها الأم؟

في الفئات الوسطية، من ٢٥-٦٤ عاماً، نجد هناك توازناً في التركيبة الجنسية للعائلة التي تتشكل بشكل رئيسي من الزوجين والأطفال، حتى وإن رأينا هنا الأسر متعددة الزوجات أو الأسر الممتدة، وهذا الشكل الأخير من الأسر لا يمكن أن يظهر إلا إذا كان الأب متقدم في العمر لدرجة يكون فيها أحد أبنائه في سن الزواج ولكن دون أن يكون قد توفر له الوقت الكافي للحصول على منزله الخاص.

يتميز سكان محي قبل كل شيء بمعدلات تكاثر مرتفعة للغاية تضمنها ظروف الإخصاب التي شرحناها والتي تعوض الزيادة في معدلات سن زواج النساء. فما هي إذن التركيبة الاجتماعية-الاقتصادية التي تلازم هذا البعد الديموغرافي؟ وهل تتوافق مع النشاطات الزراعية الرعوية التي تتطلب الكثير من الأيدي العاملة كما يمكن أن نتوقع من حالة قرية كهذه؟

٢. كيف تعيش الأسر الكبيرة العدد؟

-تركيبة اجتماعية-اقتصادية خاصة:

هناك ما يثير الانتباه لدى تحليل النشاطات المهنية لأرباب الأسر في محي: الحيز القليل الذي تحتله النشاطات "القروية" فعلاً، مثل الزراعة وتربية الماشية، في مصادر الدخل، فهناك فقط ٧% من أرباب الأسر يقرون بأنهم مزارعون. فهل يعود ذلك إلى أن بعض الأسر، حتى وإن كانت تمتلك أراضٍ (٦٥% من أرباب الأسر هم مالكي

أراض) أو قطعان ماشية (٣٨%)، تمارس نشاطاً قروياً إلى جانب نشاط وظيفي؟ إن هذا لا يعني سوى ٨% من أرباب الأسر. فغالبيتهم (٧٦%) يعملون في الواقع في القطاع العام (جدول١) ولا يقرون بممارستهم لمهنة الزراعة. وهذا يجعلنا نفترض مستوى تعليمي ابتدائي على الأقل في القرية[٢١]. من جهة أخرى، فإن معظم أرباب الأسر، إلا فيما ندر، يودون أن يكمل أبناؤهم الذكور والإناث تعليمهم العالي.

وإلى جانب الدهشة من النسبة المرتفعة لأعداد الموظفين بين أرباب الأسر فإن تطلعات وآمال أرباب الأسر فيما يتعلق بمستقبل أبنائهم يمكن أن تبدو مثيرة للاستغراب. فهم لا يبدون تمسكهم في نقل وتحسين ممتلكاتهم العقارية والتي تكون أحياناً كبيرة: فما لكي الأراضي من أرباب الأسر يمتلك كل منهم ما معدله ٩٢ دونماً (٨٧ فقط للذين يحترفون الزراعة). كما أن برامج التدريب والتلمذة المهنية لا تلاقي أي نجاح. ويبدو إذن أن القرويين يؤمنون أكثر بجهاز الدولة وبالأمن الوظيفي، وفي حالات أخرى (مثل الجيش والشرطة) بالمكانة التي توفرها هذه الوظيفة، أكثر مما يؤمنون بالمبادرة الخاصة وبممارسة المعرفة بشكل عام، وذلك في حالة عدم قدرة النشاطات الزراعية-الرعوية على تأمين رخاء السكان. وفي الواقع، فإن الهضبة التي تحيط بمحي لا تسمح بالتوسع في الزراعة، كما أن تربية المواشي تتطلب استثماراً كبيراً من أجل شراء الماشية.

وبفضل توسع النشاطات لتشمل القطاع العام، فإن معدل دخل الأسرة قد تجاوز حاجز الفقر[٢٢] ليبلغ ما معدله ٢٢٣ ديناراً شهرياً لكل أسرة. إلا أن ٥٧% من الأسر تقر بأنها لا توفر شيئاً من دخلها، وأحياناً تقترض (مصروفات شهرية تزيد عن أو تعادل الدخل). كما يبدو أن التراجع الاقتصادي حقيقة واقعة من خلال ما لمسناه من تطور المبالغ التي تدفع كمهور منذ مطلع الثمانينيات، والتي يمكن ربطها بظهور البطالة في الأردن في تلك الفترة والتي تتزامن مع بداية زيادة الديون الهائلة للبلد.

تتوافق هذه التركيبة الاجتماعية-الاقتصادية مع الأسر النووية كتلك الموجودة في محي، وهي غالباً ما تتمثل في تأخر سن الزواج وفي التطور نحو المساواة بين

الجنسين، إلا أنها تسير ضد ظاهرة الأسر الكبيرة الحجم. وسنقوم في الفقـرة التاليـة بعرض بعض الفرضيات التي تمكننا من تفسير بقاء ظاهرة الأسر الكبيـرة الحجـم، وكذلك الآلية التي يمكن أن تؤدي، على المدى المتوسط والطويل، إلى تراجـع فـي الزيادة الطبيعية في البيئة الريفية لجنوب الأردن، كما نلاحظ ذلك في مجمـل العـالم العربي.

- التركيبة السلطوية والأسرية

رغم شيوع عمل أرباب الأسر في القطاع العام، إلا أن ٦٠% من السكان يقـرون بأن السلطة القبلية، وليس المجلس القروي، هي السلطة السياسية الأكثر قبـولاً فـي القرية، فالسلطة السياسية التي تفصل في النزاعات العائلية هـي الـسلطة المحليـة، المختار أو شيخ العشيرة (٥٨% من الإجابات)، وهناك ٤٠% يحلون مشاكلهم ضمن إطار أسرهم، إلا أنه لا يتم اللجوء أبداً إلى السلطات الحكومية (المحاكم والشرطة).

لذلك تظهر المجموعة القبيلية على أنها أهم من العائلة أو من الأسرة النووية، التي تعاني منها النزاعات التي تعتريها، وهذه الإشارة للكيان العشائري لا تتضمن معنـى محلي، حيث أن سلطة المجلس القروي أقل من سلطة شيخ القبيلة الذي تمتد سـلطته إلى خارج حدود القرية. كما أن هناك تحفظ لدى المؤسسات الرسمية تجاه التدخل في الشؤون العشائرية، لذلك تبدو الدولة عاجزة تجاه الدور الثانوي للأسرة النووية وتجاه الأفراد الذين يلجؤون لمظاهر التضامن الأساسية، فالروابط بين أبناء العشيرة تبقـى قوية في محي رغم التباعد بين المنازل.

كيف نفسر إذن الانخراط الكبير للسكان القرويين في القطاع العـام؟ كثيـراً مـا نتحدث فيما يتعلق بالأردن عن ولاء سكان جنوب البلاد، والذين هم في غالبيتهم مـن أصول قبلية، للنظام الملكي خاصة لنظام الملك حسين الذي عـرف كيـف يـستأثر بحظوة السكان لكونه وريث جده الأكبر الشريف حسين بن علي، قائد الثورة العربية الكبرى.

كما أن شخصيته الخاصة، وكونه القائد الأعلى للجيش الذي ينتمي إليه العديد من هؤلاء البدو، الذين أصبحوا اليوم قرويين، يمكن أن تفسر أيضاً هذا التحالف التقليدي بين هاتين السلطتين. ولكن اللعبة السياسية-الثقافية لا يمكن أن تتعزز بشكل كاف إلا من خلال استراتيجيات أخرى، من حيث أن القبائل ما زالت تشكل سلطة سياسية معارضة هامة، كما تشير إلى ذلك ل.لاين في كتابها الأخير[٢٣] الذي تشرح فيه صعوبة عملية دمج هذه الكيانات ضمن النطاق المتحرك للدولة القطرية التي تعتبر أصلاً مفهوماً يتجاوز الحدود، لذلك، نرى هنا إنشاء المؤسسات التي تديرها الدولة (مصانع تكرير الفوسفات، جامعة مؤتة، شبه المؤسسات الإدارية[٢٤] يمكن أن تشكل أداة للسيطرة على السكان الذين، دون مساعدة الدولة، سيعانون في تأمين معيشتهم في بيئة تفتقر للموارد الطبيعية، ويمكنهم أن يشكلوا تهديداً للسلطة المركزية، ويمكن لهم أيضاً بالضرورة أن يتقبلوا العروض التي تأتيهم من الجانب الآخر من الحدود.

وكانت إحدى الجوانب الثانوية لهذه الاعتبارات المالية هي الحفاظ على معدلات اخصاب عالية، آخذين بالاعتبار أن انخفاض معدلات الوفيات، بفعل تحسين الخدمات الصحية في المنطقة أو بفعل تحسين ظروف الحياة بشكل عام، لم تعد توازن معدلات الإخصاب كما كان عليه الحال في السابق. كما أن السلطة الأبوية في الأسرة قد بقيت، أو تعززت، بفعل تأثير هذا الرخاء الاقتصادي النسبي الذي حد من التأثير المالي للأبناء ومن هجرتهم الواسعة[٢٥] كما لو كان عليه الحال لو بقيت النشاطات الزراعية هي مصدر الرزق الوحيد. من جهة أخرى، فإن عملية التحاور مع السلطة تعزز من سلطة السن: فوفقاً لمنطق السلطة الأبوية الحديثة[٢٦] فإن هناك علاقة تنشأ بين كبار أفراد المجتمع وبين أعضائه حديثي السن، بنفس الطريقة التي يتعامل فيها الملك مع مواطنيه بتقديم نفسه على أنه أب لكل الأردنيين[٢٧].

ولكن، إذا استطعنا بهذا الشكل تفسير قوة اللجوء للتركيبة القبلية لدى هؤلاء السكان الذين تدعمهم الدولة اقتصادياً، فإن هناك عوامل أخرى تقودنا إلى القول أن هذا النسق الأبوي-الزبائني أصبح مهدداً بفعل التزايد الديموغرافي وارتفاع حجم الأسر التي ساهم به هو نفسه. فالسلطة داخل الخلية الأسرية ينبغي أن تنظم تدريجياً وفقاً لمحور أفقي وليس عمدي، مما يؤدي إلى انسياب السلطة من الأب إلى الأبناء.

بلغ تباعد الأعمار بين أول وآخر مولود في الأسر التي تـم اختيارهـا للدراسـة ١١,٥عاماً. وإذا اقتصرنا على أرباب الأسر الذين تبلغ أعمارهم ٤٥ عامـاً وأكثـر، والذين أنهوا فترة الإنجاب في ظروف معدلات وفيات ضئيلة نسبياً[٢٨] دون أن يعانوا من انخفاض معدلات الإخصاب لاحقاً، فإن التباعد بين أول مولود وآخر مولود فـي الأسر يبلغ ١٧,٥ عاماً. وإذا أخذنا بالاعتبار فرق ٦ سنوات من العمر، بالمتوسـط، للأسر الأكثر تقدماً في السن، فإن المرأة التي تبلغ من العمر ٤٥ عاماً تنهـي فتـرة إخصابها في حين يكون عمر زوجها أكثر من خمسين عاماً، وبـذلك يكـون لآخـر مولود أخوة وأخوات يكبرونه ١٥-٢٠ عاماً، وعندما يبلغ سن هذا المولـود ١٠-١٥ عاماً، سيكون عمر الأب قد بلغ الستين عاماً على الأقل، فهل نعتبر بأن هذا الطفـل سيخضع لأبوين عجوزين؟ أنه سيخضع بالأحرى لمسؤولية أخوته وأخواتـه الأكبـر عمراً، حيث سيكون عمر أكبر أخوته أو أخواته ٢٥-٣٠ عاماً. لذلك نطلق فرضـية أن الأسر ذات الحجم الكبير هي اسر تخضع لسلطة الأبناء الكبار، وبالأحرى الذكور، كما رأينا ذلك من خلال استمرارية السلطة الذكورية التي يعززها الـزواج المبكـر للنساء، وكذلك سكن الزوجين مع الأسرة إذا لم يكونا مستقلين. لذلك فإن قوة العلاقات الأفقية الناجمة تتواءم مع ممارسات مثل الزواج بين أفراد الأسر الممتدة، وتفـضيل علاقات التضامن بين أفراد المجتمع بشكل عام. كما أن تزايد السكان يزيد من نطاق اختيار شريك الحياة المحتمل. كما يمكن أن نفترض نشوء علاقات وفقاً للعمر، داخلية وخارجية، بين أبناء العمومية مثلاً، فندرة السكن معاً بين أسرة الأب وأسرة الأبناء لا تناقض هذه الفرضية، لأن وجود مثل هذه الأسر الممتدة غالباً ما يشير إلـى وجـود سلطة أبوية قوية[٢٩].

بما أن التراجع التدريجي لصورة الأب يعزز من العلاقات الأفقية، مـاذا سـيحل بالنظام الأبوي الحديث الذي يتطلب علاقات عمودية قوية؟ يمكن أن تظهر أزمة ولاء للدولة مع بروز تشكيك في سلطة الزعامات العشائرية التقليدية، كما لاحظنا ذلك في الأردن منذ أول انتخابات جرت في البلاد عام ١٩٨٤[٣٠]. لكن هذا التشكيك لا يقوض

بالضرورة من العلاقة العشائرية نفسها، حيث تحدثنا سابقاً عن قوة علاقات التضامن الأفقي.

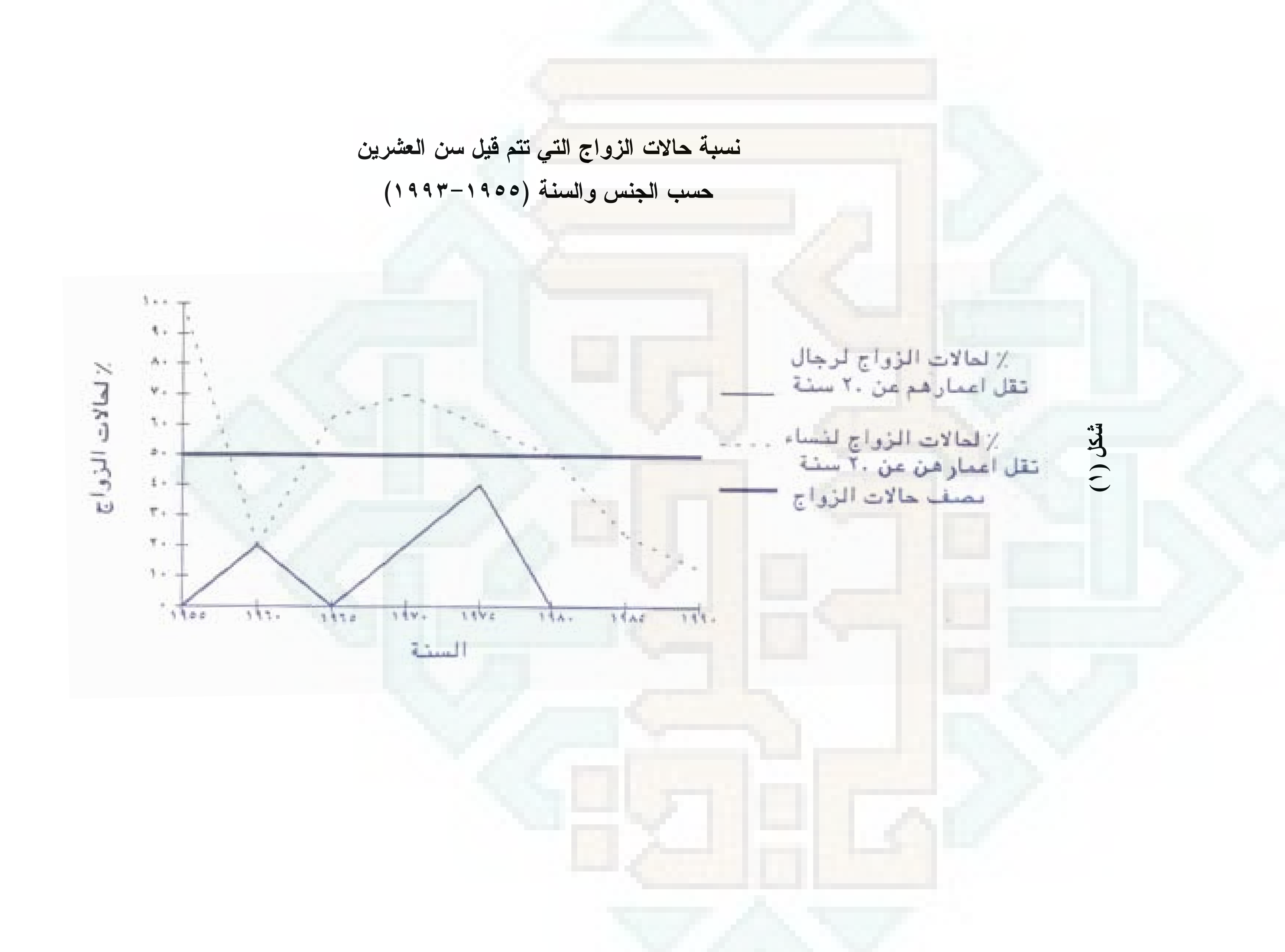
ما نوع التركيبة الأسرية التي ستنشأ إذن، مع تضاؤل السلطة الأبوية، ومع إعادة هيكلة علاقات التحالف العشائرية؟ إذا أخذنا بالاعتبار تضاؤل الفرق العمـــري بـــين الزوجين حالياً، يمكن أن نسير باتجاه مساواة سلطة الزوجة مع سلطة الـــزوج، إلا أن ذلك لا يعني اختفاء "الحظوة التي يتمتع بها الذكور على الإناث في الأسرة: فالرجـــل الذين سألناهم يفضلون انجاب ما معدله خمسة ذكور، مقابل ثلاث إناث. وهذا التوجه يتمثل جلياً في هيمنة الأبناء الذكور على أمهاتهم الأرامل. كـــذلك، فـــإن ضـــعف أو غياب الأب يلغي منطقياً التنظيم التقليدي للزواج الذي كان يسهم في جعـــل الأســـرة العربية الناجمة عن الزواج الداخلي خلية تخلو من القلق[٣١]، من حيث أن ضـــرورة الزواج الخارجي، أو تبادل النساء بين الأسر كما عرّفه ك. ليفي–شـــتراوس[٣٢] هـــو "الآلية المثالية لتوليد القلق". فقد رأينا في الواقع أن العزوبية بين النساء هي ظـــاهرة شاذة في المجتمعات الريفية العربية بشكل عام، مثل محي، حيث لم يتم ذكر أي أمراة عانس (يزيد عمرها عن خمسين عاماً) في العينة المنتقاه. إلا أننا لم نستبعد إمكانيـــة ذلك في المستقبل. ففي الواقع هناك في عينتنا نساء ما زلن عازبات رغم تجـــاوزهن معدل سن أول زواج والذي تم احتـــسابه ســـابقاً (أي ٢٢,٧ ســـنة). وإذا تفحـــصنا خصائص الأسر التي تنتمي إليها هذه النساء، يظهر بأن ٥٠% منهن يعشن في أســـر غير نووية (بسيطة، متعددة أو ممتدة، والتي استعرضناها في مطلع هذه الدراســـة)، حيث أن الخاصية الرئيسية لهذه الأسر هو صغر رب الأسرة، والذي يكون في كـــل الحالات أخ تلك الفتيات المتأخرات عن الزواج.

ويبدو أن ضعف الأب يؤدي في الواقع إلى عدم التوازن في المجتمع، حيث يجـــد الابن نفسه فجأة في مواجهة الواقع، غير قادر على اللجوء إلـــى التنظـــيم التقليـــدي للزواج الذي يعهد به عادة للأب. ويخلق هذا الوضع الجديد قلقاً يتمثـــل، فـــي حالـــة الأسر التي تعنينا هنا، في تأخير كبير في سن زواج النـــساء. فـــالزواج الـــداخلي أو

زواج أبناء العمومة يشكل تجسيداً لمبدأ التضامن والتكافل السائد بينهم، إلا أنه يتطلب سيطرة عمودية على الأبناء، وهذا ما هو مستحيل في الحالة التي نعتقد بأنها موجودة في محي. لذلك يمكننا أن نستخلص بأن الزواج في الأسرة الممتدة يميل إلى الاضمحلال مما يؤدي إلى خلق هيكلية أسرية مبنية على مبدأ الأسر النووية غير المتوازنة، أي على زوجين غير متكاملين، غير متساويين، لكون العلاقة هي في حالة تنافس مع العلاقات الموجودة بين الأخوين أو بين فردين من نفس الفئة العمرية. وهذا النمط المولد للقلق بفعل المسؤوليات الجديدة التي ينبغي تحملها، وكذلك استقرار أخوة وأخوات رب الأسرة، واستقراره هو أيضاً، يمكن أن تولد، كما بدئنا نلاحظ ذلك، تراجعاً في سن الزواج أو كنتيجة لذلك، توجهنا نحو العزوبية، وهذا كله لا يمكنه إلا أن يؤدي إلى انخفاض معدلات الولادات[٣٣].

وإذا استمر التراجع الاقتصادي في الأردن، وإذا تطلب ذلك تقليص فرص الالتحاق بالوظائف الحكومية، وإذا أدت عملية السلام إلى شمول الأردن في اقتصاد ونظام اجتماعي-سياسي مبني على الكفاءة وعلى "عدم شخصنة" أجهزة الدولة، فيمكن أن تحدث أزمة اجتماعية في هذه المناطق الريفية قليلة الإنتاج في الجنوب. فقد أظهرت هذه المنطقة ضعفها خلال أحداث الشغب في عام ١٩٨٩، حيث وجد النظام الأبوي، الذي ما زال مزدهراً، نفسه فجأة مهدداً بالخطر. ولكن تطور النظام الأبوي هذا نحو نموذج يولد "توتراً نفسياً كبيراً موجهاً أفقياً، بين الرجال والنساء، وبين الأخوة (...)، يتجلى في المجال السياسي بالعنف وبالثأر"[٣٤]. فماذا سيكون إذاً مصير الاستقرار السياسي للبلاد؟ فإذا كانت المدن شهدت تطور ايديولوجيات، مثل الإيديولوجية الإسلامية، الناجمة عن الصراع بين الأجيال بفعل المصاعب الاقتصادية وبفعل عدم التوازن الديموغرافي بين الفئة العمرية ٢٠-٣٠ سنة وبين أبائها[٣٥]، فإن الظروف تعتبر مواتية في الريف لظهور ظاهرة اجتماعية بنفس الحجم، إن لم يكن أكبر، وذلك لأن التغيرات الديموغرافية والاجتماعية الأساسية، مثل الالتحاق الشامل بالتعليم، قد تركزت على فترة زمنية أقصر.

نسبة حالات الزواج التي تتم قيل سن العشرين
حسب الجنس والسنة (١٩٥٥-١٩٩٣)



شكل (١)

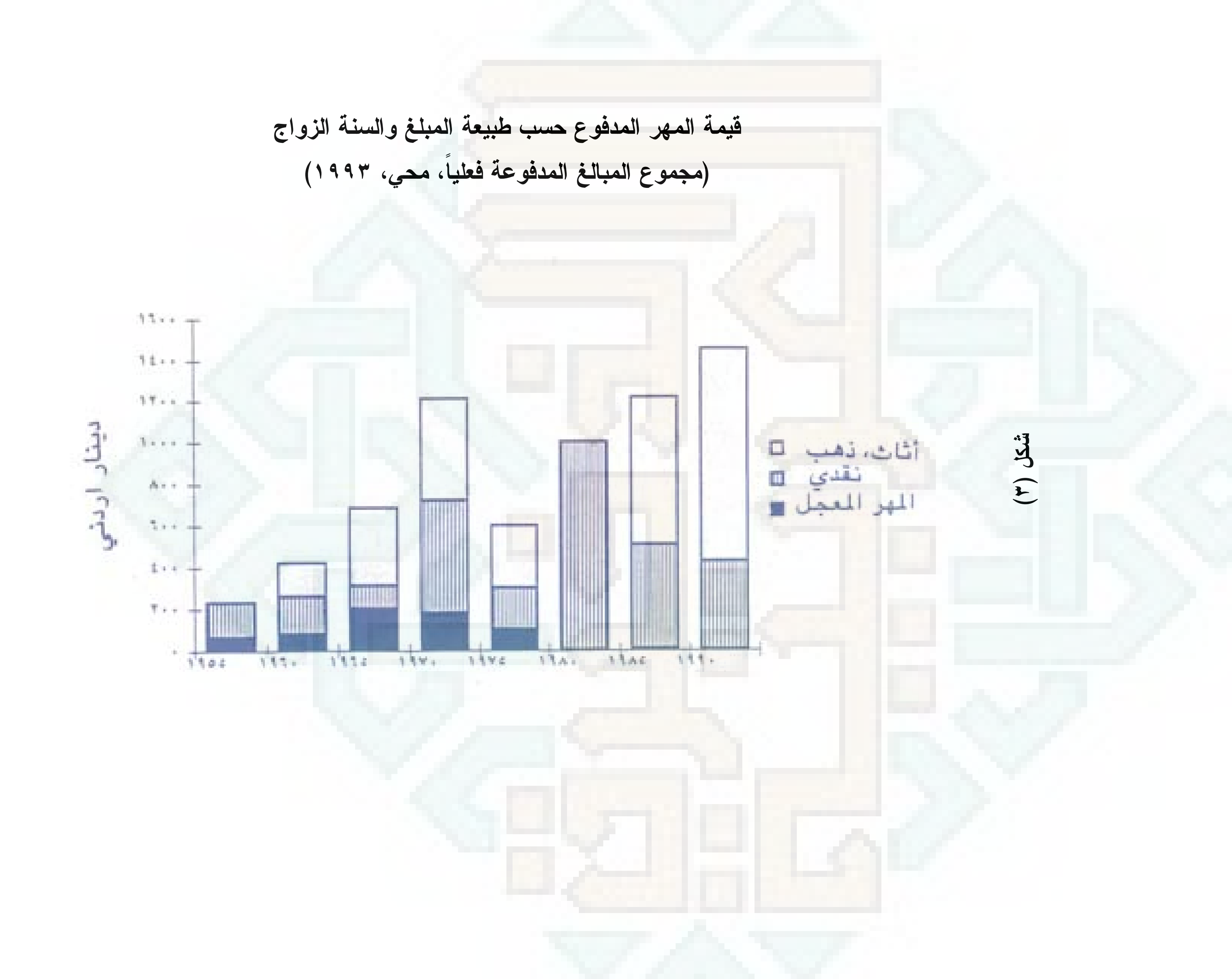


دينار أردني

شكل (٢)

قيمة المهر المدفوع حسب طبيعة المبلغ والسنة الزواج

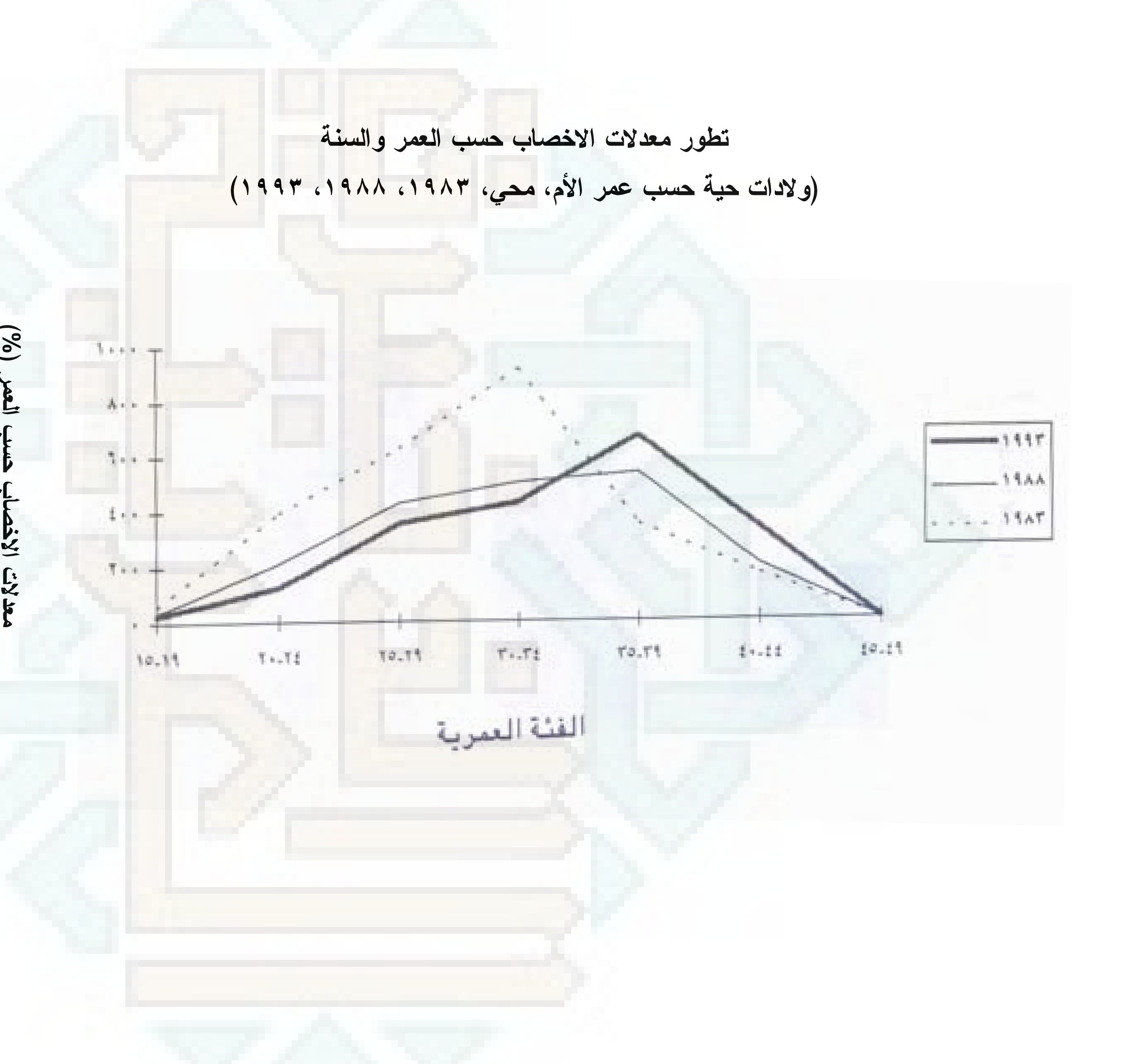
(مجموع المبالغ المدفوعة فعلياً، محي، ١٩٩٣)



شكل (٣)

تطور معدلات الاخصاب حسب العمر والسنة

(ولادات حية حسب عمر الأم، محي، ١٩٨٣، ١٩٨٨، ١٩٩٣)



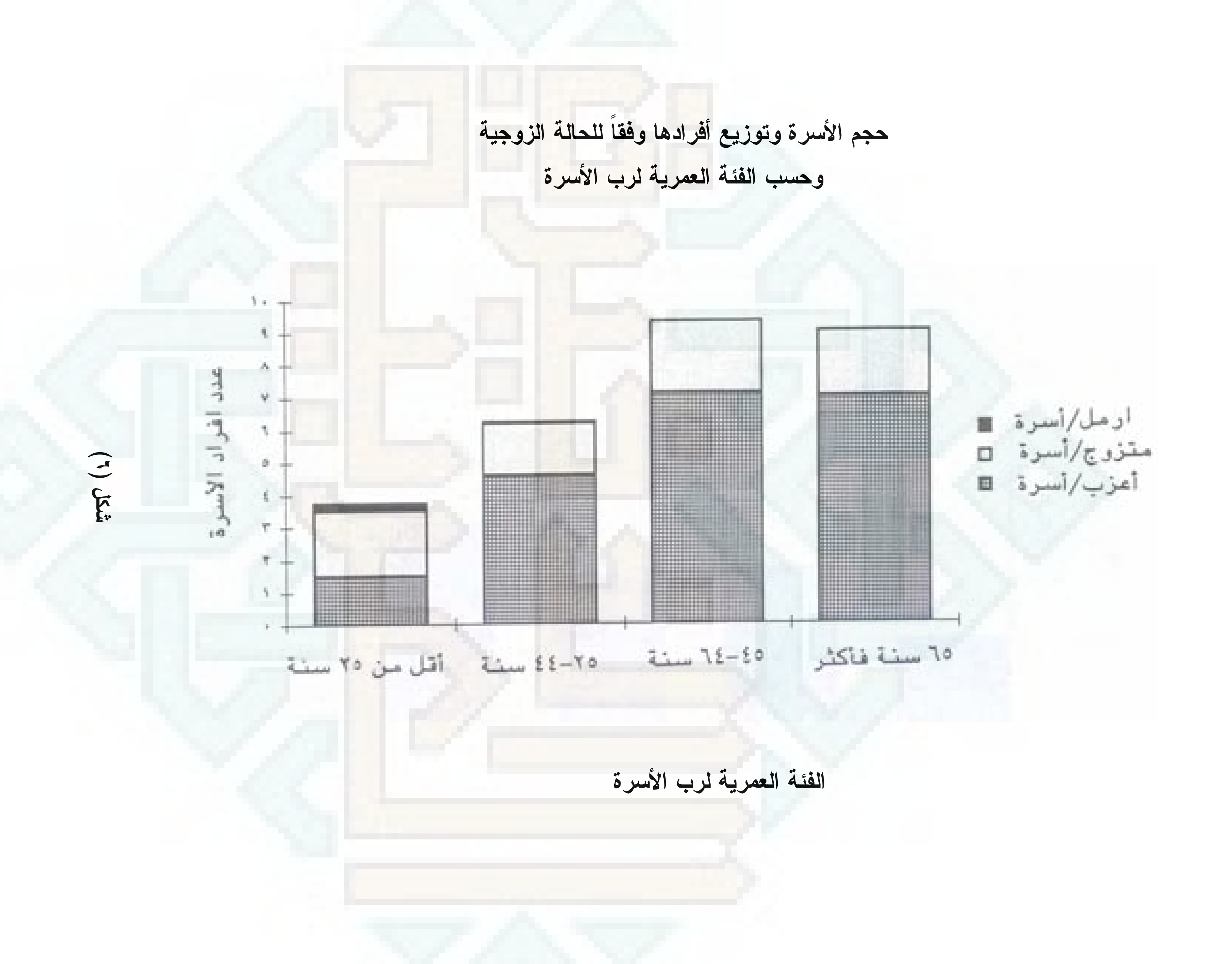
معدلات الاخصاب حسب العمر (%)

شكل (٤)

حجم الأسر حسب الفئة العمرية لرب الأسرة (محي، ١٩٩٣)

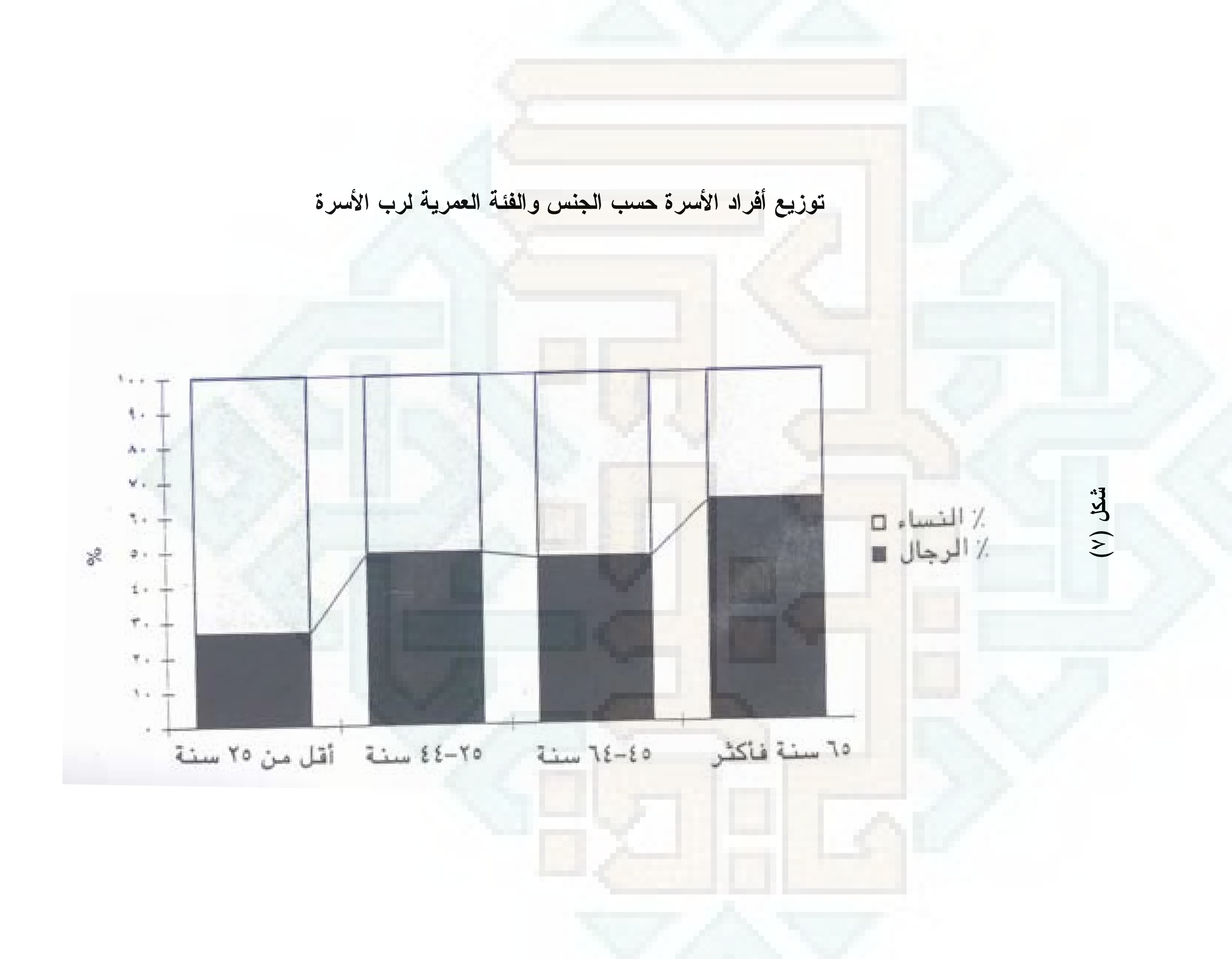


شكل (٥)


حجم الأسرة وتوزيع أفرادها وفقاً للحالة الزوجية
وحسب الفئة العمرية لرب الأسرة
عدد افراد الأسرة
١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١
٠
ارمل/أسرة
متزوج/أسرة
أعزب/أسرة
أقل من ٢٥ سنة
٢٥-٤٤ سنة
٤٥-٦٤ سنة
٦٥ سنة فأكثر
الفئة العمرية لرب الأسرة

شكل (٦)

توزيع أفراد الأسرة حسب الجنس والفئة العمرية لرب الأسرة



شكل (٧)

توزيع أرباب الأسر حسب طبيعة العمل (قطاع خاص، قطاع عام)
والوظيفة التي يمارسونها (محي، ١٩٩٣)

	الحصة النسبية	الحصة المطلقة
موظفو القطاع العام	٧٦%	
موظفو شركة الفوسفات	٢٥%	٣٤%
مدرسون	١٨%	٢٤%
عسكريون وأمن عام	٧%	٩%
موظفو حكومة (دون تحديد)	٢٥%	٣٣%
موظفو القطاع الخاص والأعمال الحرة	٢٣%	
بلا مهنة أو متقاعدون	٩%	٨%
مزارعون	٧%	٣١%
موظفو القطاع الخاص (دون تحديد)	٢%	٣٨%
غير ذلك	٥%	٢٣%

جدول (١)

الهوامش

(١) راجع على سبيل المثال، أنطون: "القرية العربية"، بلومنغتون، مطبعة انديانا، ١٩٧٢، ج. بيرك: "التاريخ الاجتماعي لقرية مصرية"، باريس، لاهاي/موتون، أ.هـ. فولر: "بوارج، صورة لقرية فلسطينية"، مطابع جامعة هارفارد، كامبرج، ١٩٦١، أ. لطيفة: "بيطن، قرية أردنية"، لاهاي، موتون، ١٩٦٦، ج. فوليرس: "فلاحو سوريا والشرق الأوسط"، باريس، غاليمار، ١٩٤٦.

(٢) ج. فوليرس مرجع سابق ذكره، صفحة ٢١٧.

(٣) ينبغي مع ذلك التخفيف من حدة هذه المقولة كما تشير إلى ذلك دراسات السيدة ميشيل بيفرس حول قرية عيمة الواقعة في منطقة الطفيلة. فقد عانت هذه القرية من حركات هجرية كثيفة باتجاه عمان حتى إنشاء محافظة الطفيلة.

(٤) هشام الشرابي: " السلطة الأبوية الحديثة: نظرية التغير المشوه في المجتمع العربي"، مطابع جامعة أوكسفورد، ١٩٨٨.

(٥) ج. تيليون: "الحرملك وأبناء العمومة"، باريس، سوي، ١٩٦٦.

(٦) إن "الأسر" المأخوذة هنا بعين الاعتبار لا تعادل تلك التي تظهرها سجلات الأحوال المدنية، فالأحوال المدنية تعرّف الأسرة على أنها تنشأ من كل واقعة زواج، وتؤدي إلى إصدار دفتر عائلة. ولا يوجد هناك أي اعتبار لمكان الإقامة، بعكس دراستنا التي شملت ٦٠ أسرة تمثل وحدات أسرية مقيمة ترتبط مع بعضها البعض، أولاً، بروابط قربى، ولكنها تستغل مواردها بشكل مشترك، وتشترك بالإقامة تحت سقف واحد، ولها مطبخ واحد (التعريف المعتمد في النشرات الإحصائية).

(٧) الشخص رجلاً كان أم امرأة، وليس بالضرورة أكبر من الآخرين بالعمر، أو أن يكون من أقربائهم، ولكنه يعتبر من قبلهم بأنه الشخص القيم على أمورهم والمسؤول عن إدارة حياتهم الاقتصادية (التعريف المعتمد في النشرات الإحصائية).

(٨) لا نأخذ هنا بعين الاعتبار السكان الذين لا ينتمون إلى أي من هذه العشائر، ولكنهم يقطنون القرية. فأعدادهم قليلة للغاية، وهم ينتمون بشكل رئيسي إلى مجموعات عشائرية أخرى في نفس المنطقة (الطراونة، على سبيل المثال)، والذين تم استدعائهم إلى محي كموظفين (مدرسين، الخ) لفترة محدودة.

(٩) انظر إلى المقال السابق حول الهرم العمري للسكان في محي وفق عينة الدراسة (١٩٩٣).

(١٠) أسرتان تتألفان من زوجين ووالدة رب الأسرة وأطفالها (اسرة ممتدة). وأسرة متعددة تتضمن زوجين اثنين (مع الأطفال وأبوي رب الأسرة وأطفالهما.. أي أخوة وأخوات رب الأسرة). أما بقية الأسر (النووية أو البسيطة) فتتألف من زوجين، مع أو بدون أطفال، باستثناء أسرتين تتألفان من أرملتين تعيشان مع أطفالهما.

(١١) أي ما معدله ١٠٣,٥ امرأة متزوجة لكل ١٠٠ رجل متزوج من بين هؤلاء السكان، وهناك ربا أسرتين متزوجان بأكثر من امرأة ويعيش كل منهما مع زوجته تحت سقف واحد. وهناك رب أسرة ثالث متزوج من أثنيتين، تعيش كل منهما في منزل منفصل.

(١٢) تعداد عام ١٩٧٩.

(١٣) تم الاحتساب وفقاً لطريقة هاجنال، أي: نسبة غير المتزوجين في كل فئة عمرية من السكان.

(١٤) دراسة وطنية: "العمالة، البطالة، الهجرة، والفقر في الأردن". عمان، دائرة الاحصاءات العامة، ١٩٩١، المعلومات الواردة في هذه الدراسة لا تميز بين أماكن السكن (مناطق حضرية–ريفية).

(١٥) راجع المقدمة: حالات عدم الزواج الدائمة عام ١٩٩١ بلغت ١,٧٣% بين النساء اللواتي تزيد أعمارهن عن ٥٠ عاماً. في مجمل الخاء الأردن. وكانت هذه النسبة قريبة من الصفر في الكرك، في حين أنها كانت من ٢% في عمان.

(١٦) كلما ازداد عمر الرجل عند الزواج، كلما ازداد نسبة الوفيات في صفوفهم، في حين أن النساء، اللواتي يكن في أعمار أقل بكثير فإنهن يتأثرن بشكل أقل بكثير من الرجال، ولذلك فإن أعدادهن تكون أكثر من أعداد أزواجهن المحتملين. ويتم التعويض عن هذا الفرق عن طريق أسلوب تعدد الزوجات، أو الطلاق الذي يعقبه زواج فوري من قبل الرجل (ف.خارج): ديموغرافية الزواج العربي–الإسلامي: التراث والتغيير"، منجلة مغرب–مشرق، العدد ١١٦، ١٩٨٧).

(١٧) تعتبر هذه الفترة فترة الطفرة النفطية للدولة المصدرة للبترول، وكذلك نتيجة لذلك، للدول المصدرة للعمالة.

(١٨) ويميل أيضاً إلى الانخفاض أكثر في الفئات العمرية الشبابية، مما يدل دون شك على نسيان أو حذف لحالات الحمل التي لا تكتمل عند النساء المتقدمات في العمر.

(١٩) إن عدد حالات الولادة عام ١٩٩٣ المستقاة من دراستنا قد تم تصحيحها وفقاً لسجلات دائرة الأحوال المدنية، حيث أن الأطفال دون العام من العمر غالباً ما يتم تسجيلهم بشكل متأخر وفقاً لهذه الدراسة. وقد طبقنا على أعداد الولادات هذه التوزيع وفقاً لعمر الأم الوارد في السؤال ١٣-٢، وتم احتساب، لكل فئة عمرية فإنه يعطينا مؤشر الإخصاب الإجمالي، أو مؤشر الإخصاب الظرفي، الذي يحسب لسنة معينة والذي يعبر عن عدد الأطفال لكل امرأة. ويشير هذا الرقم إلى عدد الأطفال الذي يمكن أن يكون لامرأة في ظل ظروف ديموغرافية (وفيات، فئة عمرية..الخ) مشابهة لتلك التي كانت سائدة عام ١٩٩٣.

(٢٠) اقتصرنا هنا على هاتين السنتين لغاية المقارنة، لأن معطيات دائرة الأحوال المدنية التي ساعدتنا على تصحيح هذه المعطيات المستقاة من الدراسة لم تكن متوخرة للأعوام ما قبل ١٩٨١.

(٢١) هناك فقط ربا أسرة من الأحيين ضمن العينة.

(٢٢) تم تحديد خط الفقر رسمياً بماية وخمسين ديناراً شهرياً لكل أسرة عام ١٩٩٢.

(٢٣) ل. لابن: "المنزل والوطن: حوارية العشائرية والهوية الوطنية في الأردن"، مطابع جامعة برنستون، ١٩٩٤، صفحة ١٨٨.

(٢٤) الكرك، عاصمة المحافظة التي تحمل نفس الاسم، هي مركز النشاطات الإدارية، وهي تشكل مكاناً يجد فيه سكان المنطقة فرص للعمل، وكذلك المزار الجنوبي التي أصبحت الآن قضاء.

(٢٥) قلما يهاجر سكان محي، وإذا حدث ذلك فلفترة قصيرة كما رأينا ذلك في المقال السابق.

(٢٦) هشام الشرابي، مرجع سابق ذكره: "أحد الجوانب النفسية والاجتماعية المركزية في مثل هذا المجتمع الأبوي الجديد، سواء كان مجتمعاً محافظاً أو تقدمياً، هو سيطرة الأب الذي يصبح المركز الذي تدور حوله تنظيم الأسرة. لذلك، لا توجد هناك سوى علاقات عمودية بين الحاكم والمحكوم، بين الأب والأطفال...الخ.

(٢٧) المثال على ذلك موجود في خطابات الملك لدى عودته من الولايات المتحدة بعد العملية الجراحية التي أجراها عام ١٩٩٢، حيث عبر عن "سعادة الأب الذي يعود إلى أطفاله، إلى منزله، إلى الأردن.

(٢٨) منذ الستينيات، دخل الأردن في المرحلة الانتقالية الديموغرافية الأولى (تناقص الوفيات، معدلات اخصاب عالية)، وزداد التزايد الطبيعي بشكل كبير في تلك الفترة، وعلى مستوى البلاد، تناقصت معدلات الخصوبة (المرحلة الانتقالية الديموغرافية الثانية) عند نهاية هذا العقد، ولكننا رأينا في البيئة الريفية، وفي محي، بأن هذه المرحلة الثانية ما زالت حديثة ولا تشمل سوى الأسر الحديثة السنة.

(٢٩) الأسرة المتعددة الوحيدة في العينة (زوجين أثنين وأطفالهما، أطفال الأب، وأطفال الابن)، تدار في الحقيقة من قبل الأب.

(٣٠) ل. لاين، مرجع سابق ذكره.

(٣١) تم قياسه من قبل ي. تود (الكوكب الثالث، باريس، ١٩٨٣)، وفقاً لدراسات أميل دوركهايم، وفقاً لمعدلات الانتحار بين السكان، والتي تقارب الصفر في معظم الدول العربية.

(٣٢) الأسس الأولية للأبوه، باريس، ١٨٦٧.

(٣٣) حتى وان كان انخفاض التزايد في السكان لا يجاري هذه الحركة بفعل الثبات الديموغرافي المذكور أعلاه، فإن استبدال كل أم بحوالي ٤,٧ فتاة يضمن تزايد ايجابي حتى وأن تغيرت سمات الخصوبة بشكل جذري.

(٣٤) ي. تودر مرجع سابق ذكره.

(٣٥) ف. خارج: "الديموغرافيا والسياسة"، مجلة السكان، العدد الثاني، ١٩٩٢.



الفصل التاسع

التعليم في محي*

---

* أعد هذا الفصل د. ميشل بيفرس.



تطور النظام التعليمي في الأردن: خلاصة تاريخية

لا يمكن لمختلف عناصر السكان من ولوج حياة حديثة إلا من خلال التعليم لـذلك سنحاول هنا في البداية أن نراجع باختصار السياق التاريخي لتطور النظام التعليمي:

- إمكانية التعليم في شرق الأردن في العهد العثماني.
- ثم التطور في الفترة ١٩٢١-١٩٥٢ (فترة الانتداب البريطاني وبدء استقلال شرق الأردن).
- التعليم كما كان سائداً خلال الفترة ١٩٢١-١٩٥٢ (فترة الانتداب البريطاني وبدء استقلال شرق الأردن).
- التعليم كما كان سائداً خلال الفترة ١٩٥٢-١٩٦٧ (أي بعد أن أصبح التعليم الزامياً ومجانياً في الأردن).

إن مراجعة سريعة لنمط تمويل النظام التعليمي وإمكانيات تدريب المعلمين تمكننا من تقييم الجهد الذي بذلته الحكومة الأردنية.

العهد العثماني: الوضع تحت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

كانت هناك في السلط والكرك ومعان واربد أربع مدارس ابتدائية تضم الصفوف الستة الأولى بالكامل[١]. وكانت مدارس تحفيظ القرآن (الكتاب) تحيل حيزاً عديداً هاماً حتى عهد الانتداب البريطاني. وكانت هذه المدارس ذات مستوى منخفض جداً[٢]، كما هو الحال في كافة أرجاء الوطن العربي، وكانت المدارس الابتدائية ومدارس القرآن تعلم القراءة والكتابة والحساب.

وفقاً للإحصاءات الرسمية لوزارة الثقافة في دمشق، لعام ١٩١٥، بلغ عدد المدارس الابتدائية في ما يسمى اليوم بالأردن ٢١ مدرسة، يعمل فيها ٢٩ مدرساً

لحوالي ١٠٣٩ تليمذاً[٣]. وكان هناك صفان مخصصان للبنات، تعمل فيهما معلمتان لحوالي ٥٦ تلميذة[٤]. وبالنسبة لمعظم الأطفال الأردنيين لم يكن يتوفر أمامهم، إلا ما ندر، إمكانية الالتحاق بأي نوع من أنواع المدارس باستثناء مدارس تحفيظ القرآن (الكتّاب) في قراهم[٥].

الفترة ١٩٢١-١٩٥٢:

في الفترة الواقعة بين ١٩٢١-١٩٥٢، كانت الأسرة الريفية التقليدية أسرة محافظة تتمسك بالتقاليد وتعارض التغيير. وكانت تشكك بكل ما هو حديث وتعارض تعليم البنات ولا تهتم كثيراً بتعليم الأولاد. وحتى الخمسينيات كان يعتبر عاراً على الفتاة أن تعمل خارج المنزل في مكتب الفتيات يشكل مشكلة في شرق الأردن ويعيق تطوره حتى الخمسينيات. وبقيت الفجوة واسعة جداً بين تعليم الرجال والنساء. ففي عام ١٩٢٢، كانت هناك ٢٣ فتاة يتلقين التعليم (أي ٩,٥% من مجموع الدارسين في شتى المستويات). وفي العام ١٩٤٦-١٩٤٧، أي بعد ٢٤ عاماً، كانت نسبتهن تشكل ١٩,١%[٦].

وفي العام ١٩٤٥-١٩٤٦ لم تكن توجد سوى أربع مدارس ثانوية حكومية، واحدة مدة الدراسة فيها سنتان في الكرك، واثنتان في عمان واربد مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وواحدة في السلط تقدم تعليماً كاملاً مدته أربع سنوات. ولم تكن هناك مدراس ثانوية حكومية للفتيات في شرق الأردن حتى مطلع الخمسينيات. لذلك فإن تعليم الفتيات في المدارس الحكومية للفتيات لم يكن يتجاوز حد نهاية مطلع المرحلة الابتدائية[٧].

كان التعليم في شرق الأردن مجاناً، كان محدوداً بسبب قلة الموارد المالية. إلا أن إمارة شرق الأردن، ورغم محدودية موازنتها، كانت تأوي عام ١٩٢٦ اثنتان وأربعين مدرسة ابتدائية للذكور وست مدارس للإناث، تقدم لطلبتها مناهج حديثة تتضمن العلوم واللغة العربية الحديثة. ومن بين مدارس الذكور كانت هناك أربع مدارس متوسطة تتضمن ثلاث صفوف ثانوية. أما مدارس السلط وإربد فقد تم فيها إنشاء الصفوف الثلاث الأخيرة التي جعلت منها مدارس ثانوية كاملة. ولكن هذا

التعليم لم يكن كافياً للتحضير لشهادة إنهاء الدراسة الثانوية، لذلك كان يتعين على الطالب آنذاك التوجه إلى فلسطين(٨).

وفي عام ١٩٣٢، أصبح عدد المدارس الابتدائية الحكومية ٦٢، متضمنة ٥٤٥٥ تلميذاً، منهم ٩٢٢٢ من الإناث. أما العدد الإجمالي للسكان في سن التعليم (٦-١٤ سنة) فقد بلغ في تلك الفترة ٧٥,٠٠٠(٩). وقامت الحكومة بحملة توعية تستهدف حمل العائلات على إرسال أطفالهم إلى المدارس. إلا أن أولياء الأمور، وخاصة في الريف، كانوا يجدون صعوبة في الاستغناء عن المساعدة التي كان يقدمها لهم الأبناء في سن ٩-١٢ عاماً. لذلك، وخلال فترات الموسم الزراعي في الريف، حيث يحتاج أولياء الأمور لمساعدة أبنائهم، عمدت الحكومة إلى منح الطلاب إجازة مدرسية. أما الآن، فإن الأطفال يذهبون إلى المدارس في الصباح، ويعودون إلى عائلاتهم في فترة ما بعد الظهر(١٠). ونتيجة لذلك كانت الصفوف المتقدمة تحوي على عدد من الطلاب يقل بكثير عن صفوف الصغار(١١). فمن بين كل ١٠٠ طفل يلتحقون بالتعليم الابتدائي قبل عام ١٩٥٠ في الأردن، لم يكن عدد الذين ينهون المرحلة الابتدائية منهم يتجاوز الثلاثين(١٢).

في عام ١٩٤٥-١٩٤٦، كان هناك ٤٤ مدرسة قروية: واحدة بمستويين، وواحدة بثلاث مستويات، و٤٢ مدرسة ذات أربعة مستويات(١٣). وبهذا نرى بأن ليس كل المدارس كانت تحوي على الصفوف الابتدائية السبعة المطلوبة لإتمام المرحلة الابتدائية، والتي تم إنقاصها عام ١٩٥٣ إلى ستة(١٤). ولكن هذا التوجه استمر مع ذلك قبل وبعد حرب فلسطين. ففي عام ١٩٥١ كانت المدارس ورياض الأطفال، وهي العنصر الجديد الذي ادخل في النظام التعليمي، قد تجاوز عددها المئة في الأردن، منها ثمان مدارس ثانوية كاملة، إلا أن الحاجة بقيت ملحة للاستجابة لاحتياجات البلد بضفتيه، خاصة مع تدفق اللاجئين(١٥). وفي العام ١٩٥١-١٩٥٢ بلغ عدد التلاميذ في الضفة الشرقية ٥٦ ألفاً(١٦).

ينص دستور عام ١٩٥٢ على أن "الدولة تضمن لكافة الأردنيين حق العمل والتعليم ضمن إمكاناتها" (المادة٥). "فالتعليم الابتدائي إلزامي لكافة الأردنيين، وهو

مجاني في المدارس الحكومية" (المادة ٢٠). وبقيت هاتين المادتين دون تغيير في كافة التعديلات التي أدخلت لاحقاً على الدستور. وفي عام ١٩٦٤، شملت الزامية التعليم ومجانيته الصفوف الثلاث اللاحقة والتي تسمى بالتعليم المتوسط، والذي يمنح الطالب بعدها شهادة الدراسة الإعدادية[١٧].

تنظيم التعليم بين عامي ١٩٥٢-١٩٦٧:

يتضمن التعليم في الأردن ثلاث مراحل: الابتدائية والإعدادية والثانوية. تتضمن المرحلة الابتدائية ستة مستويات[١٨]. ويتعين على الطفل أن يكون قد أكمل سن السادسة، ولم يتجاوز الثامنة لكي يقبل في الصف الأول الابتدائي. ولم يكن يسمح للتلميذ بإعادة السنة أكثر من مرتين، وكان يطرد من المدرسة الابتدائية إذا تجاوز عمره الخامسة عشرة[١٩]. وكان المنهاج يتضمن التربية الدينية واللغة العربية واللغة الإنجليزية (اعتباراً من الصف الخامس)، والحساب والصحة والتاريخ والزراعة والجغرافيا والتربية الرياضية. وفي مدارس الإناث، كانت تدرس مواد التدبير المنزلي والفنون، ولاحقاً رياض الأطفال. ولا يوجد هناك أي امتحانات قبول خاصة للانتقال من صف إلى آخر حتى نهاية الدراسة الثانوية. ولكن الكثير من الأطفال لا يكملون المرحلة الابتدائية كلها، أما لأن أسرهم لا ترسلهم إلى المدارس، خاصة في المناطق الريفية، وأما لأن المدارس التي يرتادوها لا تحوي على كافة الصفوف بسبب نقص في المرافق وفي المعلمين. وقد بلغ عدد التلاميذ لكل معلم عام ١٩٥٢-١٩٥٣ حوالي ٤٣ في المدارس الحكومية[٢٠].

وفي عام ١٩٥٤-١٩٥٥ كان هناك ٦١ مدرسة حكومية تحوي على ٣٣٨٩ صفاً، وما معدله ٤٠,٥ تلميذاً في كل صف[٢١]. ورغم هذا الوضع، قررت وزارة التربية والتعليم في ٨ تموز/يوليو ١٩٦٥ افتتاح مدرسة ابتدائية في كل قرية يزيد تعداد سكانها عن ٥٠٠ نسمة. ففي عام ١٩٤٦ كان أكثر من ٧٣% من سكان شرق الأردن كان الطفل في المناطق الريفية يعرف القراءة والكتابة والحساب بالعربية.

بعد ذلك تأتي السنوات الإعدادية الثلاث، حيث كان يتعين أن يكون عمر التلميذ أقل من ١٦ عاماً ليستطيع الالتحاق بهذه المرحلة. كانت الفكرة في البداية وضع امتحان قبول، ولكن الآن يقوم أساتذة المرحلة الابتدائية باتخاذ القرار فيما يتعلق بالتلاميذ المؤهلين للالتحاق بالمرحلة الإعدادية. ويتضمن المنهاج مواداً في التربية الدينية واللغة الانجليزية والرياضيات والعلوم الاجتماعية والطبيعية، علاوة على نشاطات اختيارية[٢٣] (مثل الزراعة والحرف اليدوية،...الخ).

بعد إنهاء المرحلة الإعدادية، يكون التلاميذ قد حصلوا على تقييم وفقاً لإنجازاتهم، حيث يتابع أفضلهم دراسته الثانوية الأكاديمية التي تؤدي إلى الجامعة. وهناك العديد من الطلبة المتميزين، وكذلك أولئك الذين أحبوا المواد الاختيارية، الذين باستطاعتهم متابعة صفين فقط. وكان الامتحان النهائي يسمى بالمترك. مترك لندن أو مترك الأردن.

في عام ١٩٦١-١٩٦٢ تم إضافة سنة ثالثة على المرحلة الثانوية التي انقسمت إلى فرعين: الأدبي والعلمي. أما المترك الأردني والذي كان ينظر إليه أنه ضعيف المستوى، فقد تم استبداله بشهادة التوجيهية العامة، والذي يسمى باختصار بالتوجيهي.

ازداد عدد التلاميذ في المرحلة الثانوية من ١٢٦٧ عام ١٩٥١-١٩٥٢، إلى ١٠,٠٥٠ عام ١٩٦٠-١٩٦١، وليبلغ عددهم ٢٢,٧٧٠ عام ١٩٦٤-١٩٦٥[٢٥].

لمتابعة تعليمهم العالي، كان الأردنيون يذهبون إلى الجامعات العربية (القاهرة، دمشق، بيروت، بغداد) أو الجامعات الغربية، سواء على نفقتهم الخاصة أو مبعوثين من قبل الحكومة أو بدعم من منظمات مختلفة. ففي عام ١٩٥٠-١٩٥١ كان هناك ٥٣٦ طالباً (منهم ٢٢ فتاة) يدرسون في الخارج: ٣٦١ في البلدان العربية، و١٧٥ في البلدان الغربية (خاصة الولايات المتحدة، ولكن أيضاً ١٤ طالباً في فرنسا)[٢٦]. أما الجامعة الأردنية في عمان فقد أنشئت عام ١٩٦٢-١٩٦٣، كذلك أنشئت جامعة اليرموك في أربد عام ١٩٧٦-١٩٧٧[٢٧].

تمويل النظام التعليمي

تغطي موازنة وزارة التربية والتعليم النفقات الإدارية ورواتب المدرسين والبعثات الدراسية والكتب المدرسية،...الخ. أما تكاليف بناء وصيانة الأبنية المدرسية فتقع ضمن موازنة وزارة الأشغال العامة، كما يطلب من المجالس البلدية والقروية جمع تكاليف الدراسة، وأحياناً أن تحصل على هبات لتشييد المباني المدرسية أو استئجارها وصيانتها ولتغطية بعض رواتب المدرسين[٢٨]. ورغم أن التعليم مجاني في المدارس الابتدائية الحكومية، إلا أن هناك رسوماً تجبى لتغطية نفقات الأطفال الفقراء (حوالي ٥٠% من مجموع التلاميذ عام ١٩٥٠). أما في المدارس الثانوية، فيتم دفع دينارين من قبل كل طالب، ولكن ٣٠% من مجموع التلاميذ يحصلون على إعفاء. كما أن القرويين يدفعون مساهمات طوعية ليتمكن أبناؤهم من الالتحاق بالمدارس الحكومية[٢٩].

معاهد المعلمين والمعلمات

كل هذه المدارس الجديدة كانت تتطلب توفر مدرسين. وكان أوائل المدرسين يأتون من سوريا وفلسطين. وبشكل عام، كان على المعلم في المرحلة الابتدائية أن يكون حاصلاً على شهادة إنهاء المرحلة الثانوية. ولم يكن الأمر يتطلب الحصول على شهادة تأهيل خاصة[٣٠]. في عام ١٩٥١-١٩٥٢ كان حوالي ٥% من المعلمين في المدارس الريفية لا يملكون أي شهادة، في حين أن ١٣% منهم كان لديهم شهادة الدراسة الابتدائية، و٦٢% منهم الشهادة الثانوية (وكان أكثر من ربعهم من النساء)، و٦% شهادة كلية عليا[٣١]. (عشرهم من النساء).

أسلوب التأهيل

في عام ١٩٥٢-١٩٥٣، تم انشاء دار المعلمين في عمان، ودار المعلمات في رام الله. ولكن في المناطق الريفية، كان يتعين اللجوء إلى أسلوب تأهيل مختلف للمعلمين، لذلك، تم عام ١٩٥٤ إنشاء معهد للمعلمين في بيت حنينا قرب رام الله لتأهيل المدرسين في الريف، تبعه معهد آخر في اربد عام ١٩٥٦. ولم يكن يتم فقط تأهيل

معلمي المدارس الريفية على أساليب تدريس الأطفال، وإنمـــا أيــضاً ليكونـــوا قـــادة للمجتمعات الريفية، وهي مهمة جسيمة تم إعفاءهم منها لاحقاً[٣٢].

النتيجة

في عام ١٩٤٥-١٩٤٦، كانت نسبة الأطفال الملتحقين بالتعليم تبلـــغ ٢٨% مـــن مجموعهم الكلي، وقبل عام ١٩٥٠ كان ١٠% فقط من مجمـــوع التلاميـــذ يتـــابعون تعليمهم إلى ما بعد المرحلة الابتدائية[٣٣] . وفي العديد من المدارس القروية كان أكثر من نصف التلاميذ في المرحلة الابتدائية لا يعودون إلى مدارسهم بعد إنهاء الـــصف الثاني[٣٤].

ورغم العوائق الثقافية وشح الموازنة وقلة إعداد المعلمين إلا أن الالتحاق بـــالتعليم لاقي إقبالاً متزايداً. فقد وصلت نسبة التلاميذ الملتحقين بالمدارس نسبة إلى الـــسكان ٢,٧% عام ١٩٥٧-١٩٥٨، لتصل إلـــى ٢١,٢٤% عـــام ١٩٦-١٩٦٧، وأخيـــراً ٣٠,٧% عام ١٩٧٦-١٩٧٧[٣٥].

عام ١٩٩١، ومع تزايد أعداد السكان (من ٣,٨٨% عام ١٩٧٩ إلى ٥,٣% عـــام ١٩٩١)، كان ٧٧% من سكان الأردن يتركزون في المناطق الحضرية، و٢٠% منهم في المناطق الريفية، و٣% في البادية. لذلك فقد انعكس الأمر تماماً بين عـــام ١٩٤٦ (حيث كان ٧٣% من السكان يتركزون في المناطق الريفيـــة) وعـــام ١٩٩١ كمـــا انخفضت نسبة السكان الذين تقل أعمارهم عن ١٥ عاماً من ٥١,٦% عام ١٩٧٩ إلى ٤٣% عام ١٩٩١[٣٦].

كانت التكاليف العامة للتعليم تشكل عام ١٩٩١ حوالي ١٠% من مجمل الموازنـــة العامة. كما أن ٧٥% من الطلبة في المملكة يتلقون تعليمهم في القطاع الحكومي[٣٧]. واستطاع الأردن أن يقلص نسبة الأمية إلى ١٩% عام ١٩٩٠ بفضل جهـــود محـــو الأمية في مراكز تعليم الكبار المنتشرة في شتى المناطق وازديـــاد نـــسبة الالتحـــاق بالمرحلة الابتدائية.

كما أن ٩٤% من السكان الذين هم في سن التعليم كانوا عام ١٩٩٠ على مقاعـــد الدراسة. كما تناقص معدل اعداد الطلبة في الصف من ٣١,٣ طالبـــاً عـــام ١٩٨٥-

١٩٨٦ إلى ٢٨ طالباً عام ١٩٩١-١٩٩٢، وتبلغ أقل نسبة في جنوب البلاد حيث تصل إلى ٢٥ طالباً في الصف[٣٨]. ولكن نسبة التسرب، خاصة في المناطق الريفية، ما زالت مرتفعة.

الوضع في محافظة الكرك

منذ نهاية القرن التاسع عشر كان في الكرك مدرسة ابتدائية كاملة تحوي على الصفوف الابتدائية الستة. وفي عام ١٩٤٥-١٩٤٦ تم في الكرك افتتاح مدرسة ثانوية حكومية تحوي على صفين دراسيين، من الصفوف الثلاثة التي يتعين أن تكون عادة موجودة في المدرسة الثانوية. يضاف إلى ذلك المدارس الدينية التي كانت موجودة سابقاً في الكرك.

في عام ١٩٦٠-١٩٦١، حيث كان عدد سكان الكرك يبلغ ٧٤,٢٧١ نسمة، بلغ عدد التلاميذ ٧,٩٠٧، يشكلون ١٠,٧% من مجمل عدد السكان (حوالي ٨,٢% من مجمل عدد الذكور، وفقط ٢,٥ من مجمل عدد الإناث)[٣٩]. وفي عام ١٩٦٦-١٩٦٧، كان يوجد في الكرك ١٢,٧٤٠٠ تلميذاً، ووصل عددهم إلى ٢٤,٨٧٧ عام ١٩٧٦-١٩٧٧.

ويختلف الوضع في محافظة الكرك نوعاً ما عما هو الحال عليه في مدينة الكرك نفسها، حيث لم تكن هناك صفوف إعدادية في المدارس الريفية حتى عام ١٩٦٦-١٩٦٧.

إن هذا العرض المطول حول نشأة النظام التعليمي في الأردن كانت يهدف إلى تمكيننا من وضع المعلومات التي تم جمعها من عينة بلغت ٥٨٠ شخصاً من سكان قرية محي في سياقها العام. فقد تم توزيع استبيان على طلبة الصفين العاشر والأول الثانوي في مدرستي الذكور والإناث في محي، وكان أحد الأسئلة يتعلق بالمستوى التعليمي لمختلف أفراد العائلة.

وقد تم وضع تسع فئات:

- أُمّي.

- يعرف القراءة والكتابة (أي أولئك الذين لم يتابعوا في السابق سوى دروس تحفيظ القرآن).
- بالنسبة للصغار (٥-٦ سنوات)، أولئك الملتحقين برياض الأطفال.
- أولئك الذين تابعوا كلياً أو جزئياً المرحلة الابتدائية (٦-٧ سنوات إلى ١١ سنة[٤١]، الصفوف الابتدائية من ١-٦).
- المرحلة الإعدادية (من ١٢-١٧ سنة، الصفوف ٧-٩).
- المرحلة الثانوية (١٥-١٧ سنة، الصفوف ٧-٩).
- أولئك الذين هم في مرحلة التوجيهي، أو الذين حصلوا على هذه الشهادة وفقاً لأعمارهم عام ١٩٩٤م.
- أولئك الذين تابعوا دراسة عليا في كلية (سنتان بعد الثانوية العامة) وحصلوا أو لم يحصلوا على شهادة.
- أولئك الذين تابعوا دراسة جامعية.

وإلى جانب هذه المعلومات حول مستوى التعليم، طلبنا أيضاً منهم تحديد جنس وعمر الشخص المعني، مما مكننا من التفريق بينهم على هذا الأساس.

التعليم في محي

تعتبر المدارس الحكومية المؤسسات التعليمية الوحيدة المتوفرة في محي. ونلاحظ هنا أن الأشخاص الذين ولدوا بين عامي ١٩٤٤-١٩٤٦، أي ممن تبلغ أعمارهم اليوم ٤٨-٥٠ عاماً، قد استفادوا من سياسة التعليم الإلزامي في المرحلة الابتدائية التي بدأ العمل بها عام ١٩٥٢، شريطة أن يكون محل سكنهم في تلك الفترة على مقربة من الكرك أو عمان أو السلط، أما المرحلة الإعدادية (ثلاث سنوات)، فهي الزامية منذ عام ١٩٦٤، وأولئك الذين بلغت أعمارهم ٤٢-٤٤ سنة عام ١٩٩٤ كانوا قد استطاعوا متابعة تعليمهم الإعدادي الإلزامي بعد إنهائهم للمرحلة الابتدائية.

لنتفحص الآن المعلومات المتوفرة حول كل عشيرة بشكل منفصل.

مستوى التعليم لدى عشيرة القضاة:

تضمنت عينتنا من عشيرة القضاة ٤٦ أسرة مؤلفة من ٥١٢ فـرداً، ولكننـا لـم نحصل سوى على ٤٠٦ إجابات[٤٧] (جدول ١ وجدول١١)، ٣٦٣ مـنهم هـم علـى مقاعد الدراسة أو ذهبوا إلى مدرسة حكومية أو مدارس تحفيظ القرآن. ٤٣ منهم (أي حوالي ١٠,٥٩% من مجموع الإجابات الـ٤٠٦ التي تم الحصول عليها) (جدول١١) هم أميون، واثنا عشر آخرين يعرفون القراءة والكتابة، وهناك ٣٥ فرداً في مرحلـة التعليم الابتدائي أو أنهوا هذه المرحلة، و٨٥ منهم أنهوا أو هـم ملتحقـين بـالتعليم الإعدادي، و٨٤% منهم ملتحقين أو أنهوا التعليم الثانوي (جدول ١١). وهناك ثمانية أطفال فقط يرتادون الآن مرحلة الحضانة. وإذا أخذنا بالاعتبار فئة الإناث، فن عينتنا تضمنت ٣٥٣ فتاة حصلنا منهن على ١٩٩ إجابة (جـدول٢)، و٢٥٩ مـن الـذكور حصلنا منهم على ٢٠٧ إجابات (جدول٣).

الأمية

كافة النساء اللواتي تزيد أعمارهن عن ٦٤ عاماً، واللواتي استطعنا الحصول على معلومات حول مستواهن التعليمي، أفدن بأنهن أميات (جدول٢). كما أن أغلبية النساء من الفئة العمرية ٤٥-٦٤ عاماً (أي ٧٥% من النساء ال٢٨ في هذه الفئة العمريـة) هن من الأميات. والمدهش هنا وجود ثلاث نساء أميات من الفئة العمريـة ١٩-٣٥ عاماً.

فهل تم حجزهن في البيت لرعاية المنزل أو أخواتهن وأخواتهن الكثيري العدد، أو لرعاية قطيع الأغنام أو الخراف؟ وهل إن عدم التحاقهن بالمدارس راجع إلـى عـدم اهتمام آبائهن بتعليم الفتيات، أم إلى مشكلة نفسية أو جسمية تعاني منها تلك الفتيات؟.

لا نستطيع هنا تقديم إجابة واضحة لعدم قدرتنا على استقصاء الأمر بشكل موسع، ورغم أن عينتنا صغيرة، إلا أن هذه الفرضيات تقفز إلى الأذهان، وقد لاحظنـا فـي

حالتين بأن الأخت الكبرى في الأسرة لم تلتحق أبداً بالمدرسة ولم تتلق أي تعليم، في حين أن الأطفال الآخرين يرتادون المدرسة.

أما الأمية في هذه العينة من عشيرة القضاة فإنها لا تشمل سوى سبعة رجال تزيد أعمارهم عن ٤٦ (جدول ٣)، وهم أولئك الأشخاص الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالتعليم لعدم توفر مدارس حكومية في القرية. وهم يمثلون ٣,٣٨% من مجموع الإجابات ال٢٠٧ التي حصلنا عليها، وأكثر من ٥٠% من مجموع الرجال الذين تزيد أعمارهم عن ٤٦ عاماً.

معرفة القراءة والكتابة

من بين الفتيات أو النساء الأربع في هذه الفئة (جدول٢)، يبلغ عمر احداهن ١٤ عاماً، ويبلغ عمر أخرى ١٧ عاماً، وهن من نفس الأسرة، ودون الحاجة لطرح سؤال إضافي، فقد كان موقف هذه الأسرة من قضية تعليم الفتيات واضحاً.

حالة عائلة القضاة رقم ٧٧: الأب والأم والابنة الكبرى التي تبلغ من العمر١٩ عاماً هم جميعهم أميون. وهناك ابنة عمرها ١٧ عاماً وأخرى ١٤ عاماً تعرفان القراءة والكتابة أي أنهن تابعن حداً أدنى من التعليم (بعض الصفوف الابتدائية الإلزامية) قبل أن يتركن المدرسة. أما الابن البالغ من العمر ١٦ عاماً فهو في المرحلة الإعدادية (دون تحديد الصف)، أي أنه متأخر سنة كاملة في دراسته أو كان قد دخل المدرسة وعمره أكثر من ست سنوات. أما الطفلين الآخرين (ابن عمره ١٢ عاماً وابنه عمرها ١٠ سنوات) فهم على مقاعد الدراسة الابتدائية. أما الأطفال الأربعة الآخرين فإن أعمارهم تقل عن ٦ سنوات، ولذلك فهم ما زالوا في المنزل، ويبدو أن التعليم لا يحتل مكانة هامة في هذه الأسرة، فقط الابن الأكبر يتابع تعليماً ما، وربما يتوقف عند نهاية المرحلة الإلزامية، فهل يستمر؟ وماذا سيحل بالفتاة البالغة من العمر عشر سنوات عندما تصبح تعرف القراءة والكتابة، أي عندما تكون قد حصلت على الحد الأدنى من التعليم؟

تشكل هذه الأسرة مثالاً لأقل مستوى تعليمي. وقد لاحظنا حالات عديدة يكون فيها الأبوان أميين ولكن مستوى التعليم لدى أبنائهم مرتفع احياناً (مثال: حالة الأسرة رقم٧).

وهناك امرأتين تبلغ أعمارهن بين ٢٦-٣٥ تعرفان القراءة والكتابة (جدول٢).

ومن بين الذكور (جدول ٣) هناك ما مجموعه ٨ رجال يعرفون القراءة والكتابة، ويبدو بأنهم قد تابعوا جميعاً (لكون أعمارهم تزيد عن ٣٩ عاماً) أما مدارس تحفيظ القرآن وأما السنوات الأولى من التعليم الابتدائي.

الروضة

هناك ثلاث فتيات وخمسة أولاد تتراوح أعمارهم بين ٥-٦ سنوات يرتادون الحضانة وفي أحسن الحالات، ولكن نادراً، فإنهم يتابعون الدراسة في الحضانة لمدة عام واحد فقط.

المرحلة الابتدائية

تم تسجيل ١٣٥ حالة لأفراد يرتادون أو كانوا قد ارتادوا المرحلة الابتدائية منهم ٥٩ فتاة و٧ من الذكور (جدول ٢ وجدول٣).

ومن بين الفتيات، هناك ٣٨ منهن تسمح أعمارهن بالالتحاق بالمرحلة الابتدائية، ومنهن سبع فتيات متأخرات سنتان أو ثلاث عن صفوفهن الاعتيادية. كما أن هناك ١٤ فتاة توقفن عن دراستهن عن هذه المرحلة وتبلغ أعمارهن الآن ١٥-٤٥ سنة (جدول٢).

وبالنسبة للمتقدمات في العمر فإن هذا التوقف يعود في الغالب إلى عدم توفر مستويات دراسية أعلى من مكان سكنهن في الماضي. كما ينبغي أن نأخذ بالاعتبار حقيقة أن الفتيات يتزوجن في سن مبكرة جداً وغالباً ما ينقطعن عن دراستهن بعد الزواج. وقد صادفنا حالة معاكسة لفتاة متزوجة كانت ما زالت تتابع دراستها الثانوية

لدى إجراء دراستنا عام ١٩٩٤. وبذلك نرى أن بعض العائلات القليلة أرسلت خلال الأعوام ١٩٤٩–١٩٥٨ على الأقل إحدى بناتها إلى المدرسة الواقعة في مكان سكنهم.

هناك ٦٢ طفلاً ما مجموعه ٦٧ من الذكور هم في عمر يؤهلهم للالتحاق بالتعليم الابتدائي. ونلاحظ هنا بأن خمس هؤلاء الأطفال هم في الصف الأول الابتدائي، أي أنهم يسبقون بعام أو أثنين أقرانهم من محي الذين يلتحقون بشكل عام بالمدرسة الابتدائية عند سن السابعة، وهناك ثلاثة ذكور بعمر المدرسة الإعدادية ما زالوا في المرحلة الابتدائية، وهم بذلك متأخرون على الأقل سنتين. كما أن هناك ثلاثة رجال في الفئة العمرية ١٩–٢٥ سنة توقفوا عن التعليم خلال المرحلة الابتدائية. ولاحظنا أيضاً وجود سبعة رجال، تبلغ أعمارهم اليوم ٣٦–٦٥ سنة، كانت قد أتيحت لهم فرصة الالتحاق بالتعليم الابتدائي عندما أصبح الزامياً عام ١٩٥٢ (جدول ٣).

المرحلة الإعدادية

هناك ٣٣ فتاة و٥٢ من الذكور ضمن العينة التي يبلغ عددها ٨٥ فرداً. فهناك ١٣ فتاة تتراوح أعمارهن بين ١٢–١٤ عاماً هن في سن يتوافق المرحلة الدراسية، ألا أن ١٤ أخريات متأخرات سنة أو أكثر حيث التحقن بالمرحلة الابتدائية بعد سنة أو اثنتين من بلوغهن سن السادسة، أو توقفن عن الدراسة. وهذه هي حالة ثلاث نساء (تتراوح أعمارهن بين ١٩–٢٥) توقفن عن الدراسة في المرحلة الإعدادية. ولا توجد أي فتاة يزيد عمرها عن ٢٥ سنة تمكنت من الالتحاق بالمرحلة الإعدادية (جدول ٢)، فهذه المرحلة التعليمية لم يكن ينظر إليها على أنها أساسية بالنسبة للفتيات، كما أنه وفقاً لمكان الولادة لم تكن تتوفر غالباً مدارس في القرية. فقط أولئك اللواتي ولدن في الكرك كان إمكانهن متابعة دراستهن، فقد كان من غير اللائق اجتماعياً انتقال الفتاة إلى أقرب مدينة لمتابعة دراسة لن تفيدها في أعمالها المنزلية اليومية، وللأسف فإن هذه النظرة ما زالت سائدة لحد الآن.

هناك ٢٢ من الذكور ممن هم الآن في المرحلة الإعدادية، ويبدو أن هناك ممن هم متأخرين سنة إلى ثلاث سنوات عن أقرانهم، حيث يبلغ عددهم ١٣. وهناك ستة

رجال تتراوح أعمارهم بين ١٩-٢٥ ممن انقطعوا عن الدراسة وهم في المرحلة الإعدادية (جدول ٣). وهناك ١١ شخصاً من المتقدمين في العمر (اثنان منهم في الفئة العمرية ٢٦-٢٥ سنة، وثمانية في الفئة العمرية ٣٦-٤٥ سنة، وواحد عمره ٤٦ سنة) تابعوا دراستهم حتى هذا المستوى قبل أن يتركوا المدرسة (جدول ٣).

المرحلة الثانوية

هناك ٤٦ فتاة و٣٨ من الذكور يشكلون مجموعة التلاميذ في عينتنا ممن هم في المرحلة الثانوية (جدول ٢ وجدول٣).

وبهذا، فإن الفتيات من عشيرة القضاة يشكلن الغالبية في هذه المرحلة، وفقاً لعينتنا. فهناك ٣٤ منهن في مرحلة دراسية تتناسب وأعمارهن. وهناك ١٢ منهن متأخرات سنة كاملة للأسباب التي ذكرناها سابقاً، أو بسبب إعادتهن لبعض الصفوف.

ومن بين الذكور في المرحلة الثانوية، فإن هناك ٢٠ منهم في عمر يتناسب مع مرحلتهم الدراسية، لكن ١٣ منهم (أعمارهم بين ١٩-٢٥ سنة) متأخرين سنة أو أكثر (جدول ٣)، وهذا يتطابق مع رأي المدرسين الذين قالوا بأن الذكور غالباً ما يتأخرون في دراستهم، وهم غير مواظبين على الذهاب إلى المدرسة. كما أن نسبة الرسوب في الفصل الأول من امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة (التوجيهي) تدفع معلمي مدرسة الذكور إلى اليأس، في حين أن المعلمات في مدرسة الإناث كن راضيات تماماً عن المعدلات التي حصلت عليها طالباتهن. وهناك رجلان تابعا دراستهما حتى المرحلة الثانوية، ولكنهما لم يحصلا على شهادة التوجيهي (جدول ٣).

الكليات المتوسطة

هناك ما مجموعه ١٨ فرداً من عشيرة القضاة (٤,٤٣% من عينتنا من عشيرة القضاة، راجع جدول ١١) يتابعون أو تابعوا دراسة على مستوى الكليات المتوسطة. خمس عشرة منهم حصلوا على شهادة الدبلوم. ولم يكن استبياننا يتضمن أسئلة حول

طبيعة الدراسة في هذه الكليات، لذلك فإننا لا نستطيع أن نحدد أولويات المواد التي اتجه لها الإناث أو الذكور.

نصف هؤلاء الأفراد ال١٨ هم من النساء. وبشكل عام، فإن الملتحقين بالكليات هم من الفئة العمرية التي تؤهلهم للانتساب لها (١٨–٢٥ سنة بالنسبة للإناث ١٩–٢٥ سنة بالنسبة للذكور). وهناك فقط فتاتين متقدمات في العمر (٢٦–٣٥ سنة) تحملان دبلوم كلية (جدول ٢) وثلاثة رجال (٣٦–٥٥سنة) يحملون دبلوم من هذا النوع (جدول٣). ويظهر من هذا التوزيع حسب الفئة العمرية إن الالتحاق ذكور وإناث عشيرة القضاة بالكليات شيء حديث نسبياً.

الجامعة

من بين الفتيات، هناك تسع ملتحقات أو أنهين الجامعة. فالتحاق فتيات عشيرة القضاة بالجامعة هو شيء حديث لأن معظمهن من الفئة العمرية ١٩–٢٥ سنة، أي أن بعض الفتيات ممن هن في سن الالتحاق بالجامعة مسجلات فعلياً في الجامعة (جدول ٢)، وهن يمثلن ٤٠% من الفتيات في هذا العمر ممن حصلنا على معلومات حولهن. وفي السابق، لم تكن أي فتاة تتابع تعليمها حتى المرحلة الجامعية إما بسبب عدم الاهتمام أو بسبب عدم وجود جامعة في المنطقة (حتى تاريخ إنشاء الجناح المدني في جامعة مؤتة)، حيث كان يتعين عليهن الذهاب إلى عمان، مما كان يؤدي إلى انقطاع تام للفتيات عن الدراسة خاصة تلك اللواتي لم يكن يسمح لهن بالسفر لوحدهن والإقامة بمفردهن في مدينة كبيرة. كما يمكن أن نضيف لتلك الأسباب التكاليف التي تترتب على الأسرة جراء ذلك.

هناك فقط ١٢ من الذكور ممن أنهوا أو ما زالوا على مقاعد الدراسة الجامعية، من بينهم ٩ تبلغ أعمارهم بين ١٩–٢٥ سنة، أي ٣٦% ممن هم الآن في سن يسمح لهم بالتسجيل بالجامعة. وهناك فقط ثلاثة رجال متقدمين في العمر (٢٦–٤٥ سنة) ممن انهوا الدراسة الجامعية.

ويمثل الأفراد الواحد والعشرين من هذه العشيرة ممن أنهوا أو ما زالوا على مقاعد الدراسة الجامعية ٧٠% من الأفراد الثلاثين في عينتنا (جدول ١١) التي تشمل عشائر محي الثلاث والذين التحقوا بالجامعة.

ملاحظات

إذا نظرنا بعناية إلى النتائج التي حصلنا عليها وفقاً للفئة العمرية، ابتداءاً من الفئة العمرية الأكبر، نجد أن من بين الأفراد الذين تزيد أعمارهم عن ٤٦ عاماً لا توجد أي امرأة التحقت بالتعليم. فالنساء الاثنتا عشر في هذا السن هن جميعهن أميات، في حين أن سبعة من بين الرجال الستة عشر الذين تزيد أعمارهم عن ٤٦ عاماً (أي ٤٣,٧٥%) لا يعرفون القراءة والكتابة. وهناك رجلان ارتادا مدارس تحفيظ القرآن، وأربعة تلقوا تعليماً ابتدائياً، وواحد تلقى تعليماً إعداديا، في حين أن اثنين منهم حصلا على دبلوم من كلية متوسطة دون اللجوء إلى الدراسة في الخارج، وإنما التحقا بدار المعلمين في عمان عام ١٩٥٢-١٩٥٣، ويبدو أن الموقف قد تغير ابتداءاً من عام ١٩٥٤ فيما يتعلق بالنظرة إلى تعليم الذكور والإناث ممن هم في سن التعليم. وفي ذلك الحين، لم يكن هناك أي مدرسة حكومية في محي.

كان هناك ٥١ شخصاً في الفئة العمرية ٣٦-٤٥ سنة، لم نتلق منهم سوى على ٤٦ إجابة. ومن بين الإجابات الثمان والعشرين الواردة من الإناث، نجد بأن هناك ٢١ امرأة أمية، أي ما يمثل ٧٥% منهن. أما السبع الأخريات فقد استطعن متابعة تعليم ابتدائي على مستويات مختلفة (للتفاصيل، انظر جدول٢). فيما يتعلق بالرجال، فمن بين الثمانية عشر شخصاً، هناك ستة (٣٣%) يعرفون القراءة والكتابة، وثلاثة تلقوا تعليماً ابتدائياً، وثمانية تعليماً اعدادياً. وهناك شخص واحد فقط أكمل السنة الأولى من المرحلة الثانوية.

وآخر حصل على دبلوم من كلية متوسطة، ولم يلتحق بالجامعة سوى شخص واحد. ويبدو واضحاً أنه كان ما زال هناك مواقف مختلفة تجاه تعليم الفتيات والذكور ممن هم في سن التعليم خلال الفترة ١٩٥٥-١٩٦٤.

هناك ١٢ امرأة وخمسة رجال في عينتنا ممن هم في الفئة العمرية ٢٦–٣٥ سنة، حصلنا منهم على التوالي على ٩ إجابات من الإناث وخمسة من الرجال.

ومن بين النساء هناك اثنتان أميتان، واثنتان تعرفان القراءة والكتابة، أي أنهن حصلن على حد أدنى من التعليم. كما أن هناك ثلاث نساء أخريات التحقن بالتعليم الابتدائي، واثنتان أكملتا دراستهن حتى حصولهن على دبلوم كلية متوسطة. أما بالنسبة للرجال في هذه الفئة العمرية، فلم نسجل أي أمي بينهم. فهناك اثنان منهما تابعا دراستهما حتى المستوى الإعدادية، وآخر حتى المستوى الثانوي، واثنان التحقا بالجامعة. ونلاحظ هنا مرة أخرى أنه في حين أن الذكور التحقوا جميعاً بالتعليم (حتى المستوى الإعدادي كحد أدنى) فإن الوضع كان مختلفاً مع النساء، آخذين بالاعتبار أن الأشخاص في هذه الفئة العمرية كانوا قد بلغوا سن الالتحاق بالصف الأول الابتدائي خلال الفترة ١٩٦٥–١٩٧٤.

أما الفئة العمرية ١٩–٢٥ سنة، فإنها تحوي على ٧٦ فرداً تلقينا منهم ٧٥ إجابة: ٣٥ فتاة و٤٠ رجلاً، فمن بين الفتيات، هناك واحد فقط أميّة. أما الأخيرات فقد أنهين جميعهن الصف السادس الابتدائي وما بعده. خمس منهن حصلن على شهادة الثانوية العامة، وسبع التحقن بكلية متوسطة حيث أنهت خمس منهن الدراسة فيها. وثمان أخريات يتابعن الآن دراستهن في الجامعة. أما بالنسبة للرجال، فالوضع تقريباً مشابه (للمقارنة راجع جدول٢ وجدول٣). ويبدو أنه اعتباراً من ١٩٧٥ (باستثناء فتاة واحدة أميّة) تم إرسال الذكور والإناث دون تميز إلى المدارس، أما بسبب تغيير فعلي في مواقف الوالدين وأما بسبب ضغط الحكومة.

أما فيما يتعلق بالأطفال، من الفئة العمرية ٧–١٨ عاماً، فإنهم يتابعون جميعاً دراستهم بشكل طبيعي، رغم وجود حالات تأخر في الدراسة لعام أو أكثر. ولكن هناك حالتين استثنائيتين: فتاة تبلغ السابعة عشر من العمر وأخرى الرابعة عشر تم وصفهما على أنهما يعرفن القراءة والكتابة، مما يعني بأنهما لم تحصلا سوى على الحد الأدنى من التعليم.

هناك خمسة أطفال في السادسة من العمر يتابعون دراستهم، إلا أن أثنـــين مـــنهم (فتاتين) ما زالا في مرحلة الروضة. أما من تقل أعمارهم عن السادسة فهناك ســبعة منهم في المدرسة، من بينهم واحد في الصف الأول الابتدائي.

وتتراوح أعمار هؤلاء حوالي خمس سنوات. فهل يعني هذا وجود تطور حقيقـــي في عشيرة القضاة تجاه مسألة تعليم الأطفال؟ هذا التطور بدأ متأخراً، ولكنه يبدو أنـــه أصبح متسارعاً الآن.

مستوى التعليم لدى عشيرة البشابشة

سنعلق هنا على جداول الإجابات على سؤالنا حول مستوى التعلــيم لــدى أفــراد عشيرة البشابشة الذين يشكلون عينتنا، يشكل أفراد عشيرة البشابشة هنا نسبة أقل من العشيرتين الأخرتين: ٦٠ فرداً، حصلنا منهم على ٥٠ إجابة. أربعون منهم ملتحقون أو التحقوا بالمدارس الحكومية، من بينهم ٢١ امرأة (٤٢% من الأشخاص الخمسين) و٢٩ رجلاً. ولن ندخل هنا في التفاصيل العامة التي ذكرناها سابقاً، ولكننـــا ســـنقوم بنفس العرض وفقاً للمستوى التعليمي.

الأمية

سبع نساء ورجلين (جدول ٥ وجدول٦)، تزيد أعمارهم عن ٣٦ عاماً، هم أميون حيث لم يكن سنهم يسمح لهم بالالتحاق بالتعليم (إلا بدور تحفيظ القرآن) لدى صدور قرار الزامية التعليم في المرحلة الابتدائية (جدول ٤).

معرفة القراءة والكتابة

هناك امرأة واحدة في هذه الفئة تنتمي إلى الفئة العمرية ٢٦-٣٥ سنة (جدول ٥)، وهي الأخت الكبرى في الاسرة رقم.

الروضة

لا أحد من الأطفال الخمسة الذين تقل أعمارهم عن ست سنوات من هذه العـــشيرة مسجل في الروضة (جدول٤).

المرحلة الابتدائية

هناك سبعة ذكور وأربع إناث (جدول٥ وجدول٦) يتـابعون المرحلـة الابتدائيـة (الجدول ٤و٥و٦) منهم ٣ تأخروا في دراستهم أو توقفوا عنها، كما أن هناك ٣ رجال تزيد أعمارهم عن ٣٦ عاماً تابعوا في حينه، كليـاً أو جزئيـاً المرحلـة الابتدائيـة (جدول٦).

المرحلة الإعدادية

هناك ثلاثة أشخاص (فتاتين وشاب واحد) يتابعون الآن دراستهم الإعدادية (جدول ٥ وجدول ٦). ويبدو أن الشاب متقدم عاماً كاملاً نسبة للسن التي يـتم فيهـا عـادة الالتحاق بالتعليم الابتدائي. وهناك رجل واحد يزيد عمره عن ٣٦ عاماً تابع في حينه الدراسة الإعدادية، ولكنه انقطع عنها قبل إكمالها (جدول ٦).

المرحلة الثانوية

نلاحظ هنا النسبة العالية للذكور من هذه العشيرة الذين يتابعون أو تابعوا المرحلة الثانوية: ١٤ ذكراً وست إناث (جدول ٤ وجدول٦). ويبدو أن هناك ثـلاث فتيـات يتابعن دراسة ثانوية تقليدية (جدول ٥)، وثلاث أخريات حصلن على شهادة الدراسـة الثانوية العامة (جدول٥). ومن بين الذكور التسع الذين تزيد أعمارهم عن ١٨ عامـاً ممن وصلوا إلى المرحلة الثانوية، هناك أثنان منهم يبدوان أنهما متأخران عن الـسن "الطبيعي"، وسبعة حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية العامة، قبل أن ينقطعوا علـى ما يبدو على الدراسة (جدول٦).

الكليات المتوسطة

هناك رجل واحد من الفئة العمرية ٢٦-٣٥ عاماً التحق بكلية متوسطة، ولكـن لا أحد من النساء (جدول٦). وإذا افترضنا ان استمارة الاستبيان قد تم تعبئتهـا بـشكل صحيح من قبل الطالب المعني، فإن هذا الرجل لم يحصل على شهادته النهائية مـن هذه الكلية (جدول٦).

الجامعة

هناك أربعة أشخاص من الفئة العمرية ١٩–٢٥ سنة (فتاة واحدة وثلاثة رجال) مسجلين حالياً في الجامعة (جدول ٥ وجدول٦).

ملاحظات

بالنسبة للأشخاص ممن كانت أعمارهم عام ١٩٩٤ تزيد عن ٣٦ عاماً، والذين حصلنا منه على إجابات، فإن جميع النساء هن من الأميات. أما بالنسبة للرجال فإن هناك أثنان أميان، واثنان تابعا الدراسة الابتدائية دون تحديد المستوى، وواحد أنهى الصف السادس الابتدائي، وخلال الفترة ١٩٥٥–١٩٦٤ لم تحصل أي فتاة على أي تعليم، في حين أن ثلاثة من بين الرجال الخمسة الذين تزيد أعمارهم عن ٣٦ عاماً قد التحقوا بالتعليم الابتدائي الإلزامي.

هناك ستة أشخاص في الفئة العمرية ٢٦–٣٥ عاماً. والمرأة الوحيدة في هذه الفئة تعرف القراءة والكتابة. أما بالنسبة للرجال الخمسة فهناك واحد وصل إلى الصف التاسع من المرحلة الإعدادية، وثلاثة حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية العامة، والخامس التحق بكلية متوسطة، ولكنه لم يحصل على ما يبدو على الدبلوم. ويبدو أنه خلال الفترة ١٩٦٥–١٩٧٤ كانت ما تزال هناك تباينات كبيرة فيما يتعلق بضرورة تعليم الفتيات. ورغم أن العينة صغيرة الحجم، إلا أنها دون شك عينة ممثلة.

في الفئة العمرية ١٩–٢٥ عاماً، لدينا أربع نساء وتسعة رجال، فمن بين النساء هناك واحد في الصف العاشر من المرحلة الثانوية، وهي متأخرة في دراستها، واثنتان حصلتا على شهادة الدراسة الثانوية العامة قبل أن ينقطعن عن دراستهما، وواحدة تتابع حالياً دراستها الجامعية، وهناك رجل واحد تابع دراسته حتى المرحلة الثانوية ثم انقطع عنها، وأربعة حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية العامة، وثلاثة يتابعون حالياً دراستهم الجامعية. ونلاحظ هنا أن مستوى التعليم والموقف تجاه التعليم متشابه تقريباً بالنسبة للجنسين من نفس الفئة العمرية. فهناك ٥٠% من الفتيات انقطعن عن الدراسة بعد حصولهن على شهادة الدراسة الثانوية العامة، مقابل ٤٤% للذكور. وينبغي أن نلاحظ هنا أن تكاليف الدراسة مرتفعة في الجامعة، وإذا لم

يحصل هؤلاء الطلاب على بعثات فإن المستوى المعيشي لأسرهم يحول غالباً أمام قدرتهم على هذه التكاليف.

هناك ١٨ شخصاً في الفئة العمرية ٧-١٨ عاماً. ويصل الحد الأدنى لتعليم الفتيات إلى الصف الرابع الابتدائي، أما الحد الأقصى فهو شهادة الدراسة الثانوية العامة، في حين أنه يصل بالنسبة للذكور من نفس الفئة العمرية إلى الصف الثاني الابتدائي كحد أدنى والصف العاشر الثانوي لحد أعلى. وبشكل عام فإن الذكور يعانون من تأخر في دراستهم.

لا يوجد أي طفل من الفئة العمرية صفر-٦ سنوات ملتحق الآن في مرحلة الروضة أو المرحلة الابتدائية.

مستوى التعليم لدى عشيرة الحجايا

لن نتطرق بالتفصيل إلى الملاحظات العامة التي ذكرناها سابقاً في معرض دراستنا لعشيرتي القضاة والبشابشة. فقد قمنا في البداية بفصل المعلومات المتعلقة بفرع الهدايات عن تلك المتعلقة بباقي أفراد عشيرة الحجايا، حيث أن أفراد هذا الفرع الذي ينتمي إليه شيخ عشائر الحجايا تستخدم اسم هذا الفرع. وقد تبين أن هذا الاختلاف لم يكن يتم التركيز عليه من قبل كافة أسر الهدايات مما قد يؤدي إلى وجود أسر من الهدايات في الفئة الكبرى لعشيرة الحجايا. لذلك قمنا بالتخلي عن هذا التمييز مما مكننا أننا سنتبع نفس الأسلوب، بمعنى أنه بعد اعطاء النتائج العامة وفقاً للمستوى التعليمي، سنقوم بتفصيلها وفقاً للجنس وللفئة العمرية.

بالنسبة لمجمل عينتنا التي تحوي على ١٥٦ فرداً من أبناء هذه العشيرة حصلنا على ١٢٤ إجابة: ٦٤ تتعلق بالإناث و٦٠ تتعلق بالذكور.

الأمية

هناك ١٨ شخصاً، و١٥ امرأة (أي ٢٣,٤% من النساء الأربع والستين) وثلاثة رجال (أي ٥% من الرجال الستين) (جدول ٧ وجدول ٩)، هم من الأميين. وهناك فتاة واحدة (من الفئة العمرية ١٩-٢٥سنة) (جدول٨) لم يكن يتعين تواجدها في هذه

الفئة، إلا إذا كانت تعاني من مشاكل ذهنية أو عائلية منعتها من الحصول على حد أدنى من التعليم. أما بالنسبة للرجال، فإن أعمارهم، والتي غالباً ما هي متقدمة، تفسر بشكل رئيسي سبب أمّيتهم (جدول٩).

معرفة القراءة والكتابة

هناك فقط ثلاثة رجال في هذه الفئة (جدول٧ وجدول٩)، أحدهم (من الفئة العمرية ١٩–٢٥ سنة) اضطر إلى ترك الدراسة في سن مبكرة. أما الاثنان الآخران فقد تابعا الدراسة إما في دور تحفيظ القرآن أو بعض صفوف المرحلة الابتدائية الإلزامية.

مرحلة الروضة

هناك فقط طفلان (ولد عمره أقل من ست سنوات وفتاة عمرها ست سنوات) مسجلان حالياً في الروضة (جدول ٨ وجدول٩).

المرحلة الابتدائية

٢٦ من الإناث و١٨ من الذكور يشكلون عينتنا المؤلفة من ٤٤ طفلاً يتابعون دراستهم الابتدائية (جدول٧). فالإناث يشكلن الأغلبية، و١٧ منهن تتوافق أعمارهن مع مرحلة الدراسة (جدول٨). احداهن متقدمة في دراستها نسبة إلى عمرها، على ما يبدو سنة كاملة. وعلى العكس، هناك خمس فتيات (جدول٨) متأخرات ٢–٣ سنوات، أما بسبب ضعف مستواهن التعليمي وأما بسبب تأخرهن في الالتحاق بالمدرسة، أو في بعض الحالات، بسبب انقطاعهن عن الدراسة في سن مبكرة من التعليم الابتدائي. وهناك ثلاث فتيات في الفئة العمرية ١٥–٢٥ سنة انقطعن عن الدراسة خلال المرحلة الابتدائية (جدول٨).

بالنسبة للذكور في هذه العشيرة، وإذا افترضنا دقة تعبئة استمارات الاستبيان من قبل الطلاب، فإن هناك طفل يقل عمره عن ٦ سنوات، وآخر عمره ٦ سنوات يتابعان الآن الدراسة الابتدائية، أي أنهما متقدمان سنة أو اثنتين في دراستهما (جدول٩).

وهناك ثمانية ذكور في هذه المرحلة تتوافق أعمارهم مع صفوفهم الدراسية، في حين أن أربعة آخرين متأخرين سنة أو أكثر في دراستهم. وهناك أربعة من البالغين (اثنان في الفئة العمرية ١٩-٢٥ سنة، وواحد في الفئة العمرية ٢٦-٣٥ سنة، والرابع في الفئة العمرية (٤٦-٥٥ سنة) (جدول٩) انقطعوا عن الدراسة خلال المرحلة الابتدائية، أو في حالات أخرى، بسبب عدم توفر مدارس إعدادية في قراهم.

المرحلة الإعدادية

هناك ٢٥ شخصاً (جدول ٧) تابعوا أو يتابعون الدراسة في المرحلة الإعدادية، منهم ١٠ من الإناث و١٥ من الذكور، ومن بين الفتيات، ثلاثة منهن هن في سنة أو أكثر عن السن الطبيعي، إلا إذا انقطعت بعضهن عن دراستها (جدول٨). في حين أن خمسة من الذكور يتابعون دراسة تتوافق مع أعمارهم، إلا أن خمسة آخرين يعانون من تأخر يبلغ سنة إلى ثلاث سنوات، أو انقطعوا عن الدراسة، وهناك خمسة آخرين انقطعوا عن الدراسة خلال المرحلة الإعدادية، وبالنسبة للبعض منهم، قبل أن يصبح التعليم الإعدادي إلزاميا (اعتباراً من عام ١٩٦٤) (جدول ٩).

المرحلة الثانوية

هناك سبع فتيات (٢٨% مما مجموعه ٢٣ شخصاً) مسجلات في المرحلة الثانوية (جدول ٧ وجدول٨). اثنتان منهن تحضران أو حصلتا على شهادة الدراسة الثانوية العامة. ورغم صغر حجم عينتنا، إلا أنه يبدو بأنهما انقطعتا عن الدراسة في سن مبكرة أكثر من الذكور، فهل يعود سبب ذلك إلى زواج مبكر في هذه العشيرة ذات الأصول البدوية؟؟

هناك ١١ من الذكور ممن هم في سن يؤهلهم لمتابعة الدراسة الثانوية (جدول٩)، اثنان منهما متأخران على الأقل سنة كاملة، وواحد (من الفئة العمرية ٤٦-٥٥ سنة) انقطع عن دراسته خلال هذه المرحلة. وهناك آخر يحضر لامتحان شهادة الدراسة

الثانوية العامة، في حين أن اثنين آخرين من الفئة العمرية ١٩-٢٥ سنة حصلا على هذه الشهادة.

الكليات المتوسطة

لا توجد أي فتاة من عشيرة الحجايا، ممن حصلنا منهن على إجابات، مسجلة حالياً في كلية في حين أن المهن التعليمية والصحية تعتبر من بين تلك التي تقبل عليها الفتيات بسهولة. وتوجد فقط فتاة واحدة حصلت على دبلوم كلية متوسطة (جدول٨)، في حين أن ثمانية رجال حصلوا على مثل هذا الدبلوم، دون تحديد للتخصص.

الجامعة

هناك حالياً أربع فتيات مسجلات في الجامعة (جدول٨)، حيث تبلغ أعمارهن ١٩-٢٥ سنة، في حين أن هناك شاب واحد فقط مسجل في الجامعة (جدول٩).

ملاحظات

لم تتابع أي من النساء الأربعة عشر ممن تزيد أعمارهن عن ٢٥ عاماً أي دراسة. ومن بين الرجال الثلاثة عشر، من الفئة العمرية ٢٦-٣٥ عاماً، هناك ثلاثة أميين، واثنان يعرفان القراءة والكتابة، وواحد وصل إل الصف السادس الابتدائي، واثنان يتابعان حالياً الدراسة الإعدادية.

ومن بين الأشخاص الاثنين والعشرين، من الفئة العمرية ١٩-٢٥ عاماً، هناك ١١ فتاة أحداهن أمية، واثنتان تابعتا المرحلة الابتدائية، وثلاث (أي ٢٧%) وصلتا إلى المرحلة الثانوية، ومن ضمنهن واحدة حصلت على شهادة الدراسة الثانوية العامة. كما أن هناك واحدة تحمل شهادة كلية متوسطة، وأربع مسجلات حالياً في الجامعة (أي ٣٦,٣٦% من الفتيات الإحدى عشر في هذه الفئة العمرية). وبالنسبة للرجال الأحد عشر من نفس الفئة العمرية، نلاحظ أن واحداً منهم يعرف القراءة والكتابة، واثنان تابعا المرحلة الابتدائية، وواحد المرحلة الإعدادية، وأربعة المرحلة الثانوية (أي ٣٦,٣٦%): اثنان منهما حصلا على شهادة الدراسة الثانوية العامة. واحد فقط

من بينهم التحق بالجامعة (٩% من مجموعة الرجال في هذه الفئة العمرية). ويبدو أن الفتيات يتابعن دراستهن لفترة أطول من الذكور، عندما تتاح لهن الفرصة.

تتضمن الفئة العمرية ٧-١٨سنة ٦١ شخصاً، ٣٧ منهم من الفتيات: خمس ما زلن في المرحلة الابتدائية أو انقطعن عن الدراسة في حين أن سنهن يشير إلى ضرورة كونهم في الإعدادية. وثمان أخريات تتراوح أعمارهن بين ١٥-١٨ سنة، حيث انقطعت إحداهن عن الدراسة في المرحلة الابتدائية، واثنتان في المرحلة الإعدادية، مع تأخر عام كامل على الأقل. وهناك خمس فتيات أخريات انقطعن عن الدراسة خلال المرحلة الإعدادية.

وهناك ٣٣ شاباً ينتمون إلى نفس هذه الفئة العمرية، وهم جميعهم في مراحل دراسية تتوافق وأعمارهم باستثناء أربعة منهم انقطعوا عن الدراسة أو ما زالوا في الصفوف الابتدائية في حين أن سنهم يؤهلهم لأن يكونوا في المرحلة الإعدادية، وهناك خمسة آخرين في المرحلة الإعدادية بدلاً من أن يكونوا في المرحلة الثانوية، وهم بذلك متأخرين في دراستهم، أو انقطعوا عنها.

هناك ثلاثة أطفال أعمارهم السادسة على مقاعد الدراسة: اثنان في مرحلة الروضة وفتاة في الصف الأول الابتدائي، أي أنها التحقت بالمدرسة في السن القانوني دون تأخر كما هو الحال غالباً، كما يبدو، في محي.

ومن بين الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ست سنوات، هناك طفل في الروضة وآخر في الصف الأول الابتدائي رغم أن عمره يقل عن ست سنوات.

الخلاصة

تم تسجيل ٧٠ شخصاً أمياً على ما مجموعه ٥٨٠ إجابة، وهذا يمثل ١٢,٠٧% من عينتنا (جدول١١). وهناك ٢٠% من النساء في عينتنا النسوية هن من الأميا. بالنسبة إلى عشيرة القضاة (٤٠٦ إجابات على ما مجموعه ٥٨٠ إجابة على السؤال المتعلق بمستوى التعليم) فإنها تمثل ٧٠,٢٩% من المعلومات التي تم جمعها من عينتنا المتضمنة الأشخاص القاطنين في محي أو الذين تعود أصولهم إلى محي. أما أقل نسبة أمية (١٨%) فهي في عشيرة البشابشة (رغم صغر حجم عينة البشابشة).

ونلاحظ هنا أن المأميّين من عشيرة القضاة الأصغر سناً تتراوح أعمارهم بين ١٩-٢٥ سنة، وان معظمهم من النساء في حين أن الأمي الأصغر عمراً لدى البشابشة يتجاوز ٣٦ سنة من العمر (٤ نساء من بين كل خمسة تتراوح أعمارهم ٣٦-٤٥ عاماً). وتم التصريح بمعرفة القراءة والكتابة لدى عشيرة القضاة للأطفال الذين تزيد أعمارهم عن ١٢-١٤ سنة، ولدى البشابشة ممن تزيد أعمارهم عن ٢٦ سنة. وهناك ضعف في الإقبال على مرحلة الروضة ٩,٣% من أطفال عشيرة البشابشة. ورغم أن البشابشة لا يشكلون سوى ١٨,٧٥% من الإجابات المتعلقة بمستوى التعليم الابتدائي، إلا أن هذه النسبة تتجاوز ٣٠% لدى العشيرتين الأخرتين. ورغم أن نسبة البشابشة ضعيفة أيضاً في المرحلة الإعدادية (٨,٣٨%)، إلا أنها تصل إلى ٢٠% لدى العشيرتين الأخرتين. وعلى العكس، نلاحظ أن نسبة البشابشة في المرحلة الثانوية تصل إلى ٤١,٦٦%.

وبشكل عام، فإن نسبة ضئيلة من أفراد العشائر الثلاث تتابع أو تابعت تعليماً على مستوى كلية متوسطة (جدول١١). في حين أن ٨,٣٣% من البشابشة يتابعون دراسة جامعية، فإن هذه النسبة تبلغ ٤,٠٣% لدى الحجايا ممن يتابعون أو تابعوا دراسة جامعية. وهناك فقط ٥,٥١% من عينتنا من القضاة الذين انتظموا في دراسة جامعية.

قرية الحامدية

هناك مجموعة (فرع الزوارة) من عشيرة الحجايا الذين انتقلوا لإنشاء قرية الحمادية. وهناك أحد أبناء إحدى أسر الحمادية يتابع دراسته في محي وقام بتعبئة استبياننا (عائلة رقم ١٤,٧٥ شخصاً يعيشون تحت سقف واحد، وينتمون إلى ثلاث أسر نووية). وهناك ١١ شخصاً يتابعون أو تابعوا تعليماً مدرسياً، وثلاث أطفال حديثي السن. كما أن هناك أربعة بالغين أميين (تبلغ أعمارهم على التوالي ٥٠، ٤٤، ١٩، ١٧ سنة). وهناك شخصان تلقا تعليماً ابتدائياً، وأربعة اشخاص تلقوا تعليماً إعدادياً، وواحد تلقى تعليماً ثانوياً.

Tabl.1																								
Tribu	Qda'a																							
tranche d'âge	total pers.	total réponses	Illit.	L&E	Mat.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 mois	86	7			6	1																	
6 ans	13	5			2	1	2																
7 à 11 ans	85	83				30	2	7	10	2	8	2		1									
12 à 14 ans	61	58		1		11				1	4	6	19	9	6	1							
13 à 18 ans	91	87		1		3					3		13	1	1	6	13	15	2	6			
19 à 25 ans	76	75	1			1						4	4	1	1	5	12	2	2	12	3	10	17
25 à 35 ans	17	14	2	2		2						2	2				1					2	2
30 à 45 ans	51	48	21	6		3	1	1		2	2	3	3	1	2	2		1				1	1
40 à 55 ans	16	14	8			2					1		1									2	
50 à 65 ans	8	7	4	2		1																	
plus de 65 ans	7	7	7																				
?	1	1																					1
Totaux	512	406	43	12	8	75	5	8	10	5	18	14	44	13	12	16	26	36	4	18	3	15	21

Tabl.2																								
Tribu	Qda'a	Femmes																						
tranche d'âge	total pers.	total réponses	Illit.	L&E	Mat.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 mois	38	1			1																		
6 ans	7	4			2	1	1																
7 à 11 ans	38	37				25	2	1	3	1	4			1									
12 à 14 ans	24	21		1		5				1	1		6	5	3	1							
13 à 18 ans	52	51		1		2							6		2	6	9	13	2	4			
19 à 25 ans	36	35	1									2	2	1		2	6		2	5	2	5	6
25 à 35 ans	11	9	2	2		2						2										2	
30 à 45 ans	30	28	21			3		1			2	1											
40 à 55 ans	3	3	3																				
50 à 65 ans	1	1	1																				
plus de 65 ans	6	6	6																				
?	1	1																					1
Totaux	255	199	36	4	3	38	3	2	3	2	7	4	14	5	5	9	15	18	5	8	2	5	6

Tabl.3																								
Tribu	Qda'a	Hommes																						
tranche d'âge	total pers.	total réponses	Illit.	L&E	Mat.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 mois	47	6			5	1																	
6 ans	6	1					1																
7 à 11 ans	47	46				25		6	7	1	5	7											
12 à 14 ans	37	35				6					3	8	13	6	5								
13 à 18 ans	39	36				1					2		9	1	1	2	4	18		2			
19 à 25 ans	40	40				1						2	2		1	3	6	2	1	7	1	3	9
25 à 35 ans	6	5											2				1						2
30 à 45 ans	21	20		6			1			2			3	1	2	2		1				3	1
40 à 55 ans	9	9	3			2					1		1									2	
50 à 65 ans	7	6	3	2		1																	
plus de 65 ans	1	1	1																				
?	0	0																					
Totaux	259	207	7	8	5	37	2	6	7	3	11	10	30	8	7	7	11	17	1	9	1	8	12

Tabl.4

Tribu: Badiabdeh

tranche d'âge	total pers.	total réponses	Ill.	L&E	Mac.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 exclu	4	0																					
6 ans	1	0																					
7 à 11 ans	8	8						2		2	1			1									
12 à 14 ans	9	4									1	1		1	1								
15 à 18 ans	9	9										1					1	6		1			
19 à 25 ans	13	13															2	1		6			4
26 à 35 ans	6	6		1												1				3	1		
36 à 45 ans	6	6	3									1											
46 à 55 ans	4	4	3			1																	
56 à 65 ans	1	1				1																	
plus de 65 ans	1	1	1																				
Totaux	60	50	6	1	0	2	0	2	0	2	2	3	0	2	1	1	3	7	0	10	1	0	4

Tabl.5

Tribu: Badiabdeh — Femmes

tranche d'âge	total pers.	total réponses	Ill.	L&E	Mac.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 exclu	2	0																					
6 ans	0	0																					
7 à 11 ans	1	1								1													
12 à 14 ans	4	4									1	1		1	1								
15 à 18 ans	4	4										1						2		1			
19 à 25 ans	4	4																1		2			1
26 à 35 ans	1	1		1																			
36 à 45 ans	4	4	4																				
46 à 55 ans	2	2	2																				
56 à 65 ans	0	0																					
plus de 65 ans	1	1	1																				
Totaux	23	23	7	1	0	0	0	0	0	1	1	2	0	1	1	0	0	3	0	3	0	0	1

Tabl.6

Tribu: Badiabdeh — Hommes

tranche d'âge	total pers.	total réponses	Ill.	L&E	Mac.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 exclu	2	0																					
6 ans	1	0																					
7 à 11 ans	5	5						2		1	1			1									
12 à 14 ans	5	0																					
15 à 18 ans	5	5															1	4					
19 à 25 ans	9	9															2			4			3
26 à 35 ans	5	5														1				3	1		
36 à 45 ans	2	2	1									1											
46 à 55 ans	2	2	1			1																	
56 à 65 ans	1	1				1																	
plus de 65 ans	0	0																					
Totaux	37	29	2	0	0	2	0	2	0	1	1	1	0	1	0	1	3	4	0	7	1	0	3

Tabl.7																							
Tribu	Hajaya																						
tranche d'âge	total pers.	total réponses	Illt.	L&E	Mat.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 exclu	26	2			1		1																
6 ans	8	3			1	1	1																
7 à 11 ans	26	25				10	1	3	5	1	3	2											
12 à 14 ans	17	17				2	1			1	2	3	4	2	2								
15 à 18 ans	28	28				1							6	1		3	1	11	1	2			
19 à 25 ans	22	22	1	1		1			1			2	1				3	1		3		3	5
26 à 35 ans	10	9	6				1									1						1	
36 à 45 ans	9	9	5	2												1	1						
46 à 55 ans	5	5	2									1	1			1							
56 à 65 ans	4	4	4																				
plus de 65 ans	0	0																					
?	1	0																					
Totaux	156	124	18	3	2	15	5	3	6	2	5	8	12	3	2	8	5	12	1	5	0	4	5

Tabl.8																							
Tribu	Hajaya	Femmes																					
tranche d'âge	total pers.	total réponses	Illt.	L&E	Mat.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 exclu	15	0																					
6 ans	2	2			1	1																	
7 à 11 ans	17	17				10		3	2	1	1												
12 à 14 ans	8	8				2				1	2		1	1	1								
15 à 18 ans	12	12				1							5			2	1	1	1	1			
19 à 25 ans	11	11	1			3						1					2			1		1	4
26 à 35 ans	7	6	6																				
36 à 45 ans	4	4	4																				
46 à 55 ans	2	2	2																				
56 à 65 ans	2	2	2																				
plus de 65 ans	0	0																					
?	1	0																					
Totaux	81	64	15	0	1	15	0	3	2	2	3	1	6	1	1	2	3	1	1	2	0	1	4

Tabl.9																							
Tribu	Hajaya	Hommes																					
tranche d'âge	total pers.	total réponses	Illt.	L&E	Mat.	Pri.							Pré.				Sec.			Bac	Col.	Dipl.	Uni.
							1è	2è	3è	4è	5è	6è		7è	8è	9è		10è	1ère				
0 à 6 exclu	11	2			1		1																
6 ans	6	1					1																
7 à 11 ans	6	8					1		3		2	2											
12 à 14 ans	9	9					1					3	3	1	1								
15 à 18 ans	16	16											1	1		3		10		1			
19 à 25 ans	11	11		1					1			1	1				1	1		2		2	1
26 à 35 ans	3	3					1									1						1	
36 à 45 ans	5	5	1	2												1	1						
46 à 55 ans	3	3										1	1			1							
56 à 65 ans	2	2	2																				
plus de 65 ans	0	0																					
Totaux	75	60	3	3	1	0	5	0	4	0	2	7	6	2	1	6	2	11	0	3	0	3	1

الهوامش

0. A-M. Goichon. La Jordanie Rēelle, vol. II. Maisonneuve et Larose, Paris,1972, p. 194.
1. A-M. Goichon, 1972. pp. 191-192.
2. II y avail donc 980 garcons pour 27 instituteurs, Soil 36 à 37 ētlēves en moyenne par instituteurs. Les deux institutrices ont chacune 29 à 30 ētlēves.
3. "AI-tarbiya wal- ta'alim" (Education et enseignement). Amman, 1965,80 pages. p. 3.
4. A. el-Tell, Education in Jordan, 1921-1977, National Book Foundation, Islamabad, Pakistan, 1978. lēre ētdition 1979. p. 13.
5. A. el-Tell. 1979. pp. 22 à 24.
6. A. el- Tell, 1979, p. 58.
7. A-M. Goichon, 1972, p. 198.
8. R. Patai. The Kingdom of Jordan, Princeton New Jersey. 1958.
9. A-M. Goichon. 1972, pp. 207-212.
10. A-M. Goichon. 1972. p. 199.
11. A.el-Tell. 1979, p.29.
12. Mathews et Akrawi. Education in Arab Countries of the Middle East, Washington. American Councils on Education, 1949. p. 305.
13. II y eut tendance à rēduire Ie cycle primaire à six ans à cause d'en manque d'enseignants et de salles del classes. cf. A-M. Goicbon, 1972, p. 205.
14. A-M. Goichon, 1972, p. 200.
15. II ētait de moins de 17000 en 1940-41. cf. R. Patai. Jordan. Country Series. Human Relations Area Files, New Haven. 1957. p. 306.
16. A-M. Goichon. 1972, p. 200.
17. The Economic Development of Jordan. The International Bank for Reconstruction and Development, The Johns Hopkins Press. Baltimore. 1957. p. 298.
18. A.el-Tell.1979.p.58.
19. Rapport du Ministēre de l Education. Amman. 1953.
20. The Economic Development of Jordan. 1957. p. 307.
21. A. el-Tell, 1979, p. 24.
22. The Economic Development of Jordan. 1957. p. 298.
23. A. el- Tell, 1979, p. 58.
24. A-M. Goichon, 1972. pp. 219-221.
25. R. Patai Jordan. Country Series. Human Relations Area Files. New Haven, 1957. p. 308.
26. La premiēre ouvrit avec 167 ētudiants, la seconde comptait en 1976-77,53 femmes et 13 hommes. cf. A. el-Tell,1979. p.145.
27. UNESCO, 1955. pp. 403-404.
28. R. Patai Jordan, Country Series, Human Relations Area Files. New Haven, 1957. pp. 302-303.
29. A-M Goichon, 1972, 240.
30. R.Patai, 1957. p. 307.
31. A-M Goichon, 1972, 241.
32. En 1950.42% de la population avait moins de 15 ans. cr. A. el- Tell, 1979. pp. 28 et 47.
33. A. el- Tell, 1979. p. 29.
34. A. el-Tell. 1979, P.97.
35. Economic and Social Development Plan. 1993-1997. HJK. Ministēre du Plan. pp. 33 et 37.
36. Economic and Social Development Plan. 1993-1997. HJK. Ministēre du Plan, p. 51.
37. Ceci est à mettre en relation avec Ie taux d'ēmigration que connaissent les campagnes jordaniennes. Cf. Economic and Social Development Plan. 1993-1997, pp. 51 et 52.
38. Annual Report for the Year 1960-61, National Press 1961, Amman, p. 82.
39. II s'agit de la dēnomination actuelle utilisēe en Jordanie. Ces deux classes correspondent aux deux premiers des trois niveaux que compte Ie cycle secondaire. Nous pensions à cette occasion distribuer notre questionnaire ēgalement aux ēlēves des classes de tawjihi (ēquivalent de notre classe de terminale en France), mais ils ētaient en congē ce jour-l'a. Nous n'avons pas renouvelē I'opēration un autre jour car nous pensons que ies ēlēves auraient, entre temps. pu ētre influencēs.



الملحق



وثيقة تقسيم أراضي محي بين عشيرة الحجايا والقضاة

نموذج من وثيقة في سجل الأراضي

نموذج من وثيقة في سجلات المحكمة الشرعية/ الكرك

نموذج من وثيقة في سجل المحكمة الشرعية/ الكرك



بسم الله الرحمن الرحيم

معالي وزير المالية رئيس لجنة املاك الدولة [illegible]

نحن الموقعين ادناه وجوه وشيوخ عشائر القضاة في قرية [illegible] والتي تقع بالقرب من الخط الصحراوي [illegible]

في مطلع هذا القرن التقى آباؤنا بجلالة الملك فيصل الأول [illegible] تحديد [illegible] القرية من القضاة حاليا بالصك المرفق مع عريضتنا بتاريخ ١٨/٦/١٩١٩م.

ونحن بدورنا استصدرنا سند تسجيل الأراضي المرفق وتمت القسمة [illegible]

نرجو معاليكم التوجيه للمعنيين [illegible] دوائر التسوية [illegible]

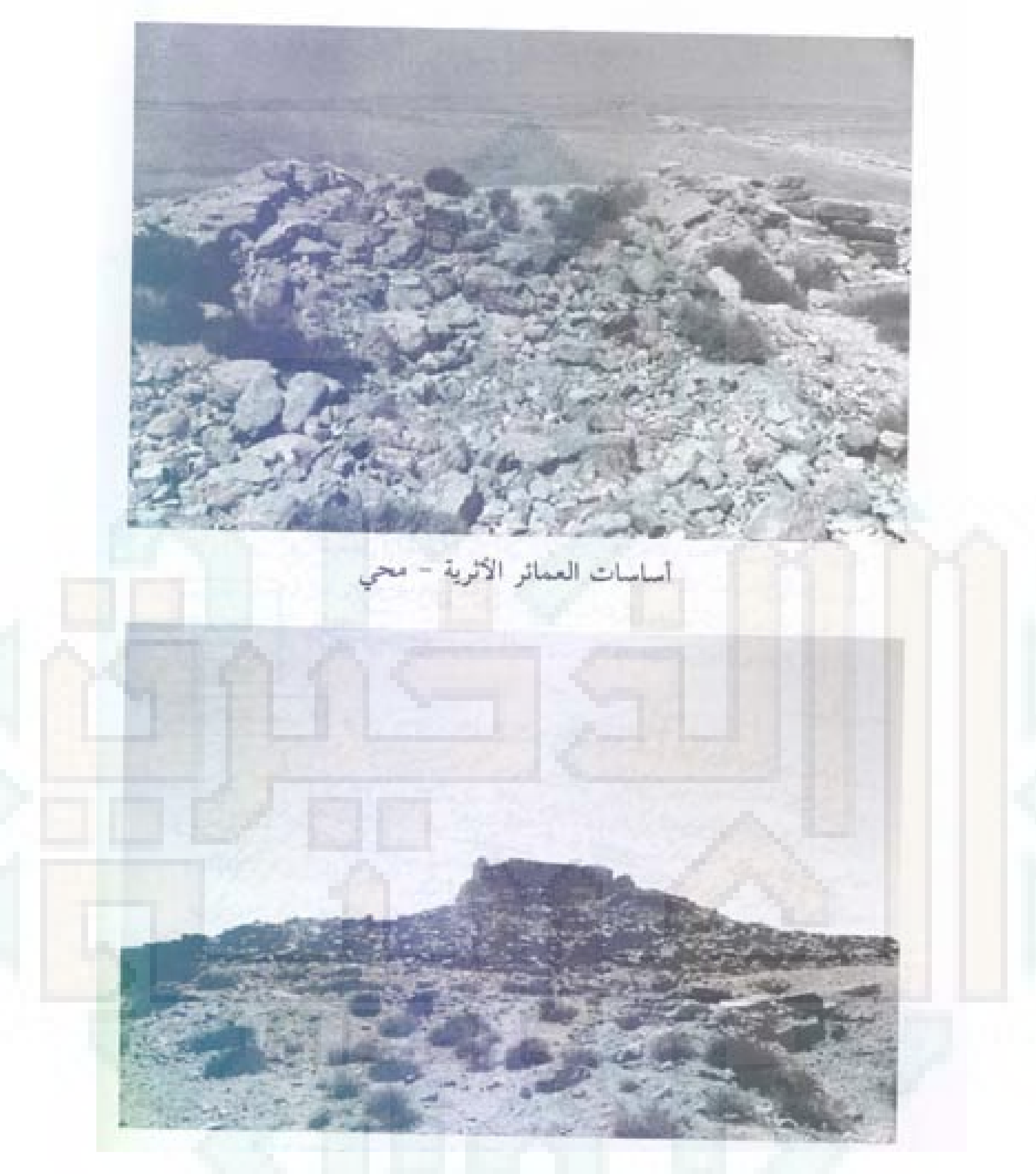
[illegible]

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

مختار عشيرة القضاة
صالح هلال القضاة

علي فارس القضاة - مختار

وثيقة تتضمن تسوية الخلافات بخصوص الأراضي والمشاع



أساسات العمائر الأثرية - محي

قصر غيث بن هداية الحجايا في أعلى الموقع الأثري- محي



الجانب الشمالي من قصر غيث بن هداية الحجايا - محي

المساكن التقليدية الأولى في القرية مبنية على بقايا الآثار القديمة



مسجد القرية القديم

مبنى مدرسة القرية القديم تأسست عام ١٩٥٩



التصميم الداخلي للمسكن التقليدي



أحد المساكن التقليدية في الحي القديم

المسكن التقليدي القديم والمسكن الحديث الأسمنتي (أوائل المساكن الحديثة في القرية)



جزء من قرية محي القديمة والحديثة



أحد أحياء القرية



جانب من القرية الحديثة